



رفی عقیق

عباس محمود العقاد

# مذهب ذوی العاهات



الناري الشبابي

عنايس محمود العقاد

# مذهبُ ذوى العاهات

اعداد

محمود العقاد



الناري الشابي

دار النهضة العربية للطبع والنشر  
القاهرة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة

### بقلم محمود العقاد

عقب الحرب العالمية الثانية ، انتشرت موجة عارمة من الدعاية الشيوعية في مصر والعالم العربي ، وكان لها في لبنان مركز خطير توجه منه حملاتها الدعائية في مختلف أنحاء العالم العربي .

وقد بلغ من نشاط هذا المركز أن العقاد حين أصدر كتابه للقيم ، في بيتي ، وهاجم فيه للفكر الشيوعي ، هب الشيوعيون فودوا عليه بعدة كتب غير المقالات والاماسيذ والمنشورات .

ومنذ صدور كتاب العقاد ، في بيتي ، في سنة ١٩٤٥ ، والشيوعيون يستهدفون العقاد ويتاصبونه العداء الصريح والمستمر على السواء ، فإذا كتبوا هاجموا صراحة ، ومنهم من كتب في الانب لا شيء الا ليقول كلمة سوء في العقاد . ومنهم من يكتب كتابا كاملا عن الانب او الصحافة لجهد أن يفل اسم العقاد وكأنه لم يكن أدبيا ولا صحفيا في مصر في النصف الأول من القرن العشرين .

وأذكر بهذه المناسبة واقعة طريفة حدثت في نحو سنة ١٩٥٣ .

كتب أحد الكتاب الشيوعيين الشبان - في تلك الحين - مقالا عن لغة الصحافة منذ ثلاثين سنة .

ولم تجر العادة في الدراسات أن يقال ، منذ ثلاثين سنة ، بل جرت العادة بالدراسة في مائة سنة أو خمسين أو خمس وعشرين .

ولكن المقال الذي كتبه كاتبه قد بين سبب اختياره للثلاثين بدلا من الخمس والعشرين ، مع أن لغة الصحافة لم تتغير في هذه السنوات الخمس للفرقة بين ما جرى عليه العرف وما اختاره الكاتب الأريب .

كان السبب أنه أدرك الاستشهاد بما ورد في مقال العقاد نشر في سنة ١٩٢٢ .

وقصة هذا المقال أن أحد خصوم العقاد كان قد كتب مقالا ، انهم قبه العقاد بأنه يترك زوجته حبلها على غاريها تتصرف في وقتها كما تشاء ولا تعود الى المنزل الا عند مطلع الصباح . . . الى آخر ماورد في ذلك المقال ، (١)

ولم يكن هذا الكلام كلام العقاد ، بل كان كلاما وجهه اليه خصمه ، وكان العقاد يرويهِ على لسان هذا الخصم تمهيدا للرد عليه . ثم رد عليه بأنه ليست له زوجة يترك لها الحرية أو يفرس عليها القيود وأضاف الى ذلك ما رآه حقا لذلك الكاتب الخصم الذي اسماء اليه كل تلك الاساءة في سنة ١٩٢٢ .

بيد أن الكاتب الشيوعي ظن هذا كلام العقاد فاستشهد به ليطلب بعد ذلك في السباب والتشهير بالعقاد .

فما كان من العقاد الا أن خيطه خبطة من خيطاته الهائلة حين رد عليه قائلا أنه لو كان يعلم القراءة والكتابة وحسب ، لملم من المسطر التالي في هذا المقال أن هذا الكلام هو الذي وجهه اليه خصمه وأنه يرويهِ على لسانه ليرد عليه .

هنالك حدثت عجيبتان :

أحدهما - أن الكاتب الأحمر لم يحسن أدراك موقفه ، فقد كان خليفا به أن يقول أن بحثه عن لغة الصحافة في سنة ١٩٢٢ ، وأن الاستشهاد الذي أورده يؤيده سواء أكان كاتبه العقاد أو أحد سواه .

لو فعل صاحبنا ذلك لظهر بمظهر الباحث

لكنه أغفل هذا ، وقال أن العقاد على كل حال قد قال في بقية المقال كيت وكيت ، وقال في مقال آخر كذا كذا . . . الى آخر ما قال ، فاعلم بذلك نفسه حاملا على العقاد نفسه ، متمسقا وراء ستار البحث العلمي عن لغة الصحافة سنة ١٩٢٢ .

والعجيبة الثانية ، أن شيئا يشبه ضرب الذباب الراقد على كومة حين يهب طائرا مرة واحدة اذا أزغجه مزعج قد حدث بين الكتاب الأحمر أو ذاك ، وكلهم ينكر على العقاد أن يصف ذلك الكاتب التحرير بصم القدرة على

( ١ ) أشار الأستاذ العقاد الى هذا الموضوع في كتابه يوميات . جزء ٢ صفحة ٨٠٢ .

القراءة والفهم السليم لما يقرؤه . كأنما كان من حق كاتبهم الأحمر أن لا يفهم ما يقرأ ، ولكن ليس من حق العقاد أن يقول عنه ذلك .  
كان العقاد حريّا أن يصارع القوم وأن يبين فساد دعايتهم وانعطاف مذهبهم .

وقد فعل

كتب ضد المذهب نظرياً وتطبيقياً وواقعياً . كتب كتباً كثيرة ، كان هدفه منها . كما كان يقول لنا على الدوام . محاربة المذاهب الصغيرة الهدامة ، وأهمها كتب الميقرات ، وتمظيم العظماء من كل جيل وفي كل أمة وكل مجال من مجالات العظمة الانسانية .

فكتب عن محمد على جناح وغاندى وصن يات صن وشيكسبير وبرناردشو وغيرهم وغيرهم ، يقينا منه بأن أقرار العظمة للعظماء ضربة قاصمة لمذاهب الهدم والتحقير .

ولم يكتب بهذا بل عمد الى مبادئ الاسلام بشرحها شرحاً عصرياً جيداً يجعل المسلم يؤمن بدينه ويكون في ايمانه هذا عصرياً غير متخلف ، يقينا منه بأن في الاسلام اكبر مصل واق من حقارة هذا المذهب الحقير .

وكتب عدة مقالات في الصحف والمجلات ، كانت صريحة في مقاومة هذا الداء الويل .  
وقد أدهشني وأنا أعيد قراءتها ، أن فيها ردوداً على مساءلات تحدث اليوم . وكان العقاد بنقاد بصيرته وبمد نظره كان يتترقى حجب الغيب على مدى ربع قرن ليبرى ما سيقول الشيوعيون في سنة نيف وسبعين فيرد عليه ويفنده في سنة نيف وأربعين أو نيف وخمسين .

لهذا عزمت يمون الله تعالى على نشر الفائدة من هذه المقالات بين جيل من الناس ظهر اليوم لا يعرفها ولم يسمع بها وهو حوله من صراع المذاهب والايديولوجيات .

فاذا ما أدركت الفائدة التي أرجوها وأعد إليها ، كان ذلك مبلغ النجاح وغاية القصد المروم .  
أما إذا لم أدر كل ذلك ، فلن يخلو عملي من فائتين آخرين ، أحدهما أنني برأت نفسي من تهمة التفسير المييب ، والأخرى أن أحفظ تراثاً للعقاد العظيم جديراً بكل حفظ وصيانة خدمة للأدب وقضية التفكير الحديث .

محمود أحمد العقاد

اسوان في ١٥ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ هـ

٢ من يوتية سنة ١٩٧٧ م

## حاطم الاصنام

انما حاطم الاصنام والقييد      الحقت منها النواصير بالذئير  
 في امة اللغاب اسبقتهم      سعيا بلا نعت ولا لقب  
 في امة الاموال الشيء لمي      نسبنا من العلياء والانب  
 عجبا ، ولما شئت من عجب      اني شبيهاك انت في عجب  
 هب نكح الاصنام واهبة      لي عقوها ياسا من الغضب  
 اتظن عابدين مغفورا      صلواته في غابر الحقب ؟

ع - م - الفقاء



الناشري السباب

## مقدمة

ما يزال أمر الشيعوية يتجدد كل يوم ، وما يزال الجدل حولها لا يخبر حيناً الا احقتم احياناً ، ولا سيما في بلادنا العربية أو في البلاد اللغامية على وجه العموم ، لأنها بلاد لم ترس سفنها الأيديولوجية على بر أو شاطئ آمن ، فهي مناطق تصطرع فيها الدعايات والأيديولوجيات ، كل منها يريد أن يستحوذ وحده على المجال .

وفي السنوات الأخيرة أصبحنا نسمع من الشيوعية والشيوعيين نفخة جديدة في الدعاية الطبيعية مؤداها أن لا تعارض بين الشيوعية والأديان . وأن المؤمن بدين من الأديان ، ولا سيما الاسلام ، يمكنه أن يكون شيوعياً بغير حرج ولا مخالفة لقواعد الدين .

يقولون هذا وكان أحداً غيرهم هو الذي ساع الكلمة المشهورة « للدين القهرون الضموب » .

يقولونه وكانوا لم يكن لينين هو الذي قال في مطلع كتابه عن « المسألة الدينية » ، أن الاتحاد هو الموقف الطبيعي للإنسان .

يقولونه وكانوا لم يكونوا هم القائلين على الدوام «لأننا لا نريد فردوساً في السماء » ، أننا نريد فردوسنا هنا ، على هذه الأرض .

أخذنا نسمع هذا في السفين الأخيرة فلم يتبادر الى اذهاننا غير شيء واحد هو أن الشيوعية تريد أن تخرج من جلدنا ، أو أنها تريد أن تفعل معنا ما فعله النخب مع قطيع الشاة والغنم ، حينما لمس جلد خروف ، وأراد أن يتنس في وسط القطيع حتى يجد قرصة ينهزها فيقترس القطيع ، لولا أن حكماء القطيع قالوا له « فما هذه الخنايب في رجلك ؟ وما هذه الأنياب بين فكيك ؟ ولتأ لأشياء غير معهودة في الشاة والغنم ؟ »

أرادوا هذا ، وما نظنهم أرادوا غيره

الا أننا لسنا قطيعاً من الشاة والغنم ، ولا نراهم من الذئب في شيء وما وجه الخسبة بيننا وبينهم الا شيء وحيد ، هو أنهم يريدون غفلتنا .

ويترجمونها لنا ، فإن اقلحوا فيما أرادوا فذاك ، وإن لم يقلحوا فيه لم يكن عليهم من خسارة في التجربة على كل حال .

ولقد وجهوا نحو الاسلام بخاصة فيالقي دعواهم ، والقوا معظم ثقلهم على العالم الاسلامي العربي بوجه خاص ، وعلى مصر بوجه اخص .

لماذا ؟

اولا : لأن أوروبا الغربية قد ضعفت فيها التقاليد الدينية الى حد كبير منذ ثورة مارتن لوثر وماتلاها من انقلاب صناعي وكف لسطوة الكنسية ورجال الدين ، فهم لا يجنبون من الدين في هذه البلاد من القادمة ما يجنبونه في بلاد المسلمين .

وثانيا : لأن الاسلام دعوة لاصلاح الدنيا والآخرة ، وليس قصاراه أن يدع لاصلاح الآخرة ويمتزل الدنيا ويتركها لقيصر أو لسواه . فهو بهذا عدو ايجابي للشووعية والشيوعيين .

وثالثا : لأن بلاد المسلمين مفتاح لما وردها من السلطان البكر في افريقيا واسيا . فالاستيلاء عليها ابيولوجيا مجهود يستحق العناء في سبيله لأن الكسب من ورائه شيء عظيم .

تلك أسباب

وأظن أن هناك غيرها ، لا أستطيع الجزم بها ، منها سهولة الدعاية بين شعوبنا هذه ، لأنها لم تبلغ من النضج السياسي ما يعصمها من الاستماع الى كل كلام والافتتاع به مادام مزخرفا منمقا عزوفا يبلغ الى مكان من الاقتناع ولو بغير دليل علمي سليم .

على كل حال ، امتدثرت هذه الدعاية ، وراح دعايتها يقولون ما لا يصح أن يقال عن الاسلام ونبي الاسلام وخلفائه وصحابته وتابعيه من الرعيل الاول وما بعده من توى الكائنات عند المسلمين .

راحوا يتذرعون بمثل ماثورات ، أبي تر الفخاري ، رضى الله عنه في الاموال وسياسة المال ، وأوشكوا أن يجعلوه - وحاشاه - شيوعيا ماركسيا في الصميم ، في الفكر والتطبيق .

وكتبوا ! - -

نعم كتبوا كتباً ليس مثله الفقراء ولا كذاب .

والا فأننا مائلونهم ولجيبوننا على ما نحن سائلون : -

أكان أبو تر الفخاري يؤمن بالمادية التي تستغنى المادية فيها عن كل

تفسير فضلا عن خالق يخلقها من العدم ؟

اكان أبو تر الغفاري يؤمن بحتمية التطور الجبلى فى الماسة ، تلك  
للحتمية التى لا تدع هـ مكانا فى تصورها المقيم ، فضلا عن أن يكون هـ اليه  
مرجع الأمر كله هـ ، سبحانه وتعالى عما يصفون ١٩

اكان أبو تر الغفاري ، رضى الله عنه ، كافرا بقوله تعالى هـ انا خلقناكم  
من نكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا هـ ويقول تعالى هـ وتعاونوا  
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ومعصية الرسول هـ ،  
مؤمننا بصراح الطبقات ٢٠

اكان أبو تر الغفاري مؤمنا بأن مصير المجتمعات الانسانية كله صائر  
الى انحلال الحكومات والدول والى سيادة المجتمع اللا طبقي هـ كافرا بـمكان  
والى الأمر من الاسلام والمسلمين ٢١

اننا لا ننتظر الاجابة من الشيوعيين ، ولكننا نبادرهم بها فنقول هـ أن  
أبا تر - رضى الله عنه - لم يكن قط على هـ قال ما هم مفكرون عليه هـ  
لا أبو تر ولا غيره من المسلمين هـ

أن أبا تر طالب اصلاح على أسس الاسلام ، رأى شيئا من القنم يرى  
على عيون بعض المسلمين فى زمانه وينسبهم بعض أمر دينهم ، فراح يذكرهم  
بما تسوه هـ

لا يبيتن فيكم جائعا رجل واحد أو امرأة هـ وفى ياركم وخزائنكم فضل  
طعام هـ

لا تتكالبوا على المال لأنه زينة الحياة الدنيا هـ واجعلوا حكم الثواب  
وفعل الخير لأنه زينة الحياة الآخرة هـ

لا تستغلوا أموالكم فى افساد أنفسكم بالترف هـ وافساد غيركم  
بالرشوة أو بالظلم والحرمان والضغط لتسبؤهم فيما تحريسون بل استغلوا  
أموالكم فى تقوية أنفسكم على أعدائكم أعداء الدين وفى نشر العدل  
والانصاف ومواساة الفقير ليقوى الدين بما يفعلون هـ

ذلك ما يقوله أبو تر وغيره من المسلمين رضوان الله عليهم أجمعين  
فهل يرضى شيوعى أن يقول مثل هذا القول ٢٢

كان حاركس يميل على طالب الإصلاح الاشتراكى ويصممهم بأنهم  
خياليون حالون هـ لأنه ليس طالب اصلاح بل هو مقرر قانون علمى فى التطور  
الحتمى للمجتمع الانسانى --- وهذا تقويض ما يدعى اليه أبو تر والمسلمون

كان الشيوعيون يثيرون ضد المصلحين من حكام أوروبا والداخيين الى تخفيف ويلات الصناعة على الكادحين ، ويصمونهم بأنهم معوقون للثورة الشيوعية الشاملة ، لأن المطلوب أن يتركوا الظلم يستشري حتى يثور المظلومون ولا يريدون تخفيف الظلم ورفع الحيف والصيم عن المظلومين

كان ابن نمر والشيوعيون طراى تقيض

هذا طالب اصلاح وهؤلاء ملاب المصاد يؤدى الى الثورة

هذا طالب تعاون بين الناس وهؤلاء ملاب صراع بين الطبقات

هذا طالب ايمان بالله الذى « اليه يرجع الامر كله » وهؤلاء ملاب ايمان يخدمية التطور المادى للتاريخ

هذا مسلم ، وهؤلاء شيوعيون \*

وان يلتقى مسلم وشيوعيون \*

☆☆☆

اصبحنا نسمع هذا الطوفان الثقيل فى السنوات القليلة الماضية ، فنكرنا هذا بطوفان شبيه به فى القتل وان لم يكن شبيها به لى الكثرة والمضمون ، حدث منذ نحو ثلاثين سنة قبل اليوم -

فى ذلك الحين ، فى اواخر النصف الاول من القرن العشرين كان للعالم يهوج بمواج مواراة من المدهائات -

كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت بعد ان انهكت الاتمانية كلها ، منتصريها قتل المهزمتين \*  
وكانت روسيا السوفيتية ضمن معسكر المنتصرين

وكانت شعوبنا فى هذه المنطقة - التى كانت تميل بعواطفها الى الانان النازيين ، لا حيا فى النارية بل كراهة للانجليز والاستعمار الانجليزى - قد استدارت بعواطفها نحو الروس ، استمرارا لكراهتها فى الانجليز ، فاستمل دماء الشيوعية وعملأوها هذا الميل لينشروا مذهبهم بين الناس -

استدار الناس بعواطفهم نحو الروس ناسين دورهم فى ست السنوات التى استغرقتها الحرب متقربين لهم محالفتهم للنازيين فى مطلع الحرب واقتسامهم بولندا معهم ، ومتسامحين معهم فى تعاونهم مع البلاد للراسمالية التى ينكرون مداخلها فى الحكم والاصلاح -

وما زلنا نسمع اللوم الذي وجه لوستون تشرشل على تحالفه مع الروس ، ورده بأنه مستمد للتحالف مع الشيطان في سبيل محر النازيين وليت شعري ، لم يلام تشرشل ولا يلام ستالين على تحالفه معه ؟

إن الروسية في أيديولوجية تشرشل مولة من الدول يمكن التحالف والتحالف معها ، ولكن انيطروا في الأيديولوجية الشيوعية ، يلد رأسمالي يوجب القضاء على نظامه قبل القضاء على نظام النازيين ، ومع هذا لم يستنكر أحد على ستالين تحالفه مع الانجليز .

نسى الناس للروس ذلك

وبسوا لهم ، أو تصامعوا معهم مفتقرين متسامحين ، أن يمشروا بالوطنية التي اتكروها ، وبالحماسة الدينية التي عصفوا بها ، وبمعاطفة الأسرة وسائر القيم التي سموها أحابيل البورجوارية لتضليل الكادحين من مصالحهم الحقيقية في هذا الصراع الرهيب بين الطبقات .

نسى الناس تلك ومالوا بمواطنهم نحو الروس كراهة في الانجليز ، فاندلعت الدعاية الشيوعية متاجمة كثير من الحريق ، واستهدفت طبقات من الناس ، تشر يبهم آراءها ومذاهبها كل لغة منهم بما يصلح لها ، ولو كان ما يقال لغة مناقضا لما يقال لغة أخرى سواها على حط مستقيم .

هالك تصدى لهم العقاد

ولكن ، لماذا يتصدى لهم العقاد ؟ سؤال كثيرا ما دار في أخلاد الناس من الشيوعيين وغير الشيوعيين .

يقولون أن العقاد فقير من طبقة فقيرة هي طبقة صغار الموظفين ، فالشيوعية - على زعمهم - هي سفة وليست ضده .

ويقولون أن العقاد كاتب الشعب والجمامير منذ ثورة ١٩١٩ فهو إذن حليف الشيوعية لا عدوها المناهض للثبوت .

ويقولون أن العقاد فيلسوف متحيز ، قال في مطلع حياته من الانب المنصور ما يتمشى الشيوعيون أن يقولوه ، ولا سيما ما ورد في كتابيه خلاصة اليومية ، و « الفصل »

قالوا هذا وانتلقوا عليه ، ثم اختلفوا على التفسير ، فظن الشيوعيون أن عداءه لهم كان ردة منه عن مذهبه وموقفه ، وبينما لصميره أن يدفع له الثمن من الاطلاعيين والبورجواريين والرأسماليين .

فإن صالحتهم من هم هؤلاء الذين اشتدروهم ، خرجوا من السؤال  
والجواب واستتراء الواقع القملي الى كلام خيالي ككلام ضحايا المهلكات  
من كوكابين وهورابين ، حيث يقولون « إن هذه نتيجة لازمة لزوم الضرورات  
المنطقية ، ولو جهلنا الواقع الذي يؤيدها » .

أما غير الشيوعيين ، فما يزالون حائرين لا يدرون .

لهؤلاء الحائرين توجه قولنا بالتفسير الصحيح .

لم يكن العقاد شيوعيا ، ولا كان مهامنا للشيوعية ، بل كان حسنا  
منافضا صوالا جوالا ضدها لأسباب وأسباب .

كان ضدها لأنه مسلم

وكان ضدها لأنه وطني

وكان ضدها لأنه مصلح يبتغي الإصلاح

وكان ضدها لأنه حر يؤمن بالحرية لنفسه ولكل الناس

وكان ضدها لأنه اشتراكي

فأما أنه مسلم ووطني وطالب اصلاح فقد سبق أن بينا التناقض بين  
الشيوعية وبين هؤلاء .

وأما ما يثير الجحش عند البعض فهو أن يكون هناك تناقض بين الأحرار  
والاشتراكيين ، ولا سيما الأحرار الاشتراكيين . وبين الشيوعيين .

نعم ، إن التناقض تام كامل بين الحرية والاشتراكية من جهة وبين  
الشيوعية من جهة أخرى .

ولسنا نطيل القول ، فتمزج الحرية عند الشيوعيين هو ، دكتاتورية  
الطبقة .

هذا اعتراف صريح بأن المذهب دكتاتوري ، وأنه لا يعترف بالفرد بل  
بالطبقة ، وأن الحرية الحقيقية ليست هي تلك العجلة البورجوازية التي  
يسمونها الرأسماليون بالحرية الغربية ، بل هي أن لا تكون من الدنيا الا طبقة  
واحدة هي طبقة الأحرار الكادحين الحاضمين لنظام طبقتهم المتسلطة عليهم  
وعلى مصائرهم أجمعين .

وأما أنها ضد الاشتراكية فلأنها مذهب رأسمالي .

نعم هي مذهب رأسمالي لا اشتراكي .

هذه القضية تحتاج الى بيان ، وإننا هنا مبدئيه .

فالاشتراكية - على مختلف مذاهبها الكثيرة - تتفق في مبدأ أو مبادئ

مقدمة ، كلها من قبيل الإنسانية التي يحبها المصلحون . هذا المبدأ  
الرئيسي هو أن يؤخذ من العنى ليعطى للفقير ، بشرط واحد هو أن يبدل  
الفقير قضاى طاقته للكسب ثم يمان على العيش الكريم فيما وراء ذلك  
ولا يسمح له بالتكاسل و « التثيلة » لأكل من مجهود الآخرين .

وتختلف المذاهب الاشتراكية فى المسبل والكيفيات المؤدية الى هذا  
الهدف . معناها ما يلجأ الى الضرائب مأخذها من المومرين الكاسبين ليقدم  
بها خدمات للمعسرين فى التعاميم والصحة وما شابه ذلك من الخدمات .  
ومنها ما يجعل الحكومة عاملاً اقتصادياً للتصحيح . حين تدخل السوق  
مشتريه أو بائنه أو منتجة أو حادمة . لكى تقضى على موجة بطالة مثلاً أو  
تكف من شر احتكار ما . ومنها ما يرى أن الاشتراكية التعاونية التى تتمد  
عن الحكومة وتبعد الحكومة عن مجال النشاط الاقتصادى للمجتمع هى  
الوسيلة الناجمة والباحة فى تحقيق هذا الهدف المنشود .

وغير هذه أشكال أخرى وأماط  
أما الشيوعية فليست من ذلك فى شيء قط .

الشيوعية - إذا أردنا بالنظرية بون التطبيق - ترى أن الرأسمالية  
معناها ملكية أدوات الانتاج ، على رغم من رغم أن الآلة والحامة وإبنى  
الذى يضم المصنع والمصدر والمكتب هى رأس المال - فيكون مسالك هذه  
الأشياء هو الرأسمالى . ومجموع ملاكها فى النظام الحالى للصناعة هم  
طبقة الرأسماليين الذين تجمعهم مصالح مشتركة تقاضى مصالح المماليك  
الأجراء الذين يعملون فى مصانعهم .

هذه الرأسمالية يجب أن لا تبقى فى أيدى هذه الطبقة . ومضى تم النصر  
للطبقة العمالية على البرجوازية فى صراعها الطبقي . الت هذه الملكية  
الرأسمالية للطبقة فصارت هى الرأسمالى للوحيد .

الشيوعية إذن رأسمالية الطبقة

نعم ، لكن رأسمالية الطبقة لا الأفراد ، لكن عاملة فى توزيع الانتاج  
على المال لأنها لا مصلحة لها فى نهب جزء منه فى صورة فائض القيمة  
الذى يدعون ، ولكن ما شاعت ، إلا أنها رأسمالية ، وإن يعبر من جوهرها  
الرأسمالى وصفتها للرأسمالية شيء .

يقول لنا المنطق أن « رأسمالية الطبقة رأسمالية » قضية تحليلية من  
قبيل تمصيل الحاصل ، تحمل صدقها فى ذاتها على أساس أن « الشيء هو

نفسه ، أو أن ، ١ هي ١ ، وأنها تكون كاذبة إذا أنا وصفت الشيء بأنه غير ذاته . كان القول مع الدعاة الشيوعيين ، أن الرأسمالية الطبقة اشتراكية ، وهذا اعاء كاتب يعنيه أن القول أن ، السبب الطائرج عتب ، ولكن العتب الحامض شمس أو رجاء ، .

هذا إذا اخذنا بالنظرية دون التطبيق

أما لو اخذنا بالتطبيق فكل الفارق هو أن الشيوعية عند مطبقها هي ملكية الدولة لوسائل الانتاج . أي أن الدولة هي الرأسمالي الوحيد ، وذلك إلى أن يتم النصر العالمي للطبقة الدنيا في صراع الطبقات . إذ عندهم أن الشيوعية مرحلتان ، المرحلة الحالية وهي مرحلة نكتاتورية الدولة ، ورامسمالية الدولة . والمرحلة الأخيرة بعد النصر الأخير وهي نكتاتورية للطبقة ورأسماليتها .

أما هي رأسمالية الدولة - وما يقال في سابقتها يقال فيها لأن رأسمالية الدولة لن تكون شيئا آخر سوى الرأسمالية ، وكل الفرق بينها وبين رأسمالية الشركات والمرتقات أن هذه رأسمالية الهذرات والمؤسسات -

فإذا ما عينا لناخذ بالتطبيق الفعلي الذي كان ، لوجيما مصداق ما تقول في كل البلاد التي أحدثت بالشيوعية أو أخذت بها رغم أنها - نكتاتورية رأسمالية ، نكتاتورها رأس الحكومة ، ورأسماليوها هم المنتفعون منه ممن يستهلكون ولا ينتجون .

ذلك هو جوهر الشيوعية  
وجوهر العقاد كما تعلم صد هذه الاتانيم جميعا . وضدها المناهض لها بكل دراسة القتال وعنق الصراع .  
ذلك هو السبب في عدائه للشيوعية .

★★★

تصدى لهم العقاد في ذلك الحين منذ ثلاثين سنة أو نحوها ، وكان العقاد كالمعروف عنه علما مستعرقا لمالم الفال ، ومنطقا بيذا جنيا لا يقلل المحادلة الكثيرة ، ولنا رائعا في عرض القضية وتفيدها ، وأبدا قل نظيره في الألباء القدامى والمحدثين .

توجه إلى فئات الناس من العمال والطلبة والمهاجرين ومحوهم ليصارح دعاة الشيوعية في ميدان سيايتهم ،  
وتوجه للأرذال الشرعيين من الرأسماليين يقول لهم تحلصوا من بعض ضياتكم وقابلوا الفقراء في منتصف الطريق -

وتوجه ليريدى المعرفة يشرح لهم ويبين ما غمض عليهم من أمر هذا  
الماضي الهدام الضخيل .

وانك لتقرأ ما كان يقوله في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات عن  
هذا القرن ، فيميل إليك أنه ما يزال على قيد الحياة يعيش معنا ويدلج بدلوه  
في مشكلاتنا الحاضرة التي نمارسها في كل يوم .

وحسنا فعل ابن أخيه الأستاذ محمود أحمد العقاد إذ أعاد نشر هذه  
المقالات التي تناثرت في الصحف . لكي يضمها تحت كتاب . نرجو الله أن  
يكون كتاباً أو كتيبة في حزب الله . تندرج أمامها الكتابات جميعها من حرب  
الضباط والله الموفق لما يحبه ويرضاه . هو نعم المولى ونعم النصير .

أحمد إبراهيم الشريف

القاهرة في ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٩٧  
١١ من مايو ١٩٧٧

## اللفز الاحمر

كان لفرز احمر حقا تلك اللفز الذي واجهه النازيون يوم انضموا على  
الخزوة الروسية .  
كان احمر قاتبا مشبها بالاحمرار لانه اصطبغ بدماء الملايين ، لا لانه  
ينتمى الى الروسية الحمراء وكفى .

فقد واجه النازيون الغازا كثيرة في هذه الحرب الممالية . وقد كان  
جهلهم بها وبالا عليهم لانهم جهلوا ما يماربون فلم يستمعوا له بعدته  
الروحية . وليس احقر على الخصم من ان يجهل خصمه في ميدان بصال ،  
لان الاستعداد لكل عنو يستلزم العلم بما عنده وان صغر شأنه ، فكيف بالعدو  
الحظير ؟

ولكننا لا نجسبهم جهلوا من الالغاز التي قضت عليهم شيئا كما  
جهلوا بذلك اللفز الاحمر ، او لفر روسيا الحمراء .

جهلوا قدرتها على المقاومة . وجهلوا قدرة الصائم على مقاومتها .  
فيالموا في الاستعفاف بها وبالفرا في تفوير المالم منها ، وحافات بهم  
جريدة المبالمة في العالتين .

وقع في حسابهم ان الدولة الروسية لا تصمد لعير للمهجمة الاولى ثم  
تقداهي من داخلها .

وقع في حساباتهم انهم يضيغون العالم بخطر الشيوعية فيقبل منهم  
المساومة على كل شيء ويمضي لهم عن كل جريمة ، ويستكين لهم كما يستكين  
الطفل لمن يتوعدة بالببيع او بالمول . ويموا على كل ذلك حسابا طويلا  
هريضا لم يصدق منه كثير ولا قليل .

وليسن الطفلة في كائنا الحالتين من غلطات التمرينات المدرسية التي  
تترق مرة مما او مرة هناك . ولكننا الطفلة التي تزول بها سول وتشقى بها  
شعير .

ان الشيوعية مذهب غير فايل للتنفيد في نطاق واسع ولا الى زمن  
يعيد .

ولكن ما معنى هذه الحقيقة التي لا شك فيها ؟

معناها الحق ان الشيوعية تتحول شيئا فشيئا عن مبادئها الاولى ،  
وانها تحقق ادا هي حاولت ان ترفع الأمم على قيوها .

هذه هي النتيجة المقولة لأخطا المبادئ الشيوعية ، وقد ظهرت  
بواكر هذه النتيجة قرأينا الشيوعيين يتحولون عن مبادئهم الكبرى في مسألة  
الملكية ومسألة الأسرة ومسألة الدين ومسألة الميراث وغيرها من القواعد  
الأساسية التي قامت عليها الدعوة الماركسية -

كذلك ظهرت بواكر هذه النتيجة في لقاء الدولتين الثالثة وعقول الحكومة  
الروسية عن الدعوة الصريحة إلى المذهب الماركسي في البلاد الخارجية .  
أما أن الشيوعيين يتورعون على حكوماتهم لأن المبادئ الماركسية  
خاطئة فهو شيء آخر لا موجب لافتراضه ولا لتقديره ، بل هناك موجبات  
كثيرة للشك فيه أن لم نقل للحزم بطلانه .

فاشيوعيون لا يؤمنون بحل الماركسية ولا برجحان المذاهب الأخرى  
الموروثة ، فهم يثورون للدفاع عنها ولا يثورون لهدمها والانتفاض عليها ،  
وكل من يحمل السلاح في روسيا فهو رجل بين السادسة عشرة والحادسة  
والأربعين إلا في الحادر القليل ، ومن بلغ الحادسة والأربعين اليوم لم يكن  
يتجاوز السابعة عشرة يوم قامت الحكومة الحمراء في روسيا قبل ثمان  
وعشرين سنة على أعقاب الحرب العالمية الماضية ، ومن لم ييلعها مهر وليد  
في ظل الحكومة الحمراء أو ماثره على يديها ، ومعنى ذلك أنهم نظروا إلى  
المنيا فلم ينظروا فيها شيئا غير الشيوعية ولم يسمعوا غير الأشادة بفضلها  
والزراية على المذاهب الأخرى ، ولم يتسمع لهم المحال قط للموازنة بينها وبين  
تلك المذاهب ثم تفضيل تلك المذاهب عليها .

فليس أحق ممن يحظر على ياله أن هؤلاء جميعا يثورون على حكومتهم  
وينصرون العدو الأجنبي عليها ، ولا سيما إذا كان ذلك العدو قنيم المداوة  
للجنس الملاقي كله ، وكان هو المغير المتمدن في هذه المرة بغير سبب  
واضح أو مصدر مقبولة ، ولم يعرف عن الرومانيين قط أنهم جبناء في حروب  
الدفاع عن الوطن المهدد ، وأن كانوا لا يشعرون بالحامسة القوية في حروب  
الهجوم .

### ☆☆☆

ولم يجهل هتلر قدرة اللعن الأحمر على المقاومة وكفى .  
ولكنه قد جهل قدرة الأمم الديمقراطية على مقاومة الشيوعية بوسائلها  
التي لا تمسستها الحكومات النازية -

والواقع أن تهويل هتلر ، بالبيع الأحمر ، على الأمم الديمقراطية لن  
يفسر في ياطله لأمر واحد .

لقد بلغ من إيمانه بهول هذا « الجمع » أنه ترحم أن رسوله « هس » لا يثبت أن يتزل بالحزب البريطانية ويعرض على أهلها عزم التآذين على محاربة روسيا الحمراء حتى يعموا خطرهم ولا يذكروا شيئاً غير ذلك الخطر الأحمر الذي ترتعد له الفرائس وتزغ الألبصار .

ورسخت في ذهنه الكليل وأدهان أعوانه الخبوليين هذه العقيدة حتى خيل إلى « هيلر » في اللحظة الأخيرة أن الأمم الديمقراطية تصانحه وتصالحه إذا رفع لها شبح « اليميع » من جنيد بعد أن وصل اليميع إلى برلين .

لم كل هذا الإيمان بهول الشيوعية وخطرها ؟

انه يخافها كل هذا الخوف لأنه يعلم أن وسائله في مقاومتها كاذبة حادة ، وأنه لم يصنع شيئاً يعصمه منها ويحول بينها وبين الفساح في بلاده متى وصلت إليها .

لأن وسيلة النازيين إلى علاج مشكلة العمال المعاطلين كانت حيلة عاجزة وخيمة العاقبة لا يعنى بها أحد من الناس حينما أرادها . كانت وميلتهم كلها في علاج مشكلة البطالة تشغيل العمال في مصانع السلاح . وبلغ من سجع بعض الناس يومئذ أنهم ضربوا المثل بهذه البراعة للامم الديمقراطية . كأنها كانت تمبى بها ولا تستطيعها .

مع أن الديمقراطية قد شغلت في مصانع الحرب عشرة أصعاف أولئك العمال الألمان والايطاليين حين ادارت مصانعها على السلاح والذخيرة .

فليست هي معجزة مازية أو فاشية ولكنها حيلة عمر وحيلة « يسوية » لكل من يريد ، ولم يطل بها الرمي حتى تهيئ للعالم كله أن النازيين والفاشييين قد أعطوا العمال موتاً رؤاماً ولم يملطوهم عملاً يعيشون به أو يعيش به أبناؤهم من بعدهم ، وأنهم حرروا بلادهم وسفكوا دماءهم ونشروا البطالة والمور بين كسارهم وصغارهم من جراء ذلك التعبير العقيم . . بل للوحيم الذي يلد الفقر والمرض والموت والبرار .

ولا نقول ذلك اليوم لأن العاتمة قد ظهرت للمعابر ظهوراً لا يقبل الشك والجدال ، ولكننا قلناه قبل نشوب الحرب وبعد شويها ، وكرريه في كتاب هتزل في الميران (١) يوم كان هتزل يقتحم المعازل ويعتوق السمود ويلقى التصفيق والتهليل من الصحف والمطليين وهم في هذه الدنيا غير قليلين .

---

( ١ ) كتاب للمؤلف صدر سنة ١٩٣٩ .

فكتبنا يومئذ نقول في صفحة ١٨٢ :

« وجلية الأمر أن النازيين عالجوا البطالة بتشغيل العاطلين جنودا في الجيش ، ورتباء في ديوان الحاسوسية ، وعمالا في مصانع السلاح والبحرية . ونزلاء في معسكرات الاعتقال ، وأجراء بانصاف أجور وأرباح أجور ، وكل علاج من هذه الملاحات يؤدي إلى كارثة منقطة تهوّر إلى جانبها كارثة البطالة ... لأن تشغيل المصانع بالسلاح والفخيرة لا بد أن يقف أو ينجم فإن وقف فهناك صنعة الركود المفاجيء وكارثة البطالة من جديد . وإن دلم هناك دوام الكساد ورحص العملة وضرورة البحث عن مصرف للسلاح في القتال والتحريب ... »

ثم قلنا بعد صفحتين :

« وهكذا مشكلة البطالة مثلا في البلاد الديمقراطية . فإن هذه البلاد لم تحسم داءها حتى الساعة ولا تزال تعالجها بالاعابات تارة وانتشاء أعمال الإصلاح والتعمير تارة أخرى . إلى ما شابه ذلك من المسكنات والمصنعات . ولكنها مسكنات الطب وليست بمسكنات الشعوب . ثم هي حيرة سليمة الخفية وليست بيداء كاتب يخلق إلى جانبه عدة أدواء ... »

فالنازيون كانوا يهولون ، بالمجيع ، الأحمر كل ذلك التهويل لأنهم

يعلمون عجزهم عن مقاومته وتجييلهم الوخيم في علاج مشكلة البطالة .

لكن الديمقراطية تعالج تلك المشكلة كما أسلفنا معالجة الأطباء لا معالجة المشعوذين ، وتستطيع أن تقاوم الشيوعية بالتبشير السليم الموثوق به حين يرجف منها النازيون فيجوهون بها الناس كما يحافون .

لقد كان اللفر الأحمر أخطر على القوم من لمر أبي الهول الذي هيل في أمابطير الأكيمس أنه يقتل من يعجرون عن مهمه وحله بضربة مأخية .

وقد أخطأوا مهمه وأخطأوا حله فهلكوا . وأنها لميرة عالية كبرى تستحق من أقلاما وعقولنا وقفة طويلة بل وقفات جد طوال . لأننا نريد أن يذكر أبناء الشرق دائما هذه الميرة المألومة ، فلا تفرم المداهب الدكتاتورية وهي تملط القلطة الواحدة في رأس واحد من رؤوسها فتمصف بجهود الملايين . ولأننا من الجساسب الأحمر نواجه مشكلات كثيرة في أمستقين القريب ...

فلنكن على حذر - أشد الحذر - من علاج المشعوذة والتدجيل فهو علاج ميسر لمن شاء ولكنه يميت المويص ولا يحيى عن الأطباء .



الناري السباي

## الشيوعية • • عقيدة ونبرة

بين كل ألف يتكلمون عن الشيوعية لا تجد أكثر من عشرة يسمعون شيئاً عنها ولا تجد أكثر من واحد يفهمها على حقيقتها أو ما يفرب من حقيقتها وربما كانت المبالغة في هذا القول إلى جانب الزيادة لا إلى جانب النقصان •

فالقول الشائع على الألسنة أن الشيوعية برنامج إصلاحى لتحسين أحوال الطبقة الفقيرة سواء كان هذا البرنامج على مدى أو على صلال ولكن الواقع أن الإصلاح الاجتماعى فى الشيوعية مسألة ثأبوية ثانى فى عرض الطريق ولا تأتى على سبيل التوكيد والتحقيق •

أما الشيوعية فى حقيقتها فهى عقيدة ونبرة • ولا يهمها الإصلاح كما يهمها تقرير تلك العقيدة وتحقيق تلك النبوءة • ولو شقى بهما الناس •

فالعقيدة الشيوعية هى إنكار كل شئ فى الوجود غير المادة والمائبات، فليس للوجود عقل منبر ولا روح ملهم • ولكنه مادة فى مادة • ومن مادة إلى مادة • بين الأزل والأبد بغير ابتداء ولا انتهاء •

وقد اهتم ماركس وإنجلز وغيرهما بآثبات هذه الدعوى قبل اهتمامهم بأى إصلاح وأى تحسين فى أحوال الطبقات •

ولهذا سعى مذهبهم بالظلمة المادية الجدلية أو الثنائية وانصرفت جهودهم قبل كل شئ إلى التفسير المادى للتأرجح

فالأديان كلها أن هى إلا جملة مصوبة لتعطيب مصانيع الأعباء على مصالح الفقراء •

وهذا مع العلم بأن الأديان جميعاً تتضمن من التواهى للأغنياء اصعاف ما تتضمن من التواهى للفقراء • • •

والفنون الجميلة وما احتوته من الآداب والندائى ليست إلا تمثيلاً اقتصادياً لأهواء الطبقة العالبة فى المجتمع • بقوة الاستغلال •

والأخلاق الإنسانية كذلك لم تتولد من شئ غير ما يسمونه بنظام الإنتاج على حسب اختلاف العهود •

أخبار اليوم ١٩٤٦/٧/٢٧

وهكذا تصبح الحياة الإنسانية كلها في عرف هذا المذهب « متواردة »  
بورصة أو لعبة مسامرة لا أكثر ولا أقل في هذه السوق السوداء التي تصبى  
تارة بالكون وتارة بالوجود .

هذه هي العقيدة .

أما البؤسة فهي أن حرب الطبقات بين أصحاب الأموال والعمال  
ستنتهي إلى بقاء طبقة واحدة وزوال جميع الطبقات الأخرى . ولا تتحقق  
نبوءة كارل ماركس إلا على هذا الموضوع دور سواء .

فلو وجد كل صانع في الأرض عمله وورثه الذي يفتيه لما رضى  
الشيوعيون ولا عدلوا عن الثورة وقتل جميع الأوصاح . لأن أهم عندهم  
هو تحقيق تلك النبوءة لا تحقيق الإصلاح وتغيير العمل لكل قادر عليه .

ولهذا يهتفون كل إصلاح ويتهمون كل برنامج ولا يقنعون بما دون  
هذه العاية بحال ، وهي زوال الطبقات وبقاء طبقة واحدة تستمر هكذا إلى  
آخر الزمان .

ولو جاش « كارل ماركس » لرأى يمينه أن زوال الطبقات مستحيل  
ولو بذلت الحكومات في سبيله كل مجهود .

فإن روسيا الشيوعية بسطها حفت عليها مضع سنوات فأصبح فيها  
ثلاث طبقات تتفاوت في العيشة والسيادة والنفوذ . فهناك طبقة القادة وكبار  
الموظفين وندجوى المصانع والندجوير . وهناك طبقة الفبين المشهورين باسم  
« المتحانوفيين » بسمة إلى « الكسي ستمانوف » الذي ابتكر الطريقة المعروفة  
باسمه لزيادة الإنتاج . وهناك طبقة الصناع « القراء » وهم يتناولون بحافاف  
للطعام والكساء والسكن غير بطاقات هؤلاء هؤلاء .

فبينما يأكل السادة الكافيار واللحوم والخطوى ويركبون السيارات  
ويمسكون القصور يعيش « المسمرى » عيشة الكفاف ويحضمون في  
سكنهم وأقامتهم لأوامر الرئيس الذي يوجههم في العمل والحيشة كما يشاء ،  
ويحرمهم عليهم الاحتجاج والاضراب لأنه يعاقب كما تعاقب خيانة السبولة  
بأقصى عقاب .

وليس أدل على حقيقة الحالة التي وصلت إليها تجربة الشيوعية  
في روسيا من هذه الحواجز التي تقام حول البلد الروسية وحول كل قطر  
من الأقطار يحمل في حوزتها .

فكما لا شك فيه أن النجاح لا يتوارى عن الانتظار ولا يجب أن يتوارى  
عنها . . . وحسبه أن يظهر للناس فسادا هم « قيفون » عليه أخبون بقنوته ،  
في غير حاجة إلى دعاية ولا ترغيب ولا اقتناع .

ومعذ أيام كنا نذاكر حديث المذاهب الاجتماعية مع بعض الزملاء  
في مجلس الشيوخ قلت : اننى لا اقترح على الحكومة غير طريقة واحدة  
للمقاومة الشيوعية تعنيها عن كل طريقة ، وهي ايقاد ألف مصري من مختلف  
الطبقات والأعمار الى البلاد الروسية . فاذا قبلتهم الحكومة الموقوتية  
شهدوا الأمور بأعينهم وعادوا الى شعوب الشرق بمقطع الحق المبين في هذه  
الدعائيات والأوهام ، واداء رخصتهم علم الشرقيين جميعا ان التجربة تحتاج  
الى الصبر ولا تعتمل الظهور وان كل ما يقال عن نجاحها تمرير بالعقول  
ومناقضة للعيان .



ومن تصوير الشيوعية على غير حقيقتها ان يقال ان الحجر عليها  
مخالف لجباية الديمقراطية .

فان الشيوعية في دور العمل مؤامرة تفقد وليست برأي يمشي في حدود  
الحرية المباحة .

لان احوال كارل ماركس واتباعه صريحة في ان العمل للشيوعية هو  
العمل للثورة الدموية ، وان الشيوعيين يجب ان يتمتعوا الثورة قبل اوانها  
اذا تأخر هذا الاوان لتأخر الاطوار الصناعية في بعض البلاد .

فالمرعب على الشيوعية انن هو صبر على جريمة في دور التمهيد  
واعمال لجميع القوانين . وليس من الديمقراطية ان تترك الجرائم تحت  
سمع الحكومات وبصرها الى ان تصبف بالحكومة وبالجموع وبالشرائع  
كلها على السواء .

هذه خلاصة موجزة لمقيفة الشيوعية . فهي مادية حائقة وببوء كاذبة  
ولا شأن لها بالاصلاح الاجتماعى الموعود الا في عرض الطريق .  
وانا كان اطفال الابواب على روسيا الشيوعية ليللا محسوبا على  
حقيقتها فهناك دليل محسوس على روحها لا يقل عن هذا الدليل في الوضوح  
والثبوت .

ففى عهد الاستبداد القيصري تبع قى روسيا عشرات من الكتابات  
والادباء الصالحين امثال تولستوى ودستيفسكى وبرجيف وشيخونو  
وبريباشف وجوركى ويوشكين وجوجل واهوان هذا الطراز .

ماين هو الانسب العالمى الذى تبع فى ظل الشيوعية مع كثرة الكتيب  
التي يطبعونها هناك ؟

لقد نبخ بعض الأدياء الشيوعيين نبوغا محليا لا يستحق الشهرة في أرجاء العالم فامتدح اثنان من اكبرهم وهما ميالكوفسكى وريستين ومات امامهم امكندر بلوك ميتة مشتبها فيها . . . وهو في ضحوة الشباب .

ومعنى ذلك ان ظل الشيوعية المادى اشد خفقا لروح الأمة من استبداد القياصرة ، على الرغم من كثرة القراءة ووفرة المطبوعات .

وموضع العجب عند بعض الناس ان يوجد بين الشيوعيين صهيونيين اصحاب ملايين . واسيا يعجب المتعجب من هذا لاعتقاده ان الشيوعية والثروة المادية ضدان لا يهتمان .

ولكن الواقع ان اشتغال الصهيونى صاحب الملايين بالدمرة الشيوعية مسألة طبيعية معقولة ليس فيها موضع للعجب على وجه من الوجوه .

فالشيوعية تروج الصهيونيين من اكبر العقبات التي تحول بينه وبين السيادة على العالم وهي عقبة الانبياء وعقبة الأوطان . والصهيونيين لا يسنكون في تحيلة معوسهم ان الشيوعية تقضى على سلطان الأموال ولا على الحيل الاقتصادية . فاذا استرأوا من مقاومه الانبياء لهم ووقف الأوطان في وجوههم لم يبق بعد ذلك حائل بينهم وبين السيادة على العالم عن طريق الحيل الاقتصادية واللعب بالصفقات بين الشعوب .

ومضى اضعا الى ذلك ان الصهيونى الشيوعى لا يتفق من ماله بل يتفق من مال غيره ويستعيد كما يستعيد الوسيط الماهر بين الأخذ والمطاء فقد زال العيب كله واصبحت الشيوعية نوعا من الصفقات التي تدر المكسب الجزيل على طلائع الأرياح .

على ذلك تلحق نظرة واحدة الى الصهيونى الذى يشر الشيوعية في مصر والشرق فنعلم انه فرصة لملة نفسية تدفعه الى هذه الحركة وان لم تدفعه اليها سبقة السمسرة وعقيدة الصهيونية .

فهو من الحلائق المهرولة المسوخة التي تشهر أبدا « مركب النفس » ولا تستمرى الحياة الطبيعية كما يستمرئها الأصحاء نحو الحلق السوى والفطره المستقيمة . وامثال هؤلاء يظهرون تحويض النفس ويتقنون على كل موجود ، وتسببونهم كل حركة تفسد الجو وتحيل بالهدم والانتقالي .

ويدبر ان ترى شيوعيا لا يعطوى على مركب النفس وبسيلة الحقد

والكراهية ، فأنهم يقيمون في حركتهم عن كراهة للأقوياء والافتخاء لا عن  
حسبة للضعفاء والفقراء ، وحسبك أن تعرفهم في حياتهم الشخصية لتعرف  
أنهم لا يدعون إلى خير ولا يهتمون بخير ، وأن مستقبل النوع الإنساني عندهم  
لا يساوى شيئاً إذا اشتقت صدورهم من الحسد وشبهوا من شهوة الهدم  
والفخري<sup>٥</sup> .

فمن أراد أن يضع الشيوعية الماركسية في موضعها الصحيح فليضعها  
إلى جانب الفبودات والعقائد ولا يجمعها مع المذاهب الفلسفية وبرامج  
الإصلاح .

ولكنها نبوءة كاذبة وعقيدة لا تشرف الإنسان ، لأنها تعتمد على  
أفسس ما فيه وهو الحسد والشر وإنكار كل شيء في الحياة غير ضرورات  
المادة ومطالب الحيوان .

ولو ظهرت عقيدة بين اليهاثم المجهلاء لما كانت أقل من هذه العقيدة  
« الوسخة » لا في المقاصد ولا في الأصول .

## الى المتعلمين

من قروير الشيوعيين انهم يتقاطبون كل فئة من الناس بالاسم الذي يروق تلك الفئة ويتناسب مطوحاتها .

فهم يتسمون باسم « المتقدمين » اذا خاطبوا طوائف الثييان المتعلمين ، لان الشباب المتعلم تستهويه كلمة التقدم وتمجبه دعوة الارتقاء .  
اسما الحقيقة العلمية التي يقوم عليها الدليل من الواقع ، فهي ان الشيوعية اصولا مظاهر الرجعية بالنسبة الى الانسان . مسواه نظرنا الى الماضي او نظرننا الى المستقبل الذي يبشر به الشيوعيين .

فاذا نظرنا الى الماضي فليس في المذاهب الفكرية مذهب يرجع بالانسان الى نكسة احط وابد من نكسة هذا المذهب الوضعي .

فليس في الشيوعية عقيدة واحدة لا تصلح لان يبنى بها الحيوان الاعمى . ان كان للحيوان الاعمى نصيب من الايمان او تكوين الاراء .  
لان الحيوان يستطيع ان يؤمن بان الحياة لها « علم » وخطيرة .  
وانه لا حاجة فيها الى الاسرة ولا الى الوطن ولا الى الدين ولا الى ناموس الاخلاق ولا الى تقاوت بين الاقدار .

لا مانع عند بقرة من المقرات تؤمس بها « التقدم » المرعوم لانه لا يتطلب منها ان ترتقي خطوة واحدة وراء مدركة البقر السائم وقد تمحبر من هذه المفزلة درجات الى ما فوق درجة « الفقاريات » ولا يمنع عليها بعد هذا الانحدار ان تؤمس بكل ما يؤمس به الشيوعيون !

اما اذا نظرنا الى المستقبل فليس في مذاهب العقول مذهب اشد انكارا للتطور من الشيوعية لانها تنادي بان الشيوعية هي مهاية التطور في الاجتماع البشرى فلا يزال الناس بعدها الوب السنين . بل ملايين السنين . وهم واقفون عند هذا الطور غير حساب لعوامل النفوس ومواقع الحياة .

واذا افترنا من الماضي الغريب ولم مذهب بالرجعية الى مرتبة الحيوان ، فالشيوعيين لا يسمحون لمثل من العقول ان يكشف حقيقة جديدة تحالف « الوحى الأخير » الذي تنزل على عقل كارل ماركس في اواسط القرن التاسع عشر .

اشرنا في مقال سابق اشارة موجزة الى مؤتمر علم النوييد الذي اجتمع في لتجراود سنة ١٩٣٢ وقد ان تجارب علم التوليد وتطعيم النيات يميى ان توافق قواعد المادية الثنائية ، التي قررها كارل ماركس وختم بها علم الانسان الى نهاية الزمان .

وفي كل بلد تختلف آراء العلماء وتنطلق الحرية لهم في البحوث العلمية بتقنين فيها مع تقدم العلم ووسائل الاختيار .

لكن العالم الذي يهنيه البحث في روسيا التي كشف علمي يخالف مذهب كارل ماركس جواز الموت أو النفي أو الاعتقال .

وهكذا كان جزاء ، فايلوف ، فإنه حكم عليه بالاعدام ، وجزاء ليفتمسكي استاذ علم الجنيا وتلميذه أفملوف فانهما سجنا في معسكرات الاعتقال ، وجزاء شتريكوف والفرويمسون ، فقد نفي الى ساجل ميديريا ، وجزاء أجول وفري قد نفذ فيهما حكم الموت ، ولحق بهما لفيت واليجن وغيرهم من علماء البحوث الطبية والبياتية وبحاجة علوم الخلايا والتوليد ، لانها العلوم التي كذب نظريات كارل ماركس التي لا يجوز للعقل البشري أن يكشف نظرية غيره ، من طريق البحث أو طريق التفكير .

هذه أسماء بسوقها للمعلمين من الأطباء خاصة ، لانهم يستطيعون أن يتبعوها في مراجع بحوثها ، أو يستطيعون أن يسألوا عنها أولئك الدجالين الذين يتسمون امامهم باسم التقدميين وطلاب الارتقاء .

أكثر من خمسين عالما قتلوا أو سجنوا أو سيقوا الى المنفى السحيق ، لأن بحوثهم لا توافق الوحي المزل على كارل ماركس في أواسط القرن التاسع عشر ، وهكذا يعني أن تكون الحرية العقلية : حرية التقدميين ولدى الآراء التي تنطلق من جميع القوي .

### ★★★

فإذا تمولنا من جانب البحث العلمي الى جانب الفن والأدب ، فلا حاجة بنا الى أكثر من الحقيقة الماثلة التي لا يستطيع أجرا الكذابين من الضيوعين أن يبعث الشك الى حرف واحد من حروفها ، وهذه هي الحقيقة .

- أن ايسين اشهر الفلاحين من الشيوعيين مات ستمرا
- مايفكوسكي اشهر الصناع من الشيوعيين مات منتفرا

استكسر بلوك أكبر أبناء الشيوعيين في هذا الجيل قتل في هانك هويد ،  
بونين الكاتب الروسي الذي استحق جائزة نوبل هارب من البلاد الروسية .

ولا ينقضي عام واحد دون أن يصدر الامر للحاسم من الرقابة بمصادرة كاتب أو كتاب

وأخر ما صدر من هذه الاوامر في هذا العام أمر بالحجر على هونبرج وزملائه يقترون به أمر الى المطابع والمصحف بتحريم طبع الكتب التي يؤلفونها وتحريم التعقيب عليها .

فإن لم يكن هذا كافيا فيرجع « التقدميون » المرجعون الى نتائج روسيا من الأدب في اظلم عهود القيصرية . وتناجها من الأدب في عصر « التقدم والارتقاء » .

لقد انجبت روسيا القيصرية أدباء عالميين من طراز دوستيفسكى وتولستوى وترجيف ويوشسكين واندرىيف وشيكوف وغيرهم من الكتاب والشعراء .

انجبتهم في عهد الامية والاستبداد .

فأين هم أدباء الروس العالميون اليوم ؟

أين هم مع ارحام العالم بالناصريين المسفرين لتشر الأدب الشيوعية في كل بقعة من بقاع المعمورة ؟

لم تنجب روسيا الشيوعية أدباء فردا من طراز هؤلاء .

لأن ظلام القيصرية أرحم بالواهب الانسانية من مذهب يستح الاتسار ويهبط به الى مراغة العشرات .

أبها الشبان المتعلمون ان الذي يخاطبكم وجعل لم يكن من اصحاب القصور ولم يكن .

ولم يكن من اصحاب التراكات ولم يكن .

ولم يكن من اصحاب الأموال ولم يكن .

وإن الشيوعية ان تضبره من جهة المال . بل لعلها تغدقه عليه كمنه تمدحه على دهاتها الماجورين .

انما تضبره الشيوعية في شيء واحد . وهو كرامته الانسانية وليس في العالم شيء بعدها يحرص عليه انسان .

وهذه هي الرقائق . وهذه هي حقيقة الحال عند هؤلاء التقدميين . فسبقوها ان لا تصبقوها فما نحن ممن يستجدي التصديق أو يمسك اليه صائليه ممن يحتاج اليه .

انما يعميكم انتم ان تفتاروا بين الامية وبين حصح الادمية . وان تعرفوا أين طريق الفكسة وأين طريق الارتقاء .

## الى العمال

خاطبنا طلاب العلم في مقال سابق عن الدعاوى البلاطية التي ينهزها  
همة الشيوعية بين الطلبة باسم « التقنيين » .

ونوجه الخطاب اليوم الى طوائف العمال فنقصر القول على الحقائق  
التي تعنيهم من الدعابة الشيوعية وتكهن من شاء من الشيوعيين أن  
ينقض حيلة واحدة منها ، لانها قائمة مضمومة لا تحتاج الى تحليل وهي :

١ - لا تقل ساعات العمل في البلاد الروسية عن ثمانى ساعات في اليوم ،  
وتزيد حتى تبلغ اثنتى عشرة ساعة في الصناعات الكبرى .

٢ - ليس للعامل حق في اختيار المصنع الذي يعمل فيه .

فاذا خرج من مصنعه يغير الى المدير الذي يعرف عليه ثم يسمح له  
بالعمل في مصنع آخر ، ويحرم في هذه الحالة من بطاقات السكن والملابس  
والطعام .

٣ - الاضراب محرم في البلاد الروسية ، وبمقابله عليه بمقوبة التخريب  
sabotage أو الخيانة المظمى .

والبلاد الروسية هي البلاد الوحيدة التي لم يقع فيها اضراب واحد  
من قبل الحرب العالمية بيشع سنوات .

٤ - مماكن للعمال في ضابو حزمة تفنارها ادارة المصنع لهم  
ولا يسمح لهم بتبديلها . ويسكن المجهزون في البيوت المستقلة والصور  
للخوادم المهيئة بالمسن ، وتخصيص لهم السيارات للانتقال في  
وسراحيها .

٥ - تصرف الجرايات في البلاد الروسية على ثلاث طبقات طبقية  
تشتمل على اللحم والخضر والفاكهة ، والكافيار ، احيانا في الوجبات الثلاث ،  
وطبقية تشتمل على مده الاصناف في بعض الوجبات ، وطبقية لا تزيد على  
الخبز والحساء وبعض اللحوم اياما في الاسبوع .

٦ - بحاسب العامل بالقطعة في كثير من الصناعات ، ويضطر الى  
العمل ساعات بعد عمله اليومى لزيادة الاجر من طريق زيادة الانتاج .

٧٠ - يقول دعاة الشيوعية في مجالياتهم أن القصور والعمارات والضياع الواسعة ستصبح كلها ملكا للعامل إذا انتشرت الشيوعية في بلادهم .

والحقيقة أنه لا يوجد في روسيا بيت واحد يملكه عامل واحد .  
ومن أشكر هذه الحقيقة من دعاة الشيوعية فلينكر حواقع هذا البيت وأسم العامل الذي يملكه إذا استطاع ، وهو لا يستطيع ، لأن الملكية محرمة على العمال ، ويعتبر الفلاح الذي يقيم في مسكن ريفي مستأجرا لذلك يمكن ما دام يعمل في الحقل المشترك بأمر الحكومة .

٨ - حالة العمال في البلاد الروسية أسوأ جدا من حالتهم في البلدان التي يسمونها بالبلدان « الرأسمالية »

ولهذا تأبى حكومة روسيا أن يخرج عمالها إلى البلاد الأجنبية ليطلقوا على حقيقة هذه الحال ، وتمنع الدخول إلى بلادها من الأجانب خوفا من ظهور هذه الحقيقة .

وقد حجرت آلاف الجنود الروس في الموانئ ، والمسكرات المزعولة بعد هزيمتهم من الميادين الخارجية ، لتعزل بين الشعب وبين الاطلاع على شؤون العالم كما عرفها أولئك الجنود .

ولو كانت روسيا « نعيم العمال » كما يطمحون لفتح أبوابها لم يشاء الصريح منها والدخول إليها وكان ذلك الفعل واجبا في نشر الشيوعية عبر اتفاق الملايين وتعبير المساكين لترويج الدعوة التي تلك « النعيم » المزعوم

٩ - بعد النكسة الأولى لهجرة الأرمن من البلاد المصرية ، لم يمانح أحد من الباقين في هذه البلاد .

ولو كانت الحالة هناك مما يصر المهاجرين لهاجرت بعد تلك النكسة  
بلمحات

ولكن الواقع أن الأخبار التي وردت من المهاجرين لا تشجع المصريين هنا على اللحاق بهم في تلك النعيم المزعوم .

وعلى الرغم من الرقابة المفروضة على الرسائل والانباء لم يعدم المهاجرون وسيلة لنقل الحقيقة إلى أحوالهم في البلاد المصرية .

ومن تلك الرسائل أن أحد المهجرين كتب إلى أقاربه هنا يستحثهم على اللحاق به ، بعد تزويج ولدهم الوحيد ، ولم يكن هذا الولد الوحيد يتجاوز من العمر ثلاث سنوات .

## فقهوا المقصود ، وحولوا على البقاء

١٠ - ليس في الكرة الأرضية كلها حاكم فرد محير ، الرفيق ، ستالين حاكم البلاد الرومية الوحيد -

وليس في الكرة الأرضية ملك ولا رئيس جمهورية ولا دكتاتور تولى الأمر الثقلين وعشرين سنة ، منفردا بالسلطة المطلقة كما انفرد بها هذا « الرفيق » -

ومعنى ذلك واحدة من اثنتين ، فإما أن الجمهوريات السوفيتية - وعدد سكانها مائة وثمانون مليوناً - قد خلقت من المصلحين للحكومة ، وبما أن الحكم هناك للبطش والتمر والاستبداد -

١١ - ليس في الكرة الأرضية حكومة واحدة تستولى على جميع أرباح العمل غير الحكومة الروسية فهي الرأسمالية التي لا يدانها في تسخير العمال أحد من « الرأسماليين »

١٢ - لم كانت الشيوعية تعارب الرأسمالية حقاً وتكفى عليها حقاً لبقى على العمال أن يقاتلوا أنفسهم : لماذا يقاتلها اليهود في كل مكان وهم قوم لا عمل لهم في تاريخهم كله غير تغيير المال وجمع رؤوس الأموال ؟

هذه حقائق بيّنة بنفسها لمن شاء أن يشهدها بعينه ويلصقها بيديه ، ولن شاء بعد ذلك ما يشاء -

## الى الحقوقيين

وجهنا الخطاب في مقالين سابقين الى الطلبة والعمال عما يعيهم من دعاوى الشيوعية التي تروجها بينهم . بما تتخلله لنفسها من الاسماء المختلفة .

وفي هذا المقال نوجه الخطاب الى طلاب الحقوق خاصة ، ورجال القانون عامة . لانهم يريدون ان يحكموا للشيوعية او عليها . بمقدار ما يجرى في بلادها من احكام العدل ويؤثر منها من نظام القضاء .

والشيوعية لم تعد القانون شيئا من جهة المراسم ولا من جهة التشريع -

فالحكمة الشيوعية تعقد وليس لها مراسم على الاطلاق ، ولعلمهم بها فمن هي الغاء المراسم هذا من كل ما يتصل بهيبة القضاء .

ليس القضاء الشيوعيون من علماء القانون ، وقد يكون منهم التاجر والصانع والفلاح الصغير . وكلهم يجلسون للفصل في القضايا بالملابس التي يختارونها . ولو كانت ملابس البيت او المصنع او محال الاسواق .

ويذكر القضاء ويشربون القهوة والشاي كما يفعل الآخرون ، لأن الاحترام عندهم تقليد من تقاليد البرجوازية ، او « الرأسمالية » المنحلة ، فلا محل للاحترام في مجتمع الشيوعيين .

وهو كلام يقولونه ولا يفهمونه ولو سألوا انفسهم عن غاية مدلوله مرة لمعرفوا انه حكم منهم على الشيوعية بانها شيء حقير -

فهل بطل الاحترام من الدنيا ؟

اليس في الدنيا شيء محترم ؟

الا يطالب الانسان باحترام موقف او باحترام انسان ؟  
اذا كانت الشيوعية تزيل الاحترام من الدنيا فكيف بذلك ممسا وهواما للشيوعية .

اما اذا كان في الدنيا حمل للاحترام فلماذا لا يحترم نفس القضاء وهو المكان الذي تتعلق بهيئته هيبة الحق والامن وهيبة المجتمع كله على أي نظام من النظم او مذهب من المذاهب ؟

لكن الرغبة في « تسهيل » كل شيء هي شهوة الشيوعيين الفالية ---  
وما داموا « مانحين » فهم أعداء التقديس وعشاق التسهيل -

وقد يكون من الضحك - ومن المفيد - في وقت واحد ان تسوق لهذه  
الشهوة مثلا من أمثلتهم في مجال الأدب والبلاغة -

فقد أراد شاعر من شعرائهم أن يصف الشمس في ساعة الغروب ،  
فمز عليه أن يكسوها بمرابييل الفخار والجمال كما يفصل البراجوازيون ،  
وقابل ذلك التفصيم بتقيضه من التسهيل - فقال - انها قد نزلت الى مخيها  
وهي حمراء كأنها بركة صغيرة من بول الحيل ١٠٠٠

وهذه القاعدة في تسهيل كل شيء هي التي يتبناها في جميع المراسم  
والاجراءات التي يراء بها جلع كل مهابة عن نفس القضاء -

اما التشريع فهو في جملته من قبيل القضاء العرفي أو قضاء المجالس  
العرفية ، تطبقه كل محكمة على الوجه الذي تراه . ما عدا بعض الاوامر  
والتعليمات التي يلزمونها في بعض « الاحوال الشخصية » على الخصوص .  
وقد يقال ان ذلك كله لا يهم وانما المهم هو تطبيق العدل في الاحكام .  
فلا تطيل التمثيل في هذا الباب ، وانما نتخذ الأمثلة من القضايا التي  
أعلن الشيوعيون أخبارها في أسماء العالم ، وهي قضايا المتهمين في المسائل  
السياسية -

ففي كل قضية من هذه القضايا يعترف المتهمون بالدنوب التي تنسب  
اليهم ، ويبالغون في تقبيح دنوبهم واتهام انفسهم . فاذا سئل اعدم . هن  
فعلت هذه الجريمة ؟ كان جوابه فور الساعة نعم - واثني من أجل ذلك للذل  
حظير - استحق من المحكمة انسى العقاب !

مثل هذا الاعتراف حتى عن التعليق -

عنى عن التعليق لأنه يدل على الاكراه والتمنيب -

وغنى عن التعليق لأنه يدل على سحق شديد من أولئك الذين  
يصطنعونه ويطنون اته تمييز يجوز على عقول الناس في الأمم الأخرى -

وقد أوعر الشيوعيون الى دعائهم في البلاد الأوروبية لينغموا مسا  
خلق مائمان الناس من عراية هذه المحاكمات -

فقال واحد من هؤلاء الدعاء - وهو حبهيرنى من علماء الاقتصاد في  
البلاد الإنجليزية - ان الأوروبيين يسعرون هذا الأسلوب من أساليب  
الاعتراف ، لانهم يهلون القضية السلافية --- ولو علموا انها قضية  
مطبوعة على « تمنيب النفس » وانها لها لطول عهدها بالاستبداد . لما  
استغريوه -

ونسى هذا المفضل أن القضية العملاقية لم تخلق في هذه السنوات الأخيرة ، بل كانت مغلوقة كما هي في عهد القياصرة وكانت المحاكم تحاسب المتهمين فينكرون ويصرّون على الابتكار . ومعهم المتهمون السباسبوس .

ونسى العالم الصهيوني أيضا أن المحاكمات من هذا القبيل قد حدثت في بلاد الملائيين حينما استولى الشيوعيون على سلطة الحكومة ، فاعترف للمتهمون هناك على هذا الأسلوب العجيب من أساليب الاعتقال .

إنما الحقيقة كما ادّاعها الهاريون من البلاد الشيوعية هي أن المتهم هناك يسام الرأى من العذاب لا تليقها البنية البشرية . وتسمون بالسوت الماحل في سبيل الخلاص منها .

ومن لك أنه يوضع في حجرة معرضة لتكييف الهواء ، عتوق الحرارة حتى تبلع حد الانهاق ، وتنزل على الر ذلك حتى تبلع حد الانخفاض والقشعريرة ، ويتكرر لك في الليل والنهار عدة مرات .

ومن ذلك أنهم يهتفون ببعض المواد التي تشل الإرادة . وهي مواد معروفة عند الأطباء يحتالون بها أحيانا على أنطاق من يتظاهرون بالحرس أو البكم وهم قاسرون على السمع والكلام .

ومن ذلك أنهم يهدونهم بتمزيق أهله وأبنائه . ويحرسونهم معلا للمعذاب الأليم بين يديه .

ومن لك في إمكان ذلك فلا حاجة به إلى رحلة طويلة يصرف منها ماتستبيحه أخلاق الشيوعيين وما لا تستبيحه . بل حسبه أن يذكر أن مظاهرة قصر المعنى ، من تمبير الشيوعيين ، وأن هذه المظاهرة كانت قائمة على تجويع الرضى والإبرياء وحرمانهم ما هم في أشد الحاجة إليه من الدواء والاسماف .

حسبه أن يذكر ذلك ليحلّم ما يفعله الشيوعيون وهم مطلقون من كل قيد أسنون من كل عقاب .

وكل أولئك مطابق للمبدأ الأصل الذي تقوم عليه الشيوعية أو للمادية الثنائية ، وهما ليس لهما وجود . وإنما القاموس مصلحة خاصة تفرضها للطبقة الحاكمة ، وكل ما حقق لك المصلحة فهو العدل الواجب في المجتمع الذي تحكمه تلك الطبقة وهكذا ينبغي أن يكون العدل في المجتمع الذي تحكمه البرولتاريات ، أو الصعاليك . فكل عمل من أعمال القسوة والخير مباح في هذا السبيل !

هذا هو العدل ، وهذا هو الحق ، في عرف الشيوعية ، وهي بهذا الميزان ويكل ميزان ، محكوم عليها في عرف الأنانيين .

## الإسلام والشيوعية

جاء في إنشاء المحاضرة الإنجليزية أن التقارير التي تلقاها مؤتمر للشرق الأوسط الذي انعقد فيها الآن تدل على أن الشيوعية تجدى في البلدان العربية نشاطا لا نظير له في البلدان الأخرى ، وأن أصحاب تلك التقارير يميلون إلى استبعاد الرأي القائل بحصانة البلاد الإسلامية من الشيوعية ، لأن الإسلام والشيوعية لا يتفقان - فإن الشيوعيين كثيرا ما استغلوا الجماعات الإسلامية الدينية في بث التعاليم التي تناهض العربيين الملاحدة من هساد المينار .

أما أن الشيوعية تخص بلاد العرب والمسلمين بمصيب عمتان من دعايتها فليس بالبحر الجديد - لأن الواقع يظهره والكل يتوقعه ما دامت ملاذ العرب والمسلمين ملقى القارات من جهة ومركز الامامة لمئات الملايين في آسيا وأفريقية من جهة أخرى .

كذلك ليس بالجديد أن الدين الإسلامي يعوق الشيوعية من نشر دهرتها أو الترويج لأغراضها .

فإن الدين الإسلامي يعوق الشيوعية ، بل هو أكبر عائق في طريقها على تقدير واحد ، ليس هو مع الأسف بالتقدير الصحيح .

إن الإسلام أكبر عائق في طريق الشيوعية إذا كانت هذه الشيوعية مذهباً محترماً يعتمد على الإقناع بفكرة لا محيد عنها .

ففي هذه الحالة تصطبغ الشيوعية بمقائد الإسلام في كل عقيدة منها ويعتذر على الداهي الشيوعي أن يواجه المسلم بفكرته وهو عالم بأحكام دينه

ولكن الواقع أن الشيوعية - مؤامرة ترمي إلى تنفيذ جريمة كبيرة - لهم المضارة القائمة ، وليست هي بدعوة محترمة تعتمد على الفكر والحق لا تعبد عنها .

هي مؤامرة يتوسل أصحابها بكل وسيلة لتنفيذ الجريمة التي يجرؤونها ، فلا يبالون خداع الناس من عقائدهم ولا يتورعون في تصوير مذهبهم على أية صورة تضمن له القبول عند طائفة من الناس ، ولو لتخفوا له صورتيه متناقضتين مختلفتان مع اختلاف الزمن أو اختلاف البلاد .

الاشيوعيون يكرهون بالوطنية ويعتبرونها حيلة من حيل اصحاب  
الاموال لتسيير العمال ، ولكنهم يتفقون في جنة الوطنية كلما حاربوا  
عولة من الدول التي يتنازعونها . كما صنعوا في الصين قبل الحرب العالمية  
وما زالوا يصنعون فيها الى زمن قريب لا يتجاوز بضعة اشهر . حين تخلبت  
كفة الشيوعيين هناك على كفة الوطنيين .

وقد صنعوا مثل هذا في فلسطين قبل نهاية الانتداب البريطاني وبعد  
انقائه . فكان اتباعهم في فلسطين مسمون حركتهم بحركة « التحرير  
الوطني » حتى استعصوا عن التشير بالوطنية فعدلوا عنها الى مصارحة  
الايوان العربية جميعا باسم الطبقات .

وهم يجهزون في خداعهم وترويضهم على هذه السنة كلما احتاجوا الى  
مخالفة الايدان بين من يعتقدونها .

وقد يخلطون الجماعات الدينية التي تظهر غير ما تبطن وتعمل لفكر  
الشيوعية والتمهيد لها . وهي تتراعى للناس في مظهر الشفيرة على الدين  
والجهاد في سبيله .

وعندما نحن شاهد قريب على هذه الخادعة بالدعوة الدينية من تلك  
المصاية التي قامت على نظام المصايات الشيوعية في اساليبها ووسائلها  
وتقلت منها العدة والعتاد وعملت على خدمتها باشاعة الفوضى ونشر الفتنة  
والقلق والاضطراب .

فالدعوة التي تقوم على فكرة تقف في سبيلها الفكرة . وتقف في سبيلها  
المقيدة .

اما الدعوة التي تتحول الى مؤامرة مصرة على تنفيذ جريمتها الكبرى  
بكل وسيلة والاحتيال لها بكل حيلة والتمثل من اجلها في كل صورة . فانما  
تحارب كما تحارب المؤامرات .

انما تحارب بقوة القانون وبقوة الماهرين على استقرار النظام .

وانا قتل ان محاربة الشيوعية بالقانون وحده لا تكفي عجب لي هذه  
الحالة ان نفرق بين الشيوعية نفسها وبين الدعوة الى الشيوعية .

فمحاربة الشيوعية نفسها انما تكون باصلاح المعيشة ومطر الرضا  
والطمأنينة ومنع اسباب الشكوى والامتناس بين الطبقات الفقيرة على  
الخصوص .

فلن تحارب الشيوعية نفسها باصلاح امسى من هذا السلاح . ولن يفلح  
ملاح آخر في محاربتها ولو تضاعفت على تتيهه جميع الفواتين .

أما الدعوة إلى الشيوعية فلن يمنعها إصلاح الخبث بل يزيدها ويثير  
اجتماعها ويستحثهم أبدا إلى مضاعفة الجهد واختلاق أسباب جديدة  
للتفويض والتبجح .

فلا يظليون أن صلاح حال الفقير بل يعمدون إلى صاحب المعاش  
المضروب ويشيرون على من هو أرفق منه معاشا ليمسده وينقم عليه .

ولن تستعفى المجتمعات عن صلاح القاموس في مجاورة هؤلاء المفسدين .  
لأنهم متآمرون على تنفيذ جريمة ويمسوا بدعاة إلى فكرة يحترمونها ولا يقللون  
الخداع فيها .

على أن الساسة الذين يبحثون اليوم في مكافحة الشيوعية ، ويتلقون  
التقارير من بلدان الشرق الأدنى عن نشاطها فيها يحق لهم - بل يحق عليهم  
- أن يستوفوا تلك التقارير بمحض الاستقصاء ليعرفوا مدار الدعوة الشيوعية  
في هذه البلدان أن أرادوا أن يعرفوها حق عرفانها .

إن مدار الشيوعية في بلدان الشرق الأدنى هو موافق أولئك الساسة  
أو هو الطمع الأشمعي الذي يميمهم عن مواجهة الحقيقة ويصيبهم أحيانا بما  
هو شر من العمى المطلق وهو العمى على حسب المثبثة والاحتيار . يبعثون  
ما يرضيهم ويفضون عما لا يرضيهم . وتفتح الشيوعية عيونها جميعا لما  
يرضى ويسقط على السواء .

وإن الشيوعية لتفقد نصف وسائلها على الأقل إذا شاء الساسة الذين  
يبحثون اليوم عن مكافحتها . . . . . وأنهم ليضامون ويستطيعون - فهل يفعلون؟ -

## الصهيونية والشيوعية

بين الصهيونية والشيوعية تحالف ظاهر في هذه الأيام على الضنوص ،  
وعندنا انه تحالف طبيعي لا غرابة فيه ، ولكنه يبدو غريبا اذا تصرفنا بالنظر  
على ظواهر الاحوال .

فكثير من اصحاب الملايين الصهيونيين ، يؤيدون الشيوعية وينشرون  
الدعوة لها ورجتها في خدمتها ، مع ان الشيوعية كما يقولون تحارب  
وقوس الاموال .

وكثير من الشيوعيين يؤيدون الصهيونية ويساعدونها بما يستطيعون  
داخل فلسطين وخارجها . مع ان الصهيونية دعوة دينية ، والشيوعية كما  
هو معلوم مذهب مادي يكر الاوطان كما يكر الاديان .

فلا وطن في الشيوعية ، لان الوطنية في عرف الشيوعيين خدعة من  
الطبقة الحاكمة لتستثير الطبقات الأخرى في حنكة مصالحها .

ولا دين في الشيوعية ، لان الدين عند الشيوعيين حيلة لتفسيير  
الشعوب ، او هو افقيون الشعوب كما يقولون ، ينخدع به الفقراء ليسوا  
قسيهم من الدنيا ، ينتظروا للمسيح في الدار الآخرة .

فالعجب اذن ان يؤيد الشيوعيون حركة تقوم على الوطن وعلى الدين .  
العجب ان يؤيدوا الصهيونية وهي دعوة الى وطن قومي يحتله أبناء دين  
همين ، وهم اليهود .

ولكنه عجب في الظاهر فسطحون الحقيقة .

اما اذا نظرنا الى العاية التي يعمل لها الشيوعيون والصهيونيون  
فلا عجب فيه على الاطلاق ، لأن العاية واحدة في الدولتين .

فالشيوعية تدعو الى ازالة الاديان والاطان وانكار كل شيء غير  
المساكن المادية او المسائل المالية ، وحتى زالت الاديان والاطان وأصبح  
الحكم في العالم للمادة وحدها ، فالصهيونية هي التي تقيض على زعم  
العالم ، ودولة صهيون هي التي تمود فيه .

## وما هي دولة صهيون ؟

إن الصهيونية تنسب إلى قمة صهيون التي كان يقيم فيها الملك داود في بيت المقدس • ويعتقد الصهيونيون أنهم شعب الله المختار ، وإن دولة صهيون متعمدة دولة أخرى على الأرض ، لتحكم العالم كله ويمرود الأمر إلى شعب الله المختار ، فتخضع له جميع الشعوب •

وقد كان كارل ماركس - مؤسس الشيوعية المادية - يهوديا ثم تحول إلى الديانة المسيحية • ليحظى أغراضه من دعوته إلى مذهبه • وهو في الحقيقة قد عمل في خدمة الصهيونية عملا لم يعمل قط أحد من دعاة الصهيونية الظاهريين لأن الصهيوني لا يقع أحدا غير اليهود ، ولا يستطيع أن ينشر الدعوة إلى سيادة اليهود بين أناس لا ينتمون إلى جنس إسرائيل ولا يسمون بالعقائد اليهودية ، ولكن الشيوعي ينشر مذهبه بين جميع الأمم ، وحتى انتشر مذهبه قامت دولة صهيون وحدها ، لأنها لا تجد عائقا في طريقها بعد زوال الأحرار والأثرياء • وقيام الأمر كله على الماديات •

إن كارل ماركس لم يكن قط رجلا معروفا بالرحمة والعطف والمودة في حياته الخاصة أو في حياته العامة •

إن أصحابه أنفسهم كانوا يصفونه بجمود العاطفة ، وغلبة الكراهية في نفسه على كل شعور •

ومن الخطأ الشائع أنه نشر مذهبه لنصرة الضعفاء والظلماء •

فالمواقع أنه نشر مذهبه لالغاء جميع العقائد الروحية والمثالية ، وتفسير التاريخ كله بشيء واحد وهو المال ، ولذلك سمي مذهبه بالتفسير المادي للتاريخ •

فالتاريخ الاقتصادي كله - في رأى كارل ماركس - هو تاريخ المال •

والمقائد والأديان والأحلاق والفنون والآداب ، كل أولئك لا يعتبر في رايه إلا وسيلة لتقليب مصلحة واحدة • وهي مصلحة القابضين على زمام المال •

وقد كان المال في أيدي القرويين •

ثم أصبح المال في أيدي التجار وأصحاب السفقات •  
ثم أصبح المال في أيدي أصحاب الصناعات ، أو أصحاب المعادن والشركات الصناعية •

ثم يقبض العمال والصناع على زمام المعامل والمصانع فتظهر الشيوعية ، وتنحصر الطبقات كلها في طبقة واحدة .

ومن هنا جاء اهتمامه بالعمال والصناع .

لم يجيء هذا الاهتمام من طريق العمل والاتصاف - وإنما جاء من طريق الإيمان بالمال وحده . أو من طريق الكفر بكل عقيدة غير عقيدة المال .

فالهم في مذهب كارل ماركس هو تحليل المادة على كل شيء .

وتفنيب المادة على كل شيء هو الوسيلة التي يقبض بها الصهيونيون على كل شيء .

ومن ثم كان كارل ماركس هو أكبر الصهيوميين ، وكانت الشيوعية هي أكبر خدمة للصهيونية . وكان هذا الاتفاق العجيب بين مذهب قومي ديني ، وبين مذهب بمكر جميع الأوطان والأورار .

وليس هنا محل البحث في حقيقة هذا المذهب من الوجهة العقيدة أو التاريخية وإنما محل البحث في المذهب كله ينتهي إلى خدمة الصهيونية ، وأن كارل ماركس لو أراد خيراً بالضعفاء والفقراء لكانت له اليد وسيله غير الغناء الأديان والأوطان . فإن العمال والصناع قد بلغوا من الحقوق في المبلاد الديمقراطية ما لم يبلغوه في بلاد الصهيوميين . دون حاجة إلى الغناء وطن أو دين . ولكنه لم ينشر مذهبه لغير أحد من طبقة من الطبقات ، وإنما بشره لفكر المادية والغناء كل عقيدة غير العقيدة المادية . وهذا هو بيت القصيد . وهذا هو الزمام الذي أراد كارل ماركس أن يصنع به العالم في أيدي أبناء لومه أي في أيدي الصهيوميين .

يدور البحث الآن في الصهيونية هل هم أبناء جنس أو أبناء دين .

والبحث العلمي قد يثبت أن الصهيوميين لا ينتمون جميعاً إلى بني إسرائيل ، وقد يثبت أن اليهودية عقيدة آمن بها أناس من غير بني إسرائيل . وبخاصة في القرون التي تقدمت مولد السيد المسيح .

وقد يثبت البحث العلمي أن أبناء إسرائيل أنفسهم قد تفرقوا في جهات الأرض ، فاختلطت أنسابهم بأنساب الأمم ، كما يحدث عند كل هجرة وعند كل اختلاط .

ولكن البحث العلمي شيء ، وخطر الصهيونية شيء آخر .

فخطر الصهيونية يقوم على اعتقاد الصهيويين انفسهم ، ولا يقوم على مكان هذا الاعتقاد من العلم او من التاريخ .

والصهيونيون يعتقدون انهم سلالة بشرية خاصة ، وانهم يستحقون حكم العالم لانهم من نسل اسرائيل . وقد وعد اسرائيل بان يحكم العالم هو واينائه

الى اخر الزمان متى قامت في العالم دولة صهيون

انظر اليهم والى ابناؤ الاديان الاخرى .

فما من دين من الاديان . الا ويعتقد اينائه ان دينهم رسالة عامة لجميع بني الانسان .

فالمسيحيون يمشرون بالمسيحية .

والمسلمون يدعون الى الاسلام .

والنوثيون يمشرون عقائدهم ليؤمن بها من يشاء .

الا الصهيونيين ا

فانهم لا يدعون احدا الى الايمان باليهودية . ولا يصرحون ان يؤمن بها احد غيرهم لانهم يعتبرونها ديننا خاصا لاسرة من البشر خاصة ولا يعتبرونها رسالة عامة لجميع بني الانسان .

ولا ترى اسرة يصرها ان يشاركها احد غيرها في حقوق الاسرة . لانه يشاركهم ان في حصص من الميراث .

وهكذا ينظر الصهيونيون الى انفسهم ، فلا يقبلون من احد ان يشاركهم في ميراثهم ، وقد ينتقل احدهم الى المسيحية او الاسلام او يلحد في الدين . او يغير وطنه السياسي من مكان الى مكان . ولكنه ينظر الى اليهودية مظرنه الى قرابة اللحم والدم ، وان تباينت الامم والاطوال .

فهم اصحاب ميراث يحافظون عليه ، وليسوا باصحاب مذهب ينشرونه او تشرعهم هداية الناس اليه .

وهم يطمعون الى السيادة العالمية لانهم يريدون تمسخر العالم واستغلال شعوبه . لا لانهم يريدون له الهداية والصلاح .

ولهذا تؤمن كل الايمان انهم خطر على العالم بأسره ، وان دهورهم صائفة لا محالة الى الزوال .

لأن التاريخ كله يعلمنا درساً واحداً لا شك فيه • وهو أن السيادة على العالم لن تكون لأمة واحدة • بالغا ما بلغ شأنها من البأس والثروة والمهنة والذكاء •

إن الصهيونية لا تستحق بنفس العالم لعصبية دينية • ولكنها تستحق البغض منه لأنها هومن شديد الخطر على سلام بني الإنسان •

ومن عجائب الأيام أن الصهيونية والنازية يتلاقيان في هذا الهوس الويل على أصحابه وعلى غيرهم • فهؤلاء في رأى انفسهم شعب الله المختار • ومعتبر هؤلاء حقاً كمصير هؤلاء •

والعالم لم يخلق لتسوده أمة واحدة • أو طبقة واحدة وإنما خلق ليكون هالماً • أي ليكون جملة من الأمم وجملة من الطبقات • تسوقها الحوادث سوفنا إلى التعاون والاشتراك في المصالح والمقايير

وهم من الأوهام أن تسود العالم أمة واحدة • فما سادته قط أمة فيما مضى • ولن تسوده أية أمة بعد اليوم •

ووهم من الأوهام أن العالم تسوده طبقة من الطبقات • وأن المقائد تنكوم على مصلحة طبقة دون طبقة • فما من دين من الأديان إلا وهو يفرض على الأغنياء حقوقاً لا يفرضها على الفقراء •

## مذهب ذوي العاهات

من الأوهام التي جعلت بعض الناس يظنون أن الانتماء إلى الشيوعيين مقصور - أو ينبغي أن يكون مقصورا - على الفقراء والمحرزين - أن أولئك الواهمين يعتقدون أن الشيوعية دعوة إلى انصاف الأجراء والعمال .

وهذا هو الوهم الأكبر في فهم هذا المذهب .

وهذا هو سبب الحيرة التي يحارها بعض الناس كلما سمعوا أن صهيونيا مرابيا يبشر بالشيوعية وهو آخر من يبالي بانصاف الفقير وآخر من يفكر في الرفقة بالصميف . أو كلما سمعوا أن غنيا حيسور الحال يحارب النظام الاجتماعي خدمة للدعوة الشيوعية ، أو كلما سمعوا أن فتاة تنتمى للشيوعية وهي من العاكفات على اللهو والمجون .

ومصدر هذه الحيرة كما تقدم هو الخطأ في فهم الفرض الأصلي من الشيوعية ، واعتقادهم أن عرضها الأصلي هو انصاف العامل والأجير .

وليس انصاف العامل والأجير عرضا أصيلا في دعوة كارل ماركس الذي كان هو نفسه ، صهيونيا ، لم يعرف عنه قط في حياته أنه رحم أحدا من الناس أو تثرى بماطة إنسانية .

واتما كان غرضه الأصلي هو اثبات العقيدة المادية وتحطيم كل عقيدة أدبية أو روحانية . ومن هنا كان أسم مذهبه المشهور بين مذاهب الفلسفة المادية الثنائية .

ومن هنا كان الصهيونيون مبشرين بالشيوعية ، وكان من انصار الشيوعية كل فاسد الطبع يحتل يداه الإباحة والابتذال . متطوي النفس على الرذيلة . كما كان من انصارها كل ناغم على الدنيا يود لو يهربها هلى من فيها لمعاهة جسدية فيه أو عاهة نفسية شر من عاهات الأجسام .

وعنى كانت الشيوعية كذلك فلا عجب في أن يلجئ بها الرابون الصهيونيون الذين يستنزفون دماء الفقراء قبل الأعياء . لأن تحطيم عقائد الأنبياء والأوطان وقيام العقائد المادية يسلم زمام الدنيا إلى للرابين سماعة الأموال فيصبح العالم البشرى كله صهيونيا للصهيونيين .

ولا عجب في أن يدين بها الفتي الإياحي والفتاة الإياحية ، لأن المذهب يصوغ لهما القصص التي ابتلي بها ، ويجعل أمثالهما من المتقدمين الأحرار بدلا من وصمة الخسة والابتذال التي يوصمون بها إذا بقيت للناس عقائدهم في الأديان والأخلاق .

ولا عجب في أن يدين بها أشخاص يفضون الدنيا ومن فيها ولا يحثيهم صلاحها ومساؤها ، ولا سببا المشوهين وأصحاب الماهات والتفسير والمتوفين لأن شهوة الخراب في نفوسهم تحجب اليهم كل دعوة تجعل عاليها سافلها وسافلها عاليها ، وتعنى الدار ومن بناها .

فالشيعوية هي مذهب النعمة والاباحة وطلب الأوضاع ، وهي من ثم ملقبة بالخريين ودوى الماهات الجسدية والنفسية ، ولا عجب في اجتذابها لعناصر الفساد والحسة أيا كانت مصادرها ، سواء بين المترفين الميسورين أو بين المعوزين المعدمين .

والشيوعى أول من يحضب ويضمر بالاحقاق والفضل إذا صلحت أحوال الفقراء والأجراء بعير قيام العقيدة المادية ، لأن قيام العقيدة المادية هو العرص الأصل والوجهة الأولى التي أتجه إليها كارل ماركس حين يدعوته الخبيثة .

ولهذا يمتنع الشيوعيون في محاربة كل حكومة تعنى بالاصلاح وتيسير اسباب المعيشة كما يفعلون الآن في الهند وإقطار آسيا الشرقية وهي الاقطار التي يعمل رعاؤها على تقريب الطبقات والحد من مطامع الاستغلال وأصحاب الأموال .

وأول من يبتئس ويحزن إذا استقراح الأجراء والفقراء هم طمعة الشيوعيين ، لأنهم يريدون أن يظل الأحرار والفقراء دائما محتشرين متبرمين مستغنيين لقبول دعوة التخريب والاباحة والتمرد على الأديان والآداب ، ويحزنهم ويدبب بجميع عصائهم أن يشعروا هؤلاء بالرضا ويسر المعيشة والاطمئنان .

لقد كانت آخر كلمة في منشور كارل ماركس المشهور باسم « المائتمتو » - - - أنكم يا معاليك العالم لا تفقدون شيئا .

ومعنى ذلك أنه يريد دائما أن يحاطب أناسا لا يصيبهم خراب العالم ، لأنهم إذا حربوه لم يفقدوا شيئا فيه .

والخراب هو الغرض المقصود . إذا كان العالم الذى تهدمت أركانه

وتفوضت دعائم الاجتماع والاخلاق فيه . هو العالم الذى يملكه الماديون  
وسماسة الأموال ، بغير عائق من آسب أو خلق أو دين .

ومن هم الماديون وسماسة الأموال ؟

هم ايقاء جلدة كارل ماركس من المصهيونيين .

\*\*\*

أما الوهم الذى تسرب الى بعض الأذهان عن دعوة الشيوعيين الى  
انصاف الاحراء فمصدره انهم يفهمون كل شيء فى المجتمع الانسانى بأسباب  
تتملى « بالفلس » دون غيرها .

فالفلس عندهم هي التى أوجدت الانبياء والفنون والاحلاق لخدمة  
الطبقة المأكمة !

والفلس هي التى أوجدت طبقة الفرسان ثم طبقة الاقطاعيين ثم طبقة  
البرجوازيين ، ثم طبقة العمال والأجراء .

فليست مسألة العمال والأجراء عندهم الا نتيجة لتطبيق الفلسفة الشاذة  
والعوامل الاقتصادية .

وهي كلها نذب في المذهب يأتى احرا وليست هي الراس الاميل الذى  
يأتى أولا وبالذات كما يقولون .

وانما الراس الاميل هو سيادة المادة ويطلان المقائد الادبية والوجدية

ومن ثم نم يكن هناك عجب ان ترى صهيونيا يبشر بالشيوعية او ما جئا  
يبشر بالشيوعية . او ناقما يبشر بالشيوعية ...

لانها بطبيعتها مذهب اصحاب المعاهات ، سواء ما كان منها حاسة جسوم  
او حاسة نفوس .

## اعداء الاصلاح

يتصاعف نشاط الشيوعيين في هذه الأيام . وتتوالى الاتباء عن ضبط الحاليا واعتقال الأفراد الذين يوزعون مخضوراتهم أو يطبخونها ويحسونها للتوزيع خاصة لأنه نشاط لا معنى له في العهد الذي توافرت فيه جهود الحكومة على تنفيذ مشروعات الاصلاح من تمييز لأصناف المعيشة الى تفرغ لأزمة المساكن الى توسيع للصناعة الوطنية الى عناية بالمعلمين ومحو الأمية الى اخذ بمبادئ الاصلاح الضرائبي الى توزيع للأرض على مسافر الفلاحين الى علاج لمشكلة المياه ، الى غير ذلك من أبواب الاصلاح والعلاج .

يجب المدعون في الشيوعية لهذا النشاط المتضاعف في هذه الأيام خاصة لأنهم يتوهمون أن الشيوعية دعوة ترمي الى الاصلاح وتحسين المعيشة بين الفقراء على الخصوص . فمن الواجب على هذا أن تنشط كلما قلت مشروعات الاصلاح وأنها تستقر كلما تعددت هذه المشروعات .

ولكن الواقع يباقي هذا الفهم للشيوعية كل المافضة ، لأنها تعمل للتخريب ونشر السخط والتفهم ، وتسرها الحكومة المقصرة في شسؤون الاصلاح الاجتماعي اضعاف سرورها بالحكومة التي تعمل على تحقيقه ، إذ كان الاصلاح أول حائل بين الشيوعيين وإثارة الحواطر والدعوة الى التخريب .

فهم لا يساعفون نشاطهم في عهد من اليهود كما يساعفونه عند توافر الجهود على تحسين المعيشة وحمة مصالح الفقراء .

ولهذا نجد اعداء الشيوعية كثيرين متعددين بين طلاب الحراب حيث كانوا ولو كانوا من اصحاب رؤوس الاموال .

فكل خلية تضيق من حلايا الشيوعية تنكشف لها في الحال علقه بصهيوني من اصحاب رؤوس الاموال يعق عليها ويتمدها ويمدها بالتوجيه والتفكير ، لأن الصهيونية تقيم سلطانها على اطلال الحضارة . ورجو أن تعود العالم في اليوم الذي تطل فيه الآداب والمقائد والأوطان .

ومن اعداء الشيوعية المخلصين اصحاب المعاهد الجسدية والاعرفية

---

الاساس ١٩٢٩/٢/١٤

والمشهورون في الطبائع والأجسام . لأنهم من جهة يكرهون الدنيا التي خرجوا إليها مشوهين معسوجين ، ومن جهة أخرى يجدون من الشيوعية مذهباً يستمر لهم غاياتهم ويصورهم لأنفسهم في صورة الأبطال المتهورين من قيود العقائد والأخلاق .

فكل طالب للخراب حاقق على الناس والبنا فهو شيوعي مخلص لهم الدعوة .

أما عن عدا هؤلاء لهم مخدوعون أو مأحورون . ولكن المأجورين بينهم أضعاف أضعافه المخدوعين في حقيقة هذا المذهب البهيمي الضبيث

ولهذا تجد بين دعاة الشيوعية من ينفق الأموال عن سعة وهو مجهول الموارد أو معروف ما يورده الظاهرة لا تكفي لبعض ما ينطقه على الممكن والكسء والنهر ووسائل الترويج .

ولمست المجازفة من أمثال هؤلاء المأجورين بالمستغربة ولو كان مثل تصدهم من ترويج الدعوة كسب المال والاتفاق عن سعة في الملاهي والمضامير . لأن الدين يهربون المحدرات ويتجرون بالمحرمات يجارفون كما يجازف دعاة الشيوعية من غير عقيدة ولا فكرة مذهبياً ، ويتطرحون في الممارقة أحياناً إلى أبعد من هذا الذي حين يفتلون المهرجات والمحرمات من وراء الحشود يتعرضون في سبيل ذلك لمقاومة الحراس السعديين بالصلاح .

ولكن القيادة الشيوعية تستوثق من هؤلاء المأجورين عادة بوصفها أخرى تضاف إلى وسيلة الإغراء بالأموال والشهوات .

هذه الوسيلة هي توقيع وثيقة يعترف فيها المنتمى إلى الحزب من هذه الطائفة بأن يحمل على قلب النظام بالعنف والثورة . وأنه يدين « بامانية الماركسية » على هذا الأساس .

ومضى استكثبت القيادة الشيوعية داعيتها المأحور وثيقة بهذا المعنى على احتلاف اللفظ والسياسة ، ملكته بالتهديد كما تملكه بالإغراء فلا يستطيع الإفلات من يديها ولا التمرد عليها ولو رعد في أجورها ومحرماتها لأنها تهدد في هذه الحالة بتجليب أمره إلى السلطات مشفوعاً بالدليل الذي يرضه للعقاب .

ولولا المخدوعون والمأجورون من هذا القبيل لما وجدت بين الشيوعيين أحداً قط غير طلاب الحراب من الصهيونيين والمشوهين وعشاق الانقلاب أياً كان وكيفما كان .

وموضوع المبرة من هذه الحوادث أن المجتمع المصري لن يفتح الشيوعيين بالعدل عن دعوتهم مهما يكن منعه الجثث في سبيل الإصلاح ، لأن الإصلاح هو الذي يميظهم ويهيجهم الى الحركة ومضاعفة النشاط . ولكن الإصلاح مع هذا لازم لمحاربة الدعوة الشيوعية نفسها لأنه ينشر لوضعا والطائفية ويعمل دور تحاح الشيوعيين في بث الفتنه واستهواء الاسماع وترويج الأباطيل التي تحرض المحرومين والموتورين على التحريض والامعاء .

## احذروهم كلما أصلحتم

بين الاشتراكيين الديمقراطيين وبين الشيوعيين فرق ثابت في كل بلد  
ظهر فيه الفارقان .

هذا الفرق هو أن أعمال الإصلاح ترضى الاشتراكيين الديمقراطيين  
ولكنها تضغط الشيوعيين أشد الضغط وتثيرهم أعنف الثورة . لأنهم يريدون  
الإصلاح بل يريدون هدم المجتمع قبل كل شيء . ويشجعون بأعمالهم  
الإصلاح تحول بينهم وبين هذا الفرض الذي يقدمونه على جميع الأغراض .

ولهذا ينبغي أن يتوقع المسؤولون عن هذه الأمة نشاطا مضاعفا من  
جانب دعاة الشيوعية كلما ظهر في الأمة عمل نافع من أعمال الإصلاح .  
ومشروع جديد من مشروعات الانصاف .

فهم أعداء أعمال الإصلاح ومشروعات الانصاف . لأنها تبطئ التقدم  
الذي يعتمدون عليه في نشر الفوضى والحرب .

وظاهر الأمر قريبا يدعيه هؤلاء الشيوعيون أنهم يقومون بحركة  
اجتماعية تطليها فلسفتهم التي يسمونها بالفلسفة المادية .

وباطن الأمر أنها مكيبة صهيونية لا أكثر ولا أقل . ترمى إلى هدم  
العقائد والأخلاق التي تقوم عليها المجتمعات الانسانية بيسود حكم النانة  
وحدها ، وهو بالهداية حكم صهيوني ، وأبناء صهيون من سحابة الأموال  
في كل مكان -

كان كارل ماركس - امام الشيوعية أو الفلسفة المادية - يهوديا يقول  
بأنه لا يؤمن بالآنيان .

ولكنه مع ذلك تحول عن دينه في الظاهر ليدين بالمقيدة المسيحية، مستترا  
لما يخفيه من خيمة البهرة الصهيونية . وتوسلا بهذا المظهر الناعم الى هدم  
المضارة الأوروبية من داخلها .

وراح هذا الصهيوني الماكر ينشر مذهبه الذي يسميه بذهب الإصلاح  
على المبادئ العلمية .

فإذا بالإصلاح عنده لا يتحقق إلا بهدم الأديان وهدم الأوطان وهدم  
نظام العائلة من أساسه .

هلم الألبان لأنه يسميها أقويون الشعوب .  
وهدم الأوطان لأن الوطن في رأيه وطن الحاكمين وليس بوطن  
المحكومين .

وهدم العائلة أو الأسرة لأن العائلة كما يقول وسيلة من وسائل  
الاستغلال .

أما أن الأديان والأوطان والعائلة تستحق الهدم بحكم كارل ماركس  
عدون تلك وينفق الحمار كما يقولون في الامتنان . وأقل ما يقال في منصف هذا  
الصهيوني ، الخبيث أنه محل جدال كبير .

وأما الشيء الذي لا جدال فيه فهو أن الصهيونية لا تستفيد من شيء كما  
تستفيد من هدم الأديان والأوطان وتفكيك الروابط العائلية ، لأن الصهيونيين  
يصبحون ملوك العالم لا محالة إذا صار الأمر كله إلى المال والمادة ، في عالم  
لا يهتم فيه الإنسان بقراءة ولا بوطنية ولا بدين .

لا عجب أن ترى الصهيوني مليونيرا مرابطا يمتص دم اللص والفقير  
ثم يبشر بالشعبوية ويستमित في الدعوة إليها .

وهو لا يعمل ذلك بالعبادة لأنه يكره المال ويحب الاتصاف ، ولكنه  
يفعله لأنه يريد أن يستولى على العالم هو وأبناء جلدته ، حين يسقط الدين  
ويسقط الوطن وتسقط العائلة ، ولا يبقى بين الناس شيء له حساب غير المادة  
والمال .

ولا عجب كما سمنا في خدمة اليهودي لذهب يهلك زمام العالم .  
ولكن ما نال أناس ، غير اليهود ، يهدمون المذهب الذي يضع زمام  
العالم كله في أيدي اليهود ؟

ذلك أيضا داخل في حساب الصهيوني الخبيث ، فهو لا يتقنر من إنسان  
له خلق أن يهدم العالم ليخدم الصهيونية من حيث يريد أو لا يريد .

لذلك تتجه دعوته دائما إلى أناس لا خلق لهم من حثالة البشر .

تتمه دعوته دائما إلى أراذل الخلق من نوى المصاعف والمفاسد  
ولا فرق بين الماهات الجسدية والعقد النفسية في هذا الحساب .

ولن تعد شيوعيا أبدا إلا وهو مطبوع على الحسد والكراهية ، مصاب  
بمعاة جسمية أو عقدة نفسية ، محب للتخريب لسبب من الأسباب ، فلا يهمه

أن يخرّب الدنيا على من فيها من أجل جزاء قليل ، أو نهائيا مع شهوة  
للتخريب ولو من غير جزاء .

امثال هؤلاء هم الذين يكثر عليهم رجال الأمن من حين إلى حين في  
هذه الأيام على الخصوص .

ولأنها الأيام التي تتوالى فيها أعمال الإصلاح ، ويتم منها ما يتم ،  
وتؤخذ العدة لاتمام غيره في آمد قريب .

وبعد أن قاربت مدينة العمال في أمبابه أن تبلغ تمامها ، ينبغي أن  
يترقب رجال الأمن نشاطا من جانب الطمعة الماركسية التي لا تبخس شيئا  
كما تبخس عوامل الرضا والارتياح والاطمئنان إلى الرجاء .

وسيجدوهم دائما كما عهدوهم شرادم من العاسنين ونوى العاهات  
الجنسية والعقد النفسية ، لا يهمهم ما يساقون إليه من خراب لأنهم قرم  
لا طاقة لهم بالعمار ولا عمل لهم فيه ، وماتوا عليهم أن تنهى الدار من بهاها  
إذا كان الهمم هو كل ما يستطعمون ، وكان لهم على ذلك أجر مضمون أو غير  
مضمون ١٩

## هذه عناصرها !

يهودى . ومعلم فاضل . وقتاة عابثة . وملاجن مستهتر . وعامى جاهل . ومشاعب يبيع الشفد إن يشتريه ، ومسح مشوه حثيود عن الحيلة -

هذا هو قوام كل مجموعة شيوعية توجد فى مصر أو فى غيرها قلا حلول ، الخاليا ، الشيوعية من أصناف هذه التشكيلة ، وقد يكون الشيوعى الواحد تشكيلة كاملة من جميع هذه الأصناف -

وكل شئ يمكن أن تدعيه هذه المخلوقات فيصدق -

•• الا أنهم محبوبون للخير محطسون لنفى الإنسان عبورون على الانصاف -

ولن يحب احد اذا قيل له ان هذه « العامة » البشرية تسمى الى الحراب واسهم يبيدوا بالشيوعية لأنها ترضى فى نفوسهم تلك النزعة الى التعريب -

أما ان يقال ، ولو من قبيل الحيال ، ان هذه العامة هى التى تنشأ الحبر وتسلح نظام الاجتماع فذلك من وراء التصديق ، ومن وراء القول -

وكلهم محقولون مفهومون اذا كان التعريب هو القناة التى يسعون اليها -

لأن اليهودى يستفيد من هدم المجتمع أن يستولى على المال الذى لا أثر فيه للأخلاق أو للعقائد أو للوطنية أو للأمة -

والمعلم الفاضل يحدد على الملاحمين خلا يبالى أن يعطى غليل الحقد بكل مصيبة تسوى بين الاخفاق والنجاح -

والفتاة المايثة تهدم المجتمع الذى يسميها على الأقل عابثة وتطلع الى المجتمع الذى يسميها « بطة » أو رائدة من رواد التفهم والنقد - من قيود الآداب والأخلاق -

والمالمن المستهتر يطل كترك البطة حين يصبح الألب وصييط النفس نكسة الى الوراء وجوداً يصاب -

---

{ ١ } الأساس فى ٢٩/٤/١٩٤٩ -

والعامى الساحل تابع لكل ناعق .

والشاعبي المقاجر بالشغب صاحب مضاعة يعرضها في كل سوق ،  
ولا سيما السوق التي تضاعف له الثمن وتغنيه عن الكدح الشريف . والمسخ  
المشوه لديه من اسباب التحريب ما لا يحتاج الى بيان .

كل هؤلاء معقولون على وصف واحد للشيوعية ، وهي انها حركة  
نقمة وتحريب .

وما من سوء يدل على طبيعة هذا المذهب المدمر كما تدل عليه طبائع  
الدين يفتخرون اليه .

ولهذا قلنا جانبيين من قبل ، ونقول جانبيين اليوم ، ان اسبق تعريف  
للناس بالشيوعية ان يعرض الشيوعيون طابورا في الطريق أو طابورا على  
الورق ، وبمعنى بالطابور على الورق كل عرض لهم يمثلهم للبصر والبصيرة  
على مثالهم الصحيح .

### \*\*\*

ولم تلقى من هؤلاء احدا يعرف الشيوعية معرفة بحث وتحقيق

فان وجدت منهم من قرأ بعض الكتب فيها ، أو احاط بها فشره كارل  
ماركس ولنين وغيرهما من « فلسفتها » فلن تجد الباحث له على الايمان بها  
فكرة صالحة للاقتناع .

فما من فكرة صالحة للاقتناع تتنج احدا سليم العقل واللبس بتقويض  
المجتمعات الاسانية كافة تنفيذا لحكم صبي به فيلسوف واحد أو مائة  
فيلسوف .

اليس للعصاة الفكرية من حدود ؟

الا يجوز - ولو خمسة أو ستة في المائة - أن يكون كارل ماركس على  
حط في التقدير ؟

أيمكن أن تعتقد - مائة في المائة - أن ذلك اليهودي للماكر على صواب  
لا يحتمل الراحة اذا كانت المسألة مهم كل بناء اقامة بفوالانسان في كل  
ما مضى من المصور ؟

كل فكرة لخط بها كارل ماركس واتباعه هي في الواقع محل بحث طويل  
وشك كثير .

القيمة العائضة • حروب الطيقات • الديالكتيك المزعوم • أصل المادة •  
أصل الأسرة • أصل الدين كل شيء من الأشياء • • كلها جدليات في جدليات •

ولكن الشيوعى ، المفلور • يؤمن بهذه الجدليات ايماناً لا يسمح بنزعة  
من الشك ولا بشيء من الحيطة والمراجعة •

لأن عدم العالم مصالحة في طبيعته المصوخة لا تستحق عناء الفرد  
والبحث الطويل •

فهو لا يؤمن بالشيوعية على قدر ما هي عقله من برهان بل على قدر  
ما في نفسه من الهجوم على الخراب •

### آخرها والنظر ٢٠

وماذا لو خريتها ونظرت فظهر أن كارل ماركس قد احتل ميزانه هيأة  
أو هباءة ؟

لا ضير • لا ضير • فغاية ما هنالك نه عالم حرب • • وهل بي ذلك  
ما يستحق عناء التردد والشك والانتظار ؟  
ذلك هو قوام التشكيك الشيوعية •

وفي كل يوم تتجلى حقيقتها مع كل حلقة يهتدى إليها البوليس • فهو  
لا تخلو أبداً من يهودى ماهر • ومتعلم فاضل • وماجس مستهتر • وعامى  
جاهل • ومشاغب يتجر بالشعب • ومصحح تمافه الحياة •

أما الآلة التى يختارونها للعمل • ويصاعقون فيها النشاط • فهي الآلة  
التي يعمل فيها المسؤولون على الإصلاح لأن الإصلاح يققدهم الأمل في مروج  
الدعوة إلى الخراب •

فهو أعدى لهم من الظلم والفساد •

وهم اليرم يضاعفون نشاطهم لأن حساب • المقابلة • التى يجبرون  
عليها يقرب من أول الشهر القادم • وهو اليوم الذى يسمونه بعيد المعانيك •  
ولكنهم من قيل هذا نشطون •

وسينشطون غدا كلما وسعهم النشاط • وكلما ضاعف المسؤولون  
نشاطهم في سبيل الإصلاح •

فاذا اشتد البحث عنهم فلتش شدته في أعقاب كل مشروع من مشروعات  
الطمأنسة والرخاء • ولكن الباحثين عنهم يبحثون حتى لا يجنّوهم في يوم  
من الأيام • وهو اليوم الذى تستقر فيه الطمأنينة ويمم فيه الرخاء •

## ثنتين فوق التبهات ؟

من الخطط المعروفة عن الدعاة الشيوعيين انهم يحاولون جهدهم ان ينجسوا لهم اسما او اصابع عدة في كل مؤسسة عامة تصلح لنشر الدعوة او لتوجيه الآراء .

وفي مؤسسة المؤسسات العامة التي يمتون بها نقابات العمال ومراكز التعليم ومكاتب الصحافة والاذاعة .

وقد يقع موقع العراة عند بعض الناس ان يعلموا ان سماسرة الدعوة الشيوعية لا يعملون عن المسجونين بل دعوتهم بين نزلاتها من المحررين . لأن تعويلهم على نقابات المجتمع دائما اكبر من تعويلهم على الطوائف المحسنة فيه بالتربية والمعرفة والأخلاق .

وليس في ميسور هؤلاء السماسرة باليدافاة ان يسحروا الرؤساء والمديرين كلما ارادوا ان يدسوا اصابعهم في احدى المؤسسات التي تعيدهم . ولكنهم اذا عجزوا عن تسخير روسائها ومديرها كان ذلك ادمى الي محاولة « التسخير » من ناحية اخرى ، وهي ناحية الاتباع وصغار الرؤوسمين .

وهي اليوم في حرب مع المهرة الشيوعية لا ينبغي ان تهدأ او تترامى قبل القضاء عليها ، بكل معرفة يرسيلة من وسائلها ، او حطة من خططها ، هي سلاح لا غنى عنه في هذا الكفاح بين الاتسمانية واليهيمية ، وبين المصام والهراب .

ندم هذا التمهيد لانتنا نرى في كثير من الاحيان احيارا في بعض الصحف التي لا نزالها التبهات يستمحي فهمها بغير التنبيه الى هذه الحقيقة . وان وقف التبه الى هذه الحقيقة . وان وقف للتبه اليها عند حدود الظن والاشتياء .

واخر صال على ذلك انما قرانا في الصحف يوقية من لندن تشتمل على خلاصة راي الفيلسوف الانجليزي بومراند رسل في ابيس رعيم الشيوعية . وهو قريب ليهوته المشهورة في المذهب كله وفي دعائه المعاصرين على الخصوص ، وجملته القول في راي هذا الفيلسوف الكبير ان تفكير الداعية الشيوعي يعم على القسب وضيق الافق والاعتماد على التشويه او « التشطيط » كما يسميه باسلوب المنجار Diabotism

قراءتنا البرقية في إحدى الصحف التي لا تتألفا الشبهات كما قلنا فلماذا  
هي تنشرها بهذا العنوان ؟ كأن ليتين مقهورا ؟ ؟ وتشقعه بسلامتين  
كبيرتين للتعب ؟ ثم تروي رأي برتراند وسمبل بعنوان ؟ مزاعم غيلسوف  
انجليزى معاصر ؟ ؟ ؟

فكنا لا نصدق أننا نقرا هذه العناوين في صحيفة صحفية لا تبين  
بمذهب من هذه المذاهب الهداية .

لأن وصف ليتين بالتهور في دعوته قد يكون أعجوبة في نظر الصحافة  
الروسية وما إليها .

ولأن كلام عظيم من عظماء الفكر كبرتراند رسل قد بوصف ؟ بالمزاحم ؟  
عند من يعتقدون أن ليتين فوق منال الشبهات والتهم وأن استلام عنه لا  
يستحق أن يوصف بالكثير من ؟ الزعم ؟ في نظريهم ولو صدر من رجل كذلك  
الفيلسوف الكبير .

أما أن نطرح بتزيه ليتين عن الشبهات والاستقفاف بحكم برتراند  
رسل عليه وعلى أمثاله ذلك هو الأمر المستغرب ، في صحافة لا تدبى بمذهب  
الزعيم الشيوعى ، ولا تحمل صفقا لمن يصادقه ويعزو دعوته إلى التهور  
وضيق الحظيرة وسقم الوجدان .

ومن هو هذا ؟ الزاعم ؟ المزهوم ؟

هو العالم الذى لا تعلم مكانته في العلوم الرياضية والطبيعية والباحث  
الفلسفية مكانة مفكر بين العلماء الأحياء في العصر الحديث .

هو الرجل الذى لا ترقى الشبهة استقلاله في الرأي وجراته على إعلان  
الحقيقة كما يراها ، لأنه - وهو سليل بيت من بيوت النبوات في البلاد  
الانجليزية - يمدى على الاستعمار البريطانى ويتمنى روال الإمبراطورية  
البريطانية ويقول أن نزالها نعمة عليها وعلى الإنسانية بأمرها .

هو الرجل الذى اتقى باللائمة على اللورد جرائ لسميه في الاتفاق  
الانجليزى العرنسى من مصر ومراكش ، وقال يوعظ أن هذا الاتفاق هو  
المقدمة المحترمة للحرب العالمية .

هو الرجل الذى استقبل الممبون والفصل من منصب الأستاسية لأنه  
عارض سياسة الحكومة الانجليزية جهارا والحرب قائمة على سوقها .

هو الرجل الذي يرجع إلى أرائه في مذاهب الاجتماع ومناقشة القادة السياسيين وتقوم آراؤه فيهم على دراسة « طوفانية » معرفة شخصية ببعضهم ، ومنهم ليعين .

فإذا كان رجل كهذا يبدئ رأيا في ليفين فلا يعطى حقه من الاحترام في صحافتنا المصرية ، فعلى أى رأى من الآراء تحول الصحافة المصرية لمعرفة الحقائق عن مذاهب الهند والقوضى ؟

### ★★★

نمود فنقول أن اصحاب الصحيفة التى نشرت الخبر على هذه الصورة المتفوية لا تمسهم الظنون من ترويض مذهب من مذاهب الهند والتخريب ، ولا يخطر على البال أنهم يقبلون مذهبيا كهذا فضلا عن تحسينه والسحرية من نالقيه .

ولكن الفرية تزداد بهذا في الواقع ولا تنقص ، فانهم حليقون أن يجبروا انفسهم احتمال هذا الوزر سواء رجعت الشبهة فيه الى سوء تدبير أو سوء تفكير .

## الفكرة بالفكرة والجريمة بالعقاب

افضى صاحب المعالي وزير الدولة الاستاذ مصطفى مرعى بك يحنيت الى بعض الصحف تكلم فيه عن المذاهب الهدامة فقال ما فحواء انها فكرة تحارب بفكرة -

ومما لا شك فيه ان الفكرة انما تحارب بالفكرة كما قال الاستاذ الامين وزير الدولة ، لان الاكتفاء في محاربة الفكرة بمجرد الزجر والمصادرة قد يعززها ويقويها ولا يفلح بآية حال في استئصالها والقضاء عليها -

ومما لا شك فيه أيضا ان بعض شبابنا المصريين الذين تيسر للدعاة ان يستميلوهم الى الشيوعية او الى بعض الحركات الدينية قد مالوا الى تلك المذاهب عن اقتناع بصحتها وفائدتها للأمة المصرية او للانسانية عامة -

ومن هؤلاء الشباب من استماله الدعاة الى الشيوعية خاصة من جانب الرحمة والعطف على المستضعفين ، لاعتقادهم ان الشيوعيين يقوم بصنعون الضمماء والفقراء ويمشرون الخير والاسلاح

ومن هؤلاء الشباب من استماله الدعاة الى الحركات الدينية ، باستثارة الحماسة التي طبع عليها الشباب وتوجيهها الى غير وجهتها القويمة -

فبشر الفكرة الصحيحة هو العلاج الناجم ببل العلاج الوحيد - نهاية هؤلاء الشباب المضللين -

ونعتقد ان هذا العمل سونعى به بشر الفكرة الصحيحة عن المذاهب الهدامة - ليس بالعمل العسير على الدولة المصرية ولا على روى الاراء من مصريين - لان كشف الاحطاء للفكرية في تلك المذاهب اهلون شيء على من عزمها من مصادرهم ، واهون شيء على من احلص النية في طلب الوصول الى حقيقتها -

ويكفى تلخيص الشيوعية كما طرحها اشتمها في عهد كارل ماركس ليفهم اسخروج فيها انها تفتة على الناس اجمعين ، وانها لا تحب الضمماء او الفقراء ولا توجه جهودها الى غاية قبل هدم الحضارة الانسانية وتعميق كل ما فيها من اوصار الاخلاق والآداب -

## جرائم الشيوعية

رشحوا رجلا للولاية عند عمر بن الخطاب فوسقوه بآثمه • رجل لا يعرف الشر • فقال عمر رضي الله عنه كلمته المشهورة  
• ذلك أحرى أن يقع فيه •

وما قاله القاريق عن ذلك الرجل يعمري على كل جاهل مصدى نشر من الشرور • فإنه إن لم يقع فيه فهو ولا ريب -أجز عن القضاء عليه •

وفي مصر تصدى المقاومة الشيوعية وزارة برأسها رجل لا يوجد في دأره كتاب عن مسألة واحدة من المسائل العالمية التي تعد الشيوعية اليوم في طليعتها ويعاونه أناس لم يفقهوا من حقيقة هذه الدعوة شيئا غير ما يقرأونه في الصحف المصرية عرضا أو ما يقرأونه في منشورات الدعاة التي تصل إلى أيديهم حينها بعد حين • فهم يتكلمون عن خطر الشيوعية كأنهم ينكلمون عن الجن أو جرائر واثق المواق • ويصطلون كل ما يهدد الطريق للشيوعية وهم يحسبون أنهم يأخذون عليها منافع الطريق •

قال رئيس الوزارة المصرية ( ١ ) مرة أو عدة مرات : أن خطر الشيوعية بعيد عن مصر لأنها تناقض دين الإسلام • وقال غيره أن هذا الخطر بعيد لأن نظام الأسرة عريق بين المصريين • والشيوعية تهدم الأسرة من أساسها وتنتكر الميراث والتوريث •

وكل هذا كلام أناس يجهلون تاريخ الشيوعية القريب وهو في بعض الأحوال لا يمدى تاريخ السنة الماضية أو تاريخ بضع سنوات معدودات •

فالمسيحيون يقصدون الأسرة ويبلغ من تقديسهم أياها أنهم يجهلون أسلافهم وأن الأرباب عندهم أجداد طال عليهم القيم وهم مبدلون محظونون فارتفعوا إلى مقام الآلهة في السموات العلى • وصلى عاهلهم الأكبر • يابن السماء • فقل اعتصمت الصين لأجل هذا من الفتنة التي جاءت من روسيا الحمراء ؟ وهل اعتصمت منها روسيا نفسها وهي بلاد اشتهرت بالثديين الشديد وضعت عليها قرون وهي لا تؤمن إلا بالآب الكبير في السماء والآب الصغير فوق هذه العبراء ؟

---

الأساس في ١٩٥١/١/٢٩

( ١ ) هو مصطفى النحاس باشا •

ان عامه الناس حين يستمعون الى الدعوة الشيوعية لا يفتشون كتبها ليوارثوا بينها وبين كتب الدين ثم يقبلون ما يقبلون ويرفضون ما يرفضون . ولكنهم يقبلونها لانهم يرفضون المحالة التي هم فيها ولا يبالون ما يكون اذا تغيرت هذه المحالة الكريهة كيفما كان التمييز . ولو كانت الشيوعية لا تنتشر بين الناس الا بمقدار مالها من قوة البرهان العلمي والحجة المنقولة لما آمن بها احد ولا صلحت للأحد ولرد في معرض المذاهب والآراء . ولكنها تدمر كما تنتشر الويلاء حيث توجد جرائمه . وليس لها من جرثومة أقوى من جرثومة السخط كأننا ما كان سبب السخط بين الجماعات .

ويحطىء من يظن ان السخط الذي يمهّد للشيوعية راجع كله الى الحرمان والعجز عن تحصيل القوت . فهذا ولا شك سبب من القوى الاسباب او على رأس جميع الاسباب التي تثير نفوس الساحطين . ولكن الحرمان قد وجد قديما ولم توجد معه الشيوعية كما وجدت في العصر الحديث . واما توجد الشيوعية حين يقترب الحرمان بفقدان الثقة وضياع الأمل في العدل والاستقامة ومزاحة الاحكام . فليس الشيوعي شيوعيا على قدر حرمانه وتقصير معيشت بل هو شيوعي على قدر شكواه من الظلم وقنوطه من صلاح الامور وتشتد حرارة الشكوى بطبيعة الحال اذا اعتقد المتساكن انه محروم وانه مع حرمانه مظلوم .

هذه هي الجرائم التي لا يفلح احد في القضاء على الشيوعية متى لم يفلح أولا في القضاء عليها . فهل تقلح الوزارة النحاسية في القضاء على تلك الجرائم ؟ وهل من القضاء على جرائم الشيوعية ان يلمس الناس سيطرة اصحاب الملايين التي لا يقف في طريقها قانون ولا دستور ؟ وهل من القضاء عليها ان يقرأ الناس اسماء الاقارب والأمسهار والصنائع والمحاسب في كل امر يصدر بالتمييز او بالترقية او بالترشيح لمناصب الدولة لغير كفاءة ولا اكرامات لصلحة الحكم والمكومي ؟ وهل من القضاء عليها المياهة بالتزلف علانية وتكليف الحزانات العامة أو الخاصة قتل الفاسقة بالمطارة من قارة الى قارة في الوقت الذي عرض فيه على الناس ان يصوموا من الطعام ؟

ان اندفاع الجماهير الى الشيوعية أو مساوها من مذاهب الهدم والانقلاب لا يأتي من دراسة المذاهب والموازنة بينها على روية وبصيرة كما يفعل العلماء اصحاب البحوث . ولكن الجماهير تطلب التغيير ولا تبالى ما يكون من عاقبة التمييز . وهي لا تطلب التغيير الا اذا سمحت على ما هي فيه فلا تستمع انن نرشد ولا تصيح . ولا تلقى بالها الا ان يزين لها التهجم والاندفاع ويوافقها على الهدم والتخريب .

إن السطح هو جرثومة الشيوعية ، وشر المخطط في هذا العصر ما  
اجتمع فيه الحرمان وسوء الظن بمبادئ العدل والمساواة ، فهل تستطيع  
الوزارة المجازة أن تكافح الحرمان وهي ترجع بالنصب إلى قيود الحرب بعد  
سنوات من توقف القتال ؟ وهل تستطيع وزارة المصوبين والأقرباء أن تقضى  
على سوء الظن بمبادئ المساواة وتقدير الكفاءات والعقول ؟ وهل تستطيع  
وزارة التعطيل أن تجمع بين تعطيل الأعمال الكبرى وتشجيع الأعمال المعطلة ؟  
وهل تستطيع وزارة المتحة والبطيخ والميجامات المرحومة أن تحت الناس  
على الشغل والقناعة وللصبر عن الضرورات ؟ وهل يقضى على الشيوعية  
في عهد يتسامح فيه المصريون بأهوار المزارع والعمارات التي يشتريها هذا  
وذلك بمئات الألف ؟

إذا كان المقصود هو نشر الشيوعية وبذر جراثيمها فلا حاجة إلى  
مجهود آخر غير الأنشطة الحسوسة التي يلمسها الناس في كل صباح  
ومساء ، فأما إذا كان المقصود هو القضاء على جراثيم الشيوعية فزوال  
الوزارة النحاسية وروايل أثارها هو العلاج الأول الذي يقبضه علاج كثير ،  
وكلما طال العهد بأصاليب هذه الوزارة طالت بمدما فترة العلاج إلى زمن  
مجهول ، وأسلم ما تكون العاقبة إذا وثقنا بالمسألة ولو بعد العلاج الطويل  
والمناء الشديد .



الناري السباي

## استعمار القرن العشرين

بدأ الاستعمار الحديث في القرن الثامن عشر ، ولكنه كان بصورة جديدة من صور الاستعمار الكثيرة هي العصور العابرة فإن الاستعمار بجميع أغراضه قديم لم يزل من سيطرة حرية أو غلبة سياسية أو سفرة اقتصادية ، وأما تعمير أشكاله وأساليبه ودعاؤه من عصر إلى عصر ، وقد تغير في العصر الواحد على حسب اختلاف الأمم التي تصيب بالاستعمار واختلاف الأمم التي تصاب .

ولم يصيب على الناس فهم حقيقة الاستعمار منذ كان على عهد الدول الكبيرة التي سلعت في التاريخ القديم . وحقيقته هي السيادة السافرة أو السيادة المقنعة ، ولكنها على الأغلب كانت من قبيل السيادة السافرة التي لا تحاول التفتن ولا ترى حاجة اليه . لأن حكم القوة كان شرعية مفهومة يخضع لها المحكوم من أبناء الأمة الغالبة كما يخضع لها المحترم من أبناء الأمة المغلوبة . فلم تكن بالألمانيين حاجة إلى التزييق والتزييف لإعلاء حق من الحقوق إلى جانب حق القوة المصريح .

وربما كان الاختلاف الأكبر بين الاستعمار القديم والاستعمار الحديث محصوراً في الاختلاف بين السيادة السافرة والسيادة المقنعة . فإن السيادة السافرة تنقص مع الزمن كلما عرف الناس حقوقاً يدين بها السيد والمسود غير حق القوة وغلبة السلاح ، وترداد ألوان السيادة المقنعة كلما احتاج الناس إلى مسوغ حقيق عليه يسوغون به استخدام القوة للسيطرة على الضعفاء أو لترجيح دعوى قوى على قوى أخر يمتازة في ميدان الغلبة والاستعلاء .

وكثرت أساليب السيادة المقنعة بعد منتصف القرن التاسع عشر فكثر دعاوى المستعمرين التي يسوغون بها تسخير الأمم المغلوبة أو يسوغون بها الاستئثار بذلك التسخير . وتجمعها كلها دعوى واحدة يسمونها « أمانة الرجل الأبيض » ويزعمون أن أمانة التعمير واجب على الأمة المتحضرة نحو بأجمعها من نعمة العمار التي يستطيعها أهل الكفاية لها من المتحضرين فلا حاجة إلى الاعتذار بغير عذر التعمير لمن يقتحمون ديار المتطعنين في ركب الحضارة والعمران .

---

مقدمة كتاب : الاستعمار الاقتصادي ، تأليف روبرت ترومب ترومب الأستاذ محمد سامي عاشور ( سلسلة كتاب الخافوس - سنة ١٩٥٦ )

بقدر عذر التعمير لن يقتضون ديار المفلولين المتخلفين في وكب الحضارة  
والعمران .

أما أمانة التحضير - أو تعليم الحضارة - فهي كلفانة المقاصر في  
حق الوصي عليه ، وهي بهذه المثابة عذره الذي يحتكر به في سلب الحرية  
واقحام حوزة الشعب الضعيف .

كانت أمانة التعمير ، ومعها أمانة التحضير ، هما للقناع الذي  
امتدت به الميادة المرافقة عند بداية الاستعمار الحديث في القرن الثامن  
عشر الى منتهاه الذي أوشك أن يصير اليه في هذا القرن العشرين ، ولكنه  
قناع لم يزل يشف مع الزمن حتى بلى وسقط عن الوجوه والضمائر ولم يبق  
فيه بقية تستر ما وراءها ، وكان جيل واحد بعد الجيل الذي تلقى حداثات  
الاستعمار الأولى كنعيا لظهور الحقيقة في أمر هذا الاستعمار الحديث من  
وراء كل دعوى ومن وراء كل قناع .

وتعدت العوامل التي اشتركت في كشف للقناع عن حقيقة هذا  
الاستعمار من أواسط القرن التاسع عشر الى أوائل القرن العشرين .

ومن هذه العوامل ما يرجع الى المستعمرين أنفسهم في شربهم الداخلي  
وشربهم الخارجي التي تختلف بينهم باختلاف الأنواع والأقوام والعلاقات .

ومن هذه العوامل ما يرجع الى الأمم المفلوية على حسب سببها من  
التهنئة والتقدم .

ومن هذه العوامل ما يرجع الى أطوار الزمن عامة ولا دخل فيه لإرادة  
أحد من القالبيين أو المفلولين .

ومعنى العوامل التي ترجع الى المستعمرين أنفسهم أنهم انشأوا في  
شربهم الداخلي مسائل الحقوق والحرريات ومبادئ الحكم بموافقة  
المحكومين ، وظهر عنهم من لا مصلحة له في الفتح والتسلط وانفاق الأموال  
على التسلح والاستعداد للقتال .

وبعض هذه العوامل أن الدول المستعمرة كثرت وتنافست ووقف  
بعضها لبعض بالمرصاد طمعا في المساومة وتبادل الغنائم والصفقات .

وبعض هذه العوامل أن هذه الدول قد احتاجت في منازعاتها الى  
المصونة من أبناء الأمم المفلوية ، فلم يكن لها حصاص من الاعتراف للأمم  
المفلوية ببعض الحقوق ومن الذل قليلا أو كثيرا عن دعوى الامتياز التي  
احتكرها القائلون ، بأمانة الرجل الأبيض ، حقبة من الزمن .

أما العوامل التي ترجع إلى الأمم المغلوبة فهي الثقة بنفسها وقلة الثقة بالمسيطرين عليها ، فافتها مع التقدم في المعرفة والحضارة أصبحت يحقها في الحياة وافتات من الرهبة التي طمسها لأول وهلة من جانب المستعمرين الأقوياء ، وافتقت من منزلة الخضوع ومهانة الحرمان ، ولا سيما الأمم التي تعرف لها تاريخا عريقا تتعالى به على سادة اليوم وتستمد حته للثقة بصلاحها للحرية والسيادة .

وأما العوامل العامة التي ترجع إلى أطوار الزمن ولا دخل فيها لإرادة الفالبيين والمغلوبين فهي زوال مزايا الاستثمار التي من أجلها يتجشم المستعمرون أعباء الفروج وتكاليف المحافظة عليها . فإن الموازنة بين كفتي للربح والخسارة في حساب الاستثمار لم تقل تنقص من جانب الربح وتزيد في جانب الخسارة حتى أصبحت السلفة كلها أو كانت أن تصبح في عداد الصفقات الخاسرة التي لا تساوي تكاليفها ومشقاتها .

خمسون سنة منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين كانت كافية حل الكفاية لإبرار هذه الحقائق واسقاط تلك الدعاوى التي تذرعت بها السيادة الصافرة زما للتمتر بحد الفاع أو يدك من فتح الفسوج وللتبوير . فليس في العالم اليوم من يصمم للاستثمار عن حديفة فيه أو عن جهل بحقيقة أمره ، إلا أن يسكون في المرك الأسمى في الجهالة والهمجية . وأكثر من ذلك أنه لا يوجد اليوم بين المستعمرين أنفسهم من يطمع في عداد الناس بالدعاوى التي كانوا يكرونها ولا يسامرو تكرارها إلى سنوات قريبة بعد الحرب المالية الأولى . فإن لم يكن هذا الاستثمار اليوم في سر الانقلاص التام فهو في طور للتصفية العاجلة قبل عوات الأوار ، ولعل دلالة الأرقام هنا أوضح من كل دلالة في بيان تراجع الاستثمار واقتراب اليوم الذي يصير فيه إلى منتهاء . فإن الأمم التي كانت مصفوية الحق في الحكومة الذاتية كانت قبل نهاية للقرن التاسع عشر تعد بعشرات الملايين فأصبحت اليوم وهي لا تزيد على خمسين مليونا في القارات الخمس ، ومن كان منها حاضما في حكمه للسيطرة الأجنبية فليس في وسع هذه للسيطرة أن تنكر عليه حق المشاركة في الأمر وحق التطلع إلى المزيد من الاستقلال .

انقلاص الاستثمار الحديث أو كاد . ومن الانقلاص لكه يبقى حيث بقي شهر مجهول ولا محتجوع فيه . وأنه هو نفسه يطم أن الضخمة بعد اليوم لا تتيسر له ولا تجديه .

ألا أن القرن العشرين قد تمخض عن استثمار آخر من نوع غير أنواع الاستثمار التي عرفها الناس في التاريخ القديم والتاريخ الحديث . وهو

- لحدائقه - لا يزال مجهول الحقيقة عند الكثيرين ظاماً في خديعة العقول  
حيث انكشف للقناع عن كل خديعة استعمارية تلبست على الناس في العبود  
الأولى ، وفي هذه اليهود .

وشر ما في هذا الاستعمار الويل انه كالمرض الذي يسلب المريض به  
رغبة العلاج أو رغبة الشفاء ، لانه يسمح ما يلقى فيه من معنى الأدمية  
فيحيله الى حيوان لا خلق له ولا فارق بينه وبين سائر المصنوعات ، الا انه  
يستبقى رذائل الإنسانية من الخسة والحسد ولؤم البغضاء والفحشاء التي  
هوفيت منها فصائل الميوان .

ذلك هو استعمار المذاهب الهدامة أو مذاهب النابية التي اشتهرت  
في الزمن الأخير باسم الماركسية أو الشيوعية ، فانه استعمار يجمع كل  
شعور الاستعمار القديم والحديث ويزيد عليها ذلك المسخ والتشويه الذي  
يصاب به الإنسان فيهبط الى خفيض السرائر المجمع .

### ☆☆☆

ان كلمة الاستعمار باللغة العربية تشمل انواعاً من الاستعمار مختلفة  
الاسماء في اللغات الأوروبية ، ولكنها تتفق في السعة على وجه من الوجوه .

فهذه الكلمة تطلق على استعمار التوطن أو الاستيطان  
Settlement or colonization

وتطلق على استعمار القسار Imperialism

وتطلق على استعمار الضم أو الاستلحاق Annexation

وتطلق على استعمار الاستغلال Exploitation أو السيطرة الاقتصادية  
Economic Imperialism

وتقابلها في جملتها كلمة « الامبريالزم » وهي في اصل استعمالها  
الحديث تدل على الدولة الواسعة ذات الأطراف المترامية والزرايا المتمدنة  
من الشعوب المختلفة ، ولكنه اجمال يتبعه تفصيل كثير .

فاستعمار التوطن هو الاستعمار الذي يقوم على جالية من الامة المالبة  
تتخذ من بلاد الامة المظوية وطناً تقيم فيه أو تتردد عليه وتستأثر بمرافقه .

واستعمار القسار ان تسيطر الدولة حكمها على امم كثيرة في بقعة  
واحدة أو في بقاع متباعدة .

واستعمار الضم أو الاستلحاق ان تدمج الدولة المالبة امة اخرى  
في حوزتها بحدودها الجغرافية أو حدودها السياسية .

**واستعمار الاستقلال أن تتخذ الدولة في بلد من البلاد موقفاً مشتركاً  
للقراء الخاطمين عنها وبيع المصنوعات فيها أو تصدير الأيدي العاملة من  
أبنائها ، وقد يخل في هذا الاستقلال أن تأخذ الدولة الغالبة بزمام الثروة  
في البلاد الخالوة بواسطة من الوسائل المختلفة كإدارة المصانع أو التراض  
الديون أو ربط المعاملات بالروابط التي تليقها ولا تطلق لها الحرية في  
اختيار معاملتها .**

وهذه الأنواع المتعددة قد تلتقي في نظام واحد وقد تتفرق فلا يوجد  
منها غير نوع أو نوعين من سائر أنواعها - ولكنها مجتمعة كلها في  
الاستعمار الشيوعي الذي يلتقي فيه استعمار التوطن واستعمار التسلط  
واستعمار الضم واستعمار الاستقلال والسيطرة الاقتصادية ، ويزيد عليه  
في جميع هذه الحالات أنه يحرم الشعب المستعمر كل وسيلة تمكنه من طلب  
الحرية ويسمح المشعور الأنساني فيه ليصير على الاستعباد ، عجزاً عنه  
عن طلب الحرية أو فناعة مما يثار في نفوسه من شهوات الضغينة والحسد  
وهي أقوى في نفوس الهمل وأصحاب الهمم الساقطة من خواص الحرية  
والكرامة .

ولا تحتاج السياسة التي تحقق هذه الأغراض جميعاً إلى براعة فائقة  
ولا إلى قدرة حارقة في الدولة المتسلطة على الشعوب الخالوة ، بل يكفي  
أن تبادر هذه الشعوب جميع القوى الصالحة لقيادة الشعب ووجيهه في  
حركة التحرير فلا يبقى فيه غير العمل المضطرين إلى الخضوع أو للخاصمين  
باحتيارهم لأنهم يجهلون قيمة الحرية ويتعرضون منها بما يحتاج في نفوسهم  
المستقلة من شهوات الضغينة والتطاول على من كانوا ينظرون إليهم نظرة  
الحسد ويرضونهم أن ينظروا إليهم نظرة الشفقة .

ولا توجد اليوم في الكرة الأرضية مساحة من الأرض أوسع مكاناً  
وأكثر سكاناً من المساحة التي يشغلها استعمار الشيوعية في الفارتين  
الأوربية والآسيوية ، ولا يوجد في أنواع الاستعباد ما هو أشد مسومة من  
الاستعباد الذي يخضع له المستعمر لهذا الاستعمار بمختلف الأسماء  
والأنظمة والماويين . . . . . فهناك بلاد يطلقون عليها اسم الترابيع أو الانتخاب  
Satellites وبلاد يطلقون عليها اسم الجمهوريات المتحدة United

Republics وبلاد يطلقون عليها اسم القاليم الحكم الذاتي  
Autonomous Regions وما شاكل كل هذه الأسماء . . وكلها لا تملك  
من حرية الرأي شيئاً إلى جانب النولة الكبرى التي تشرف عليها ، فلا  
تسمع مرة واحدة أن حكومة تابعة قد أحترقت على معارضة الدولة المنيوعة  
في رأي من الأقراء التي تعلقها ، ولا يحدث مرة واحدة أن أمة من أمم

المستعمرات الشيوعية كان لها صوت في هيئة الأمم المتحدة يعارض صوت الدولة الكبرى في مسألة هامة من مسائل الميامة العامة ، ولا يتفق يوما أن تقول انجر أو بلعاريا أو رومانيا أو يولوفية يراى يخالف الرأى الملى عليها من سادتها كما انتهى أحيانا كثيرة أن تختلف آراء كندا والهند وأستراليا وآراء انجلترا اكبر اسول الاستعمارية في خارج الكتلة الشيوعية . وإذا كانت هذا ميلع الاستعمار المسط على الأمم المستقلة السماء بالتوايح أو الانداج بعد أن وصلت الى برحة من النصحية الدولية تبيح لها أن تتمثل في هيئة الأمم المتحدة - فقل ما شئت في الأمم الأخرى التي لم تبلغ هذا الميلع ولم تستقل هذا الاستقلال ولم تعرف في محيط الميامة الدولية ، بهمسية ، متميزة في حاضرها الراهن أو في ماضيها القريب .

وأعصر من الحرية في الحكومات الباردة أمام انتظار للعالم باصره - أن يتاح الحرية الصورية أو الحرية القومية في داخل للبلاد المغلوبة وهي مزوية مطوية وراء حدودها ، مجرومة من وسائل الاتصال بينها وبين أرجاء العالم الخارجى ولو كانت الى جوارها . فلم يحدث قط في داخل تلك الأمم أن نيسرت وسيلة من وسائل المعارضة لأحد من أفرادها أو لطائفة من طوائفها . ومما أن تكون هذه المعارضة حاصلة - على فرض حصولها - ثم لا تصل أحيارها الى خارج حدودها وإن تكون هذه المعارضة معدومة معتمدة كل الامتناع . فانها في الحالتين تدل على حالة من الاستعداد وميلع الأدمية لا نظير لها ولم يكن لها نظير قط في عهد من عهود الاستثمار القديم أو المعيش .

وقد كانت إدارة الاملاك الواسعة تتطلب في الامبراطوريات الكبرى كثيرا من البراعة السياسية وكثيرا من النفقة على المصدر الصورية ، لأن الغالب على تلك الامبراطوريات أن تكون الأمة صاحبة الصيانة أقل عددا من الأمم الناضجة لها مع تباعد المسافة بين أطراف الدولة وضرورة الوصول بينها بالواصلات المأمومة والمحالل الحصينة التي تقام فيها الحاميات المفاهية على الدوام لقمع الفتنة ومع العصيان ، ولا يتأتى للأمة المتسلطة أن تضمن إلى مواصلتها الا تنظيم العلاقات بينها وبين رؤساء الأمم التي تحكمها وتمثلها في حورتها . فمنها من تحالفه أو تضامه ، ومنها من تراقبه وتقيم الحراسة عليه . ومنها من تسمح له بالبلاد بيسط عن حرية المقصر والادارة الحكومية . وكلها تتطلب كما أسلفنا كثيرا من البراعة السياسية وكثيرا من البقعة على العدد الحرية تفوق طاقاتها مع قلة عددها بالنسبة الى عدد رعائها في الأطراف المتراصة .

أما الامبراطورية الروسية فقد أغناها عن هذه البراعة السياسية وعن الكلفة التي لا تتناسب مع عدد أبناء الأمة للحكمة أن هذه الامبراطورية

تتولاها أمة تزيد على مائة وثلاثين مليوناً بين أياء روسيا الكبيرة وأثناء روسيا البيضاء ، وإنها في حوزتها من الأرض متوسط بين الفارتين وتلقى حدودها وحدود أملكها في الشرق والغرب والجنوب - حتى من جهة لسكان أكثر عدداً من رعاياها ، ومن جهة المواصلات مستعصية عن الجهود الكثيرة التي تبذلها الامبراطوريات لضم أوصالها والتقريب بين أطرافها ، ويضاف إلى ذلك أنها لا تبقى في البلاد الحاضمة لها أحداً يدر على محاسبتها وقيادة أمتها في حركة من حركات التحرر أو المقاومة ، فلا حاجة لها إلى المقدرة السياسية في ربط العلاقات بينها وبين الأمم المتعوبة بعد مجريد هذه الأمم من دوى الرأي والرعاية فيها - ولهذا أمكنها - بل من المشقة أن تفرص على الأمم كل صرب من ضروب الاستعمار - أنه في كل خطر من الأخطار على حسب الحالة التي توافرها وتخضع ماريها واستليم لها بعدد ما واستملات أن تجمع في أملكها الواسعة بين استعمار النويط ، واستعمار التسلط ، واستعمار الضم والاندماج ، واستعمار الاستغلال والسيطرة الاقتصادية ، وأن تلقى من المقاومة أقلها وأضعفها - غلبها وقسوتها في أخصاع رعاياها ، بل هي تلقى المقاومة القليلة منفرقة وقسوتها وغلبها الحثيث على استئصال كل قوة صالحة لمقاومتها ، إذ يبقى في وطن من الأوطان إلا قطعاناً سائمة من الهمل الذين لا يحسبون لهواً ولا يقرون على شيء إذا أحسوه .

### استعمار النويط

وليس في أرجاء هذه الامبراطورية قطر واحد لا يتمتعون المكسات الاستعمار بجميع أنواعها وضروبها - فكلها عرضة للاستعمار ، من وطن واستعمار التسلط واستعمار الضم والاندماج واستعمار لسيطره الاقتصادية ١٠٠٠ إلا أنها تتفاوت في المقدار مع حضورها جميعاً للسيادة المطلقة عليها ، وأكثر ما يكون استعمار النويط في الأقاليم الآسيوية ، التي تتسع مساحاتها وتشبه الأقاليم التي نشأت فيها المذهب السلفية لأول عينها - فلا تزال أبواب الهجرة إلى تلك الأقاليم مفتحة لأبناء روسيا الكبيرة وروسيا البيضاء من غيرهم من رعايا الامبراطورية - ولا تزال الحدود الحرة لهؤلاء المهاجرين تزداد وتتقرر وتتحد نصيبها على مرأها ، أنها حقوق تدعها قوة البولة أمام حقوقه أسمة - مبعولة لأبناء البلاد الأصلاء ولا يوجد من يدعمها أو يجسر على المطالبة بدعمها .

وتدخل في الامبراطورية الآسيوية بلاد انشركس وإرمينية وأذربيجان والقفزاق والتركمان والأزبك والجرغير والجاديق والسنكير والداستان وبعض القبائل التي تنتمي إلى أبومتها ، وكلها - ما - إرمينية - بلاد

اسلامية تتكلم بلهجة من لهجات التركية الطوارنية ، ولكنها تتمزق وتتفرق  
على هذا النحو لتشتت شملها ومنع اتحادها ومقلوبتها .

فظاهر الامر ان الدولة الغالية تقى كل شعب من هذه الشعوب في  
حدوده اعترافا له بالحقوق القومية . وماكن الامر انهما يقيهم متقاربن  
متقارعين ليجتاح كل منهم الى الدولة الحاكمة في نفع جيرواته وقضى منازعاته .  
وليستهى بها المسير جميعا الى الغناء في الدولة الحاكمة على توالي الايام مع  
تسليط عوامل الضم والايماج عليها بغير ولاء وبغير مقاومة او بغير قدرة  
على المقاومة ادا وجد في تلك البلاد العلوية من يريد بها . ولولا هذا التمزق  
والفريق لاجتمع في هذه البلاد شعب واحد يدين بمقيدة واحدة وبشكل  
بلهجات متقاربة من لغة واحدة ويرجع الى تراث واحد في تاريخ الاسلاف  
ومعالم الاوطان .

ويؤيد من الاحصاءات المسورة ان نسبة الروس الى سكان البلاد  
الاصلاء تراء من سنة الى سنة ما طراد . وان نسبة ابناء البلاد الاصلاء  
تهبط كلما ارتفعت نسبة المهاجرين اليهم من ابناء الدولة الروسية ، ويستدل  
على هذه الريادة بالارقام الماخودة من احصاءات الحكومة القيصرية ومن  
جداول الناجيين في عهد الحكومة الشيوعية

ومكر مثلا واحدا من امثلتها في بلاد القازاق التي كانت نسبة الروس  
فيها عشرين في المائة سنة ١٨٩٧ فاصبحت اربعين في المائة سنة ١٩١١  
واصبحت خمسة وثلاثين في المائة سنة ١٩٢٦ بعد الانقلاب الشيوعي  
وتوقف الحكومة الشيوعية عن تنفيذ المخطط المرسومة لاختلال احوالها  
واشتمالها بالمازعات الداخلية . ثم عادت هذه النسبة الى الصعود فارتفعت  
الى سبعة واربعين في المائة سنة ١٩٢٩ وارتفعت الى تسعة واربعين في  
المائة سنة ١٩٥٠ اخر السنين التي عرفت احصاءاتها ، ولعل الزيادة الآن  
تزيد على خمسين في المائة ونمى في الارتفاع سنة بعد سنة على هذه  
البوتيرة ( ٦ ) .

ويكفي بغير حاجة الى الارقام ان يعلم نتيجة استثمار القومطن (١)  
قامت به دولة تريد عبتها على حانة وثلاثين مليون في اقاليم محقرة يقل  
سكان بعضها على مليونين . فان هذه الدولة لا تقى عناء يذكر في تغليب  
ابنائها على ابناء الملاد الاصلاء . وجامعة ادا علمنا ان ابناء البلاد الاصلاء

( راجع كتاب الامبراطورية السوفيتية تأليف اولاك كارو )  
Soviet Empire by Olat Karov

لم يبق فيهم غير قطعان من الهمل السائمين تعرضهم طائفة منظمة من حرب عفر الجرامج مرسوم الخطط معزز بسلطان الحكومة المهيمنة على أرجاء الامبراطورية برحتها . ويقال في هذه الحالة ان ابناء البلاد الاصلاء هم من طبقة البرولتارية أي طبقة الصغار والى ابناء البلاد الروسية الصغالية هم من ابناء هذه الطبقة في الحقوق . الاسمية . امام القانون والدستور - الا ان الحقيقة الواقعة تقلب هذه المساواة المزعومة واسا على عقب وتضع النقود الاكبر في ايدي الصغار الروس لانهم حرب منظم امام قطعان من الهمل . ولأنهم يصلون بقوة الدولة ولا يجد ابناء البلاد الاصلاء قوة يصرون بها غير القوة التي يسمح بها السادة المتحكمين بهم . . . . . وينتهي الأمر الى نقبص الفرص المطوب من المساواة . لأنها تعطى المحلاد الواعلين على البلاد جميع حقوق ابناء الاصلاء ولا تعطى هؤلاء الأبناء الاصلاء حفا صميما عن حقوق السيطرة والسيادة .

وكثيرا ما نحدث ابناء الشيوعية من البقاي السياس وحسيوه ردينه محتكرة للاستعمار القديم . وانه في الواقع لربيلة الاستعمار كدله قديمه وحديثه وردله الاستعمار الشيوعي حلصة على اوفى نصيب

هائي همدى - مثلا - كان يحدد للمستعمار البريطاني ان يعطى الانجليز حقوق المساواة في البلاد الهندية ليصبح حقهم كحق رعاياهم في الوصية والنيابة وتمثيل الأمة والدولة ؟

لقد كانت هذه المساواة تستهدف من الهنود - بحق ودرابة - لسلك ما في وسعهم من التهمة والاحتجاج . لأنها تسلبهم ولا تعطيههم بل نمطي العاصيين حقا مشروعا في البلد المطلوب الذي يمتصونه ويقتلون عليه . . . . . ومع هذا يبيع المستعمرون الشيوعيون ابناء تلك المساواة المزعومة كائنه اية من اساب الحرية والسماحة وباعت من بواعت لحد وهسي الاحرثة بين الشعوب والحكومات .

### ★★★

وعلى المحلة لا يعرف في القرن العشرين نوع من استعمار التوطن اعنف ولا ابلع من الاجرام من هذا الاستعمار السبيعي في الاقطار الاسيري على الخصوص . ولكنه على هذا العنف والاجرام لا يستوفى أعراض الاستعمار الشيعي التي لم تنحصر قط في عرص واحد ولا تزال كثيرة الشعب والطوايا في كل مكان مع تقاربت المقادير أو المرجحات . فليمت قنائم الجاليات المهاجرة كل ما يتره المستعمرون في تلك الاقطار الاسيوية لان هذه الاقطار كانت منذ عهد القيصرية مطعما من مطامع الاستغلال

والإتقان للدولة كلها وأصحاب الأموال فيها ، ولم يصف هذا الطمع في عهد الشيوعية بل أشتد وتفاقم بعد ظهور مناجم الثروة المعدنية في كثير من تلك الأقطار - وقد جفت هذه الكشوف على أبناء البلاد فكانت نعمة عليهم وبركة على المستعمرين والمستغلين . ولم يكن نصيب البقية الباقية من أبناء البلاد الأصلاء بعد التشريد والتكليل خيرا من نصيب السجيناء في سجونهم التي تكفل لهم الطعام والكساء وتسومهم من أجله مشقة العبيد الأذلاء - وأن النعمة لمصيب كل قوم على قدر الطمع في حيرات بلادهم والغنيمة التي يجيئها المستعمرون عنها ومنهم - فقد شرح صاحب كتاب « هجرة القازاق » بعض المصائب التي عاينها هذا الشعب في سنة ١٩٤٨ من حرائر الثروة التي كشفت في بلادها واضطرتته إلى الهجرة حيثما استطاع الأفلاك من قبضة الرقباء والمتعقبين ... ومن هدد الأفواج التي خرجت من ديارها عشرون امرأة فارقت مواطنها ومواطنيها وأجدادها على غير هدى وهي لا تعلم لها مستقر تأوي إليه ، فلم يدعها ريانة الاستعمار نحمو بأرواحها إلى حيث تلقى بها المقابر ، بل خرجوا وراءها بالطائرات بمقاييرها ويتصيدون أشناتها فلم يبق منها أكثر من ريع عدها حين وصلت إلى مكان تستطيع أن تقيم فيه عدد الجسود الشرقية من كشعير ، ولولا هذه البقية لاحتقن أثرهم كما احتقن أثر غيرهم ، أو استطاعت أبواق الدهاية أن تصيبها كلها كثرة من إكاذيب الأعداء كمياتها في مفي كل خبر تنكره على نمط واحد مغير مصرف ويغير تنويع (١) .

ولو كانت الكشوف الجغرافية مما يتأتى إنكاره أو إخفاؤه زمنا ملويلا لانكر القوم كشوف الثروة المعدنية التي جرت هذا البلاء على ملك المصحوب المتكرية بعيوب بلادها - ولكن الثروة المعدنية اشهودة فصار يتفنى بها التبعويون لأنها قوام سياسة التصنيع وأساس الحضارة المثالية في برامج الماركسيين ، وقد تفنى بها بعض أنصارهم في كتاب الفوه عن « آسيا السوفيتية » ليقولوا أن برامج التصنيع كانت نعمة وبركة على إثبات روسيا من الآسيويين . ومنهم شعب القازاق الذي فر من تلك النعمة ليشقى في مجاهل العربية بإختياره ... وعن حيرلت هذا الشعب يقول كتاب آسيا السوفيتية :

« أن كثيرا من العلماء في العهد القيصري كانوا يرون أن أواسط آسيا لا تحوى من للثروة المعدنية شيئا بذكر ، فجاء علماء السوفيتية واكتبوا خطأ هذا انراي ، ويظهر ميلهم من الخطأ إذا علموا أن أرض القازاق أوفر في البلاد الروسية محصولا من مستخرج الححاسد والزنك والرصاص وحسن الخيوط الكهربائية - وأنها تاتي ثمانية في تقدير المستخرج من الذهب ومن

عناصر المولدينوم الذي يلغم به العولاد ومن الفسدير ومن السرور . وهذه  
الثالثة في المعصول المستخرج من الفجر والبتول .

ولا بد لهذه الانشودة من ميل يلقى شبهاتها عن الذهن قبل أن يسبق  
اليه أن هذه انشودة المفاعلة كانت بلاء داهما على الوطن الذي ظهرت فيه .  
فاذا بهذا الدليل يتراءى على الصفحة نفسها على النعم اللازم في التوسع  
اللازم . . وإذا مشاعر من شعراء القازاق يقول في مجموعة نشرتها مطبعة  
الدولة بموسكو مفضيا بالقطار الذي يسمى هناك قطار الاتحاد : « أن انحابنا  
قطار مريع بطير على القناطر والجسور ، ويمطوي المزج الخضري بين البهاج  
اللطيف ، وهذه أرضنا في رخاء وشمسنا في قوة وإماء . » كالمسحاب في  
الفضاء ، وكذلك يعلم الأعداء . . . » ( ١ ) .

وعلى قارئ هذه الانشودة أن يصدق في وقت واحد أن الهاربين من  
القازاق إلى كشمير قد فروا من ديارهم لأنهم أحرار كالمسحاب . . . وأن  
الناظم القازاق ينظم حرا حين ينظم على أحدث الشروط الماركسية في أسب  
التصنيع !

ولكن القارئ الذي يأتي أن يصدق ذلك حرا محتارا أن يستطيع أن  
يصدق أيضا أنه أمام استعمار كرهه يقر منه من يفر ويبقى من يبقى تحت  
رأته عاجزا عن الشكوى عاجرا عن المكوث مطالبا بأن يفر ويتقدم حيث  
يبدح لغيره أن يفرز ويبكي ، ومثل هذا الاستعمار لا يأتي ثالثا ولا ثانيا في  
بلاء القوطن ولا في التسلط ولا في الاستغلال والقمع ، بل يأتي بينها  
جميعها أولا يغير نظير .

### \*\*\*

وحتى عن القول أن استعمار التسلط أو ، لامبريالزم ، لا يسمو بهذا  
الاسم لأن الباحث عليه محصور في طلب السلطة والعلية على الأمم بغير  
فائدة يفدها المستعمر من وراء العلية عليها . سواء نظرنا إلى الاستعمار  
القديم أو إلى استعمار المصور للتأخرة - فهما يكن من ولج الأسمين  
بالفتوح طلبا للمجد وطموحا إلى العظمة والمباة هذه الفتوح لم تحل قط  
من منافقها أممية أو العرقية ، وأقلها نفا ما يكون الباعث عليه حماية  
للمنود وقامة الحواجز بين الدولة وجيرانها القاصرين على قتالها .

فاستعمار التسلط يتطوى على ضروب الاستعمار الأخرى ومنها  
الاستغلال والقمع ، ولكن يتميز باسم خاص بين أسماء الاستعمار للدلالة

---

( ١ ) كتاب اسما الموقينية تأليف داليز . مترجم

Soviet Asia, by R.A., Davies and Stenger.

على كثرة الأملاك وسعة الأطراف . فلا تطلق كلمة الامبراطورية على الدولة التي تسيطر على قطر واحد أو إقليم صغير من الأرض تسقطه وتسخر ابتداءً ، وإنما تطلق هذه الكلمة على كل دولة كثيرة الأملاك واسعة الإشراف يصنع لها صنوف من الرعايا يختلفون أحياناً بالجنس واللغة أو يختلفون بالمرقع الجغرافي والممالك السياسية . ولهذا كانت روسيا الشيوعية من دول الامبريالزم لأنها تسيطر حكمها على اصقاع مترامية الأطراف بين القارتين الآسيوية والافريقية ، ومن السيلاد التي تضمخ لمفودها في امورية بولونية وتسيكوسلافيا وبلروسيا - أو روسيا البيضاء - واستونيا ولاتفيا ولتوانيا وأثانيا وبلغاريا ورومانيا والمجر وفنلندا وطائفة من الاقاليم المعرلة تسميها بمناطق الحكومة الذاتية ولا تعترف لها بالاستقلال الذي يخولها الاثابة عنها في المجامع الدولية .

وهي - من هذا تتبع في سياسة الاعتراف للأمة بالاستقلال نفس الخطة التي اتبعها الأحرار من قبلها - متعصبين بدعوى تقرير المصير في تحقيق مآرهم الامبراطورية . فربما اعترضت باستقلال البلد لتمرله من دولة أخرى أو لمتنقع يحسونه في المجامع الدولية أو لتوقع النزاع بينه وبين جيرانه وتضطربهم جميعا الى الاستعانة بها في نفس هذه المآزعات ، وقد عمد الأحرار بعد الحرب العالمية الأولى التي دعوى تقرير المصير فحللوا بين روسيا وبولونية امة صغيرة سموها بالروس البيض White Ruthenians ليفصلوا بينها وبين بولونية من جهة ويفصلوا بينها وبين روسيا من جهة أخرى . وكذلك فعلت روسيا الشيوعية في سياستها نحو هذه الامة الصغيرة بعينها . عابها بعد أن اعترفت سنة ١٩٢١ في معاهدة ريجا Riga بحق بولونية في حكم شطر من هذه البلاد عادت في سنة ١٩٢٩ فاعتمدت فرضة الحرب لتعمل بلاد هذه الامة ربطا مستقلا يتفصل من بولونية وبين للشيوعية بالطاعة من وراء نقاب هذا الاستقلال المزعوم ( ١ ) .

ولا توجد الآن في العالم دولة استعمارية بضخ لمسيطرتها الفعلية عند من الأمم مختلفين في أجناسهم ولغاتهم كهذا العدد الذي يخضع لسلطان الاستعمار الروسي بين تبتوتو ولاتين ومغول سلافيين وغير سلافيين ، ولا يوجد بين المستعمرات امة مصلوية الزاوي في السياسة العالمية والسياسة الداخلية كهذه الأمم التي لم تجسر واحدة منها قط على الانضمام في المجامع الدولية برأي هام يحالف رأي صانعتها المصلطين عليها .

وبيت القصيد في جميع هذه الأنواع من الاستعمار إنما هو الاستعمار

( ١ ) كتاب بلوروسيا أو امة تطلق تأليف نيكولاس فاكار .

The Making of a Nation by Nicholas Vakar.

الاقتصادى أو استعمار الاستغلال والتسخير صافرا أو متقبلا منقاد مرهول  
لا يطفى من ورائه سرا من دى بصر مفتوح .

وفى وسع كل دولة مستعمرة أن تعالط فى حقيقة مآلتها إلى الدولة التى  
تدين بالمالدية الاقتصادية وتؤمن بأن للثروة الاقتصادية هى الزمام الذى  
يقبض به الحاكم على قياد الحكوميين . فمن اللغو أن يزعم المستعمرون  
الروس أنهم يبدعون تفويضهم على تلك الأجزاء ثم يتركون زمامها فى أيدي غير  
أبنائهم ويجعلون شئون الثروة الصناعية على التخصيص بمعدل عن  
مسيئتهم مسئلة عن برامجهم وتوجيهاتهم . فليس لرغبة الروس فى استيفاء  
تلك الأجزاء تحت مفوضهم من معنى مفهوم غير أنهم يستولون على زمام  
الاقتصاد هناك ويحولون بين أبناء البلاد والفترة على مخالفتهم فى مسود  
السياسة المالية وتنبؤ السياسة الداخلية على السواء .

وخطة روسيا فى علاقتها بهذه الأمم الماضية لها لا تختلف برة من  
خطة المستعمرين حيثما تركزت السياسة كلها فى التصحية بمصالح  
النفطيين خدمة لمصالح المالبين . وكلما كانت هناك مصلحة مقدمة على غيرها  
ففى مصلحة الدولة الساندة لا مصلحة الاتباع المسحرين .

وحذ لذلك مثلا حملة الدولة الروسية فى مسألة التاميم وهى من أمهات  
المسائل فى البلد الشيوعية بل هى أم المسائل جميعا . بخير استثناء . .  
نيبولية ونيكوسلافيا ويوغسلافيا شأنها كمثل رومانيا والمجر وبلغاريا  
وفنلندة تسمى فى العرف الشائع بالنوابغ أو الكواكب التى تدور فى فلك  
روسيا السوفيتية *Satellites* . . . إلا أن بولونية ونيكوسلافيا  
ويوغسلافيا كانت فى الحروب إلى جانب الروس فلم يكن فى مقبولهم أن  
يدعوا طلبها حقا من فوق التمويض والغرامة كما ادعوا على رومانيا والمجر  
وبلغاريا وفنلندة التى كانت إلى جانب الفارين . ولهذا عملوا بسياسة  
التاميم فى البلاد التى لا مطمح لهم فى اغتصاب حصصها ونقلها من يلاذها .  
واحرصوا بتنفيذ هذه السياسة فى البلاد الأخرى ريثما يفرغون من عملية  
انجرده والاغتصاب باسم الغرامة والتمويض . فنقلوا ما نقلوا من حصصها  
والآنها وتركوها حفرة من موارد الثروة الصناعية إلى أن تنظم هذه الموارد  
بأشرفهم ومشاركتهم ككرة أخرى . وهم هنا يمالئون الشعوب بنخب السادة  
المسحورين لها فى الحرب على غير أرائها . وتسمى اليوم فلا تسمع منهم  
دعاية يلفطون بها غير دعاية الغيرة على الشعوب وتبرئتها مما يجلبه للسادة  
باسمها من الجرائم والفتن ( ١ ) .

( ١ ) كتاب نولدغ متالين فى أوروبا . تأليف إريجابيل جلوكستين -  
*Satan Satellites Europe by Yezel Gluckstein.*

ولا يفهم من هذا أن البلاد التي تعجل فيها التأميم كانت أسعد حالا من البلاد التي تأخر فيها التأميم إلى ما بعد استتزازها بالتمريضات والغرامات - فابهم في الواقع أعموا مرافقها العامة وأحالوها شيئا فشيئا إلى نظام الإدارة الغربية الذي عموه في ظل الشيوعية وأرادوا به أن يكون تدبير الصناعة بأيدي أفراد محدومين يتلقون الأوامر من ساسة الكرملين ولا يملكون المراجعة فيها - وقد بدأت هذه المسامة في روسيا منذ أكثر من عشرين سنة وصرحت إلى البلاد الحاصصة لها بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت صحيفة الحزب الشيوعي « بوفدا » في عددها الصادر في السابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٩ أن لجنة الحرب المركزية اذاعت على العمال منشورا يحثهم فيه إلى اجتذاب العمل المباشر في الإدارة الغربية وأن يساعدوا هذه الإدارة على سرعة العمل وتحسين الانتاج - - وأكثر ما بقي من المرافق غير مؤتمن فالرجوع فيه إلى الشركات المتساوية أي الشركات التي يتساوى عند أعضائها من الروس وإبقاء البلاد الاتصال ، وقد أخذت هذه الشركات تقل وتزداد بعدها حركة التأميم على أثر اشتداد الأزمة الاقتصادية في أوربة الوسطى وحصول الفرار بالاجماع من حكومة شيكوسلافاكيا بقبول شيان الفجأة مع أوربة الغربية - وما صدر هذا القرار في الرابع من شهر يولية سنة ١٩٤٧ حتى يأسر الكرملين باستدعاء حوتوالد وهاراريك من رجال الحكومة التشيكية وأجبروهما على الماء الفرار في العاشر من الشهر نفسه ، وكان ذلك مقدمة للمقجيل بحركة التأميم في أوربة الوسطى وأوربة الشرقية لأنه هو الطريقة الوحيدة إلى تمليب رأى السلطة على رأى الخبرة والمضورة في برامج التصنيع .

وحدث ما لا يد أن يحدث من سوء الحال في البلاد التي ذهبت مصالحها عمدا في سبيل مصالح المستعمرين أو في سبيل حارب الحاكمين الذين يخضعون روسيا وأحولها لشيئتهم الحاتية بغير مراجعة ولا رحمة - - وحدث ما لايد أن يحدث من جراء سوء الحال وتمطل الأعمال والعمال ، فاستعد ولاء الأمر لهذه المشكلة بعدتهم التي لا عدة لهم غيرها - وهي القمع من جهة ، واتهام المستعمرين التأثيرين بالرجعية والحسين إلى جهود الارستقراطية وحكومات النبلاء والأمراء المستعدين ١ - - وأن كان الفاتمون والثورة من عمال المتاجم والمصانع ومن الشبان الذين تبقوا في إبان الثورة الاجتماعية بين السابعة عشرة والخامسة والعشرين !

ولقد كان التهويل باسم الرجعية والارستقراطية من اللوازم التي لا قنى عنها لذلك الاتهام الحاضر الذي يربون به على كل ثورة وكل حركة من حركات التمرد والاحتجاج على سيئات الإدارة للصناعية أو الزراعية - - وعن يصعب بهذا التهويل بخصي إليه أن حركات الإصلاح الصناعي أو الزراعي لم

تكن شيئاً معهوداً قبل دخول أوروية الشرقية وأوروية العربية في حوزة الكومطين أو حوزة الاستعمار الأحمر بمختلف أسمائه ودعاواه . الآن الواجبان الإصلاح الزراعي قد بدأ في أوروية الشرقية بسعة خاصة قبل ابتدائه في صميم البلاد الروسية . لا لا يخفى أن بلاد الصرب والبلفار ويوغانيا وسائر بلاد البلقان كانت تابعة لدولة آل عثمان في الاستقامة ، وكان أصحاب القطع فيها من ولاية الترك ورؤسائهم الذين اقتطعوا الأرض الواسعة في تلك البلاد وملكوها مقيمين فيها أو موكلين عنهم من يورعها لصحابهم من مستأجريها ، فلما استقلت بلاد البلقان وما جاورها عن الدولة العثمانية كان هذا الاستقلال بداءة الثورة على القطع وتوزيع أرض الملك القطاعيين على الفلاحين . وقد تبين من دراسات المحققين لحالة الملكية الزراعية في شرق أوروية أن روال عهد القطع فيها قد تلاه فجأة توزيع الأرض على صغار الملك . ثم تباينت بعده القوانين التي تنص على تحديد الملكية الزراعية إلى ما قبل للحرب العالمية الثانية . فصدرت حكومة ستامبولسكي في بلغاريا ( ١٩٢٠ - ١٩٢٣ ) قوانين تمنع زيادة الملكية الزراعية على ثلاثين هكتاراً أي نحو صبعين فدانا . وتبين من الإحصاء الرسمي في يوغسلافيا أن نسبة المالكين الذين كانت لهم أرض تزيد على خمسين هكتاراً أقل من عشر عدد الملك . ثم صدر قانون أغسطس سنة ١٩٥٤ بتحويل زيادة الملكية الفردية على خمسة وأربعين هكتاراً . ويؤخذ من الإحصاءات التي صدرت بأشراف عصبة الأمم أن بلاد البلقان جميعاً كانت على هذا المثل في تشريعات الملكية الزراعية (١) وتشجيعها في هذا التطور بلاد أوروية الوسطى التي كان حلاكها الكبار من الألمان والروس ، ثم صودرت أملاكهم بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ . فإن الثورة على القطع فيها ليست بالصعبة ولا هي من مبتكرات الدولة الشيوعية . ولا يختلف الأمر كثيراً في أطوار الملكية الصناعية ، فإن معظم الصناعات قد نشأ في تلك البلاد بأشراف الحكومات لقلة عدد المشتغلين بالصناعة للضخمة من أصحاب الأموال الأفراد وبصعوبة قيام الشركات الكبرى في بلاد عاشت على الزراعة منذ زمن بعيد . فلما قامت فيها الصناعة بأشراف الحكومات لم يكن أبصر من تحويلها إلى ملكية الأمة ومع التخصم في الثروات الفردية .

فالتحويل باسم الرحمية والقطع في أوروية الوسطى وأوروية الشرقية لهما هو بضاعة مزجاة من بضائع الدعاية التي لا تعرف لها جواباً ترد به على حركات التكمير والشكوى عبر ذلك القول الميت أو القول المحتضر الذي يفضل في يوم العزح قبل قيام الثورة الشيوعية . ومهما يكن من خطره فما

( ١ ) يراجع كتاب ويلبرت مور عن الاقتصاد والسكان في أوروية الشرقية .

Economic Demography of Eastern and Southern Europe by Wilbert Moore.

هي بالحجة الصالحة لتفسير كل شكوى واحتكار كل علة ، والبراءة من كل تهمة يرمى بها نظام كله عرصة للسخط والافتهام .

### \*\*\*

إن مؤلف الرسالة التي نقدم لها بهذه الكلمة قد تولى شرح الموقف في أوربة الشرقية من وجهة الاستثمار الاقتصادي دون غيره من ضروب الاستثمار المسلط على الإمبراطورية السوفيتية من أقصاها في المغرب إلى أقصاها في المشرق ، ولكن الناحية التي قصر عليها المؤلف دراسته نموذج صادق لجملة النواحي كما تبدو في الجانب الأوربي على الأقل ، وهي مثل يقاس عليه فيما يجري وراء أوربة بين الأمم الآسيوية التي لا فرق بين النظم في ابتلاعها من الناحية الاقتصادية أو الطمع في ابتلاعها من الناحية القومية . لأن ضمها وضم صناعتها يندخان مما في أوتة واحدة . ولا يفصل هذا الطمع عن ذلك في نفوس الطامعين .

فمن الطبيعي أن يدور البحث على الاستثمار الاقتصادي وإماته المتفرعة عليه في رسالة نتحدث عن أوربة الشرقية ولا تجاوزها إلى ماوراءها من أقطار الإمبراطورية للحمر . لأن المستعمرين الحمر قد وجدوا في بيئات أوربة الشرقية صناعة حكومية أو شبيهة بالحكومية يستولون عليها فيتاح لهم أن يستولوا على رعام السلطة في بلادها . ولكن هؤلاء المستعمرين الحمر لم يقتصروا بالاستثمار الاقتصادي في إمبراطوريتهم الآسيوية لأنهم قد بدأوا هناك من الألف والباء لغاتجهت مقاصدهم من البداية إلى سيامة من سياسات الضم والاستلحاق لا تنقح في النهاية بما دون الانحياز التام أو بما دون انقضاء القوميات الآسيوية من فرعها إلى فئتها في عمار القومية الروسية المتغلطة في أحشائها .

ولولا الحاجة إلى الأيدي العاملة وصعوبة القضاء على ملايين من الخلق ذوي بامر وحمية لا تجهت مقاصد القوم إلى الإيابة والاستئصال ولم يلتزموا هناك بالضم والاستلحاق . فلما نظروا أمامهم إلى ولايات متروكة تتراوح عدة الولاية منها ما بين المليون والملايين العشرة أو الاثنى عشرة زارها تفرقا وتفرقا لتيسير التهامها وامتصاصها وحسبوا إلى ملاحمتها اليابرة التي تعصمها أن تنمحى في غمار الفاسيين فطردوا محوها وتغية آثارها . وبخاصة ما كان منها متصلا بالعقيدة واللغة . وكثافتها في شعوب آسيا الوسطى والغربية فرة لا يستهان بها . لولا ثقة المستعمرين بطغيان الكثرة الساحقة على القلة المبعثرة بمير حام يزود عنها ولا يصير يستقم اليها .

ولا يعرف التاريخ الاموي - بلا استثناء جنكيزخان وقيموركه - طعنا يبلغ من الوحشية والشناعة ما بلغه طغيان الاستعمار الاحمر على هذه الامم الصغيرة التي لا تذب لها الا انها تخالف الميثرين عليها في عقيدتها ولحمها - فقد احمقوا فيها قتلا وقسيدا وانتهاكا للحرمة المقدسة على دينهم في الوحشية التي يزيدها هنا ضراوة وعقا انها متعصبة على اناس يهابونهم في عقيدتهم وعصبيتهم كما يهابونهم بسياساتهم وعظامهم فكان ثلوث الحرمة المقدسة في تلك البلاد الاسلامية شهوة من شهوات العداء والنقمة وخطة من خطط الفتح والاستعمار ، وكان احراق المصاحف وكتب الاحاديث بعض المرامم المقررة في تلك المذابح المهنمية اضباعا لنقمة للتعصب الاعمي وتحقيدا للرب السلو والاستعلاء في ان .

ويسير جدا على القوم ان ينكروا هذه الفطائش التي اقترفوها داخل حدودها المخلفة واستطاعوا ان يعزلوا بينها وبين العالم بحواجز الاستبداد فوق ما احاط بها من حواجز الارضين والبحار ولكن الذي لا يتيسر لهم ان ينكروه هذه الرقائع التي تقصر وراء حواجز الاستبداد ووراء حواجز الحمال والرمال ، وهذه الوقائع التي تثبتها عليهم احوال صحفهم ووثائقهم المنشورة بايديهم ، والى هذه الوقائع نعتل من ثناء ليعرف منها قليلا مشهورا ينم على كثير مستور .

كان حجاج اسيا الوسطى يقفون على الأماكن المقدسة كل عام بمهراب الوف لا ينقطعون عن الحج حتى في ايام طغيان السولة القيصرية . وكانوا يعرفون بين المسلمين باسم حجاج بخارى او الحجاج البخاريين ، ان كان اسم البخارى وحده كفيلا بالحرص على ارتياد ارض الرسول لأنه الاسم القروي بالأحاديث النبوية على السنة جميع المسلمين . . . . . قلدا بهؤلاء الحجاج الدريمن على فريضةهم يخيرون من الموسم بعد الثورة الشيوعية ويدوم انقطاعهم رهاء ثلاثين سنة . ثم يؤذن لفئة منهم بالظهور فلا يزيد عدد الحجاج منهم في السنة على ثلاثين او اربعين قلما يبلغون المائة فضلا عن الالف والالاف . وليس من المعقول انهم كفروا بينهم بين عام وهام . ولكن انقول انهم يلاقون الهول الذي لا قبل لهم به دون مريضتهم العيرة عليهم . ومن يصنع ذلك جدا عن فريضة يتسامع الناس اخبارها ، ولا تخفى دلائل منعها - خليق ان يصنع اضعاف ذلك جدا عن المشاعر التي لا يسمح لها صوت يميها عن ظر دارها .



اما العمل على محو معالم القومية في هذه الشعوب وقطع كل علاقة حية بينها وبين تراث اللمة والتاريخ فيها - فهو زبدة الميادى التي تملتها

قرارات الحزب وتبنيها انصهف الرسمية وشرعها في الكتب والمنشورات  
عناؤها المبدون لتعميد برامجها الثقافية ، وما من كتاب يؤمن له بالخروج  
من المطبعة في ارجاء روسيا الا وهو بمثابة الامر الحكومي المنفرد من  
تخصيصه ومراجعتة وتطبيقه على مشروعات الستين كما تقررها نظم الدولة  
بعد ان تعرض العقوبة الصارمة على من يخالفها .

ولقد سلك المستعمرون الحمر مسلك جميع المستعمرين في تخليد  
ضحاياهم بالوعود الكاذبة وتعميدهم بزخارف الأباطيل ومخرجات الإيمان  
على نية الحث بها من اللحظة الأولى . فاهلنوا في أوائل أيام الانقلاب  
الشبهوى بلاما طنانا وجهوا فيه الخطاب الى الشعوب الاسيوية الاسلاميه  
يصفة خاصة واكدوا فيه لكل شعب منها انه امس بعد اليوم على حريته الثابتة  
في معتقداته وشعاره وعادته ومقومات المعرف واللغة بين عسرونه واهله ،  
وأنوه بزوال الحكم الفيصرى وروال عهد الحجر والطفياں برواله الى عين  
رجعة ، وما من الا ان هدات الثائرة واستقرت الدولة الجديدة في موارثها  
حتى عانت الفيصرية في اسبع صورها وحل الحوف محل الامان في كل وعد  
من وعود الحرية والطمينة ، وقال قائل من امراء تلك الشعوب امهاجرين في  
حديث يمتزج بالسحر الاليم ان المخدوعين المساكين كانوا اذا ارادوا ان  
يعرفوا مواضع المصادرة المتظرة رجعوا الى بقية الشعائر التي وعدهم  
باحترامها فعلموا انها هي الهدف المقصود بالضربة التالية . . . ولم يكن هذا  
الغافل الساحر حازها فيما وصفه من تقدير قومه وان ساقه في مساق التهمك  
والسبرية . فان الشعائر المقيمة قد اصبحت في الواقع مرآة المبرائم  
المحرمة على ملك الشعوب . . . حتى الشكوى من الفيصرية في ايام طليانها  
اصبحت دليلا على التثبت بالتمرة القومية ، فوجب اتهام المهاجرين بها  
والفضاء على دعائها .

وتساوى في هذا الاضطهاد جميع الشعوب الاسلامية من كان منهم  
في اقاليم اورية ومن كان منهم في اقاليم اسيا العربية او اسيا الوسطى .  
فسدر الامر في الغرب بتقسيم اللغة التي يتكلمها القرعبيون الى ثلاث لهجات  
وضبط كتابها على حسب الابجدية الروسية لا على حسب الابجدية العربية ،  
وبادى وزير المعارف - المستدروفتش - في المؤتمر الشيوعي السابح حشر  
بوجوب تطهير هذه اللهجات واسحال الكلمات الروسية في موضع الكلمات  
المعدومة عنها ، وشاعت سياسة التشتيت والتعزيق في اللهجات بل في فروع  
اللهجات لتيسير محوها وتصعيب استعادتها في مقاصد السلام والانداسة  
وتجيزها من الثبات . من ثم - امام اللغة الروسية التي اجترقتها جميعا  
في معاهد الدراسة وموادين الحكومة ومنشورات المطابع والمجالس  
السياسية - وقوا كان سكون مليونا من ايناء الشعوب الاسيوية يقرآن صحيفة

« توجمان » ، التي كان يصدرها المصلح الكبير اسماعيل غصبرالى المعروف فى القاهرة ، وكانوا على اختلاف لهجاتهم يفهموها ويتداولونها ، قام المستعمرون الحمر - انصار حرية الشعوب - بمصادرة كل صحيفة من شبيها واعتبارها داعية الى العنسة والوجعة والتشتت بالفرع الوطنية ... وصادروا مع مصادرتها كل سيرة من سير البطولة ينسب بها أبناء الشعوب الثغولية ، لأن ثورة الأبطال الوطنيين فى وجه القياصرة اما كانت ثورة على الأمة الروسية التي ساءت الحضارة والمعرفة الى بلاد تلك الشعوب ... !

وحالت اللعنة بالانبياء الذين يذكرون أوطانهم بالثناء ويفخرون بالانتماء اليها ، فانهم الشاعر التركمانى جمعة مرادوف بالنكسة الرجعية لأنه نظم قصيدة عنوانها « بلدى توكمانستان » عابثها صحيفة الحزب ( تركمانسكيا اسكرا ) Tunkmerskaya Iskra فى عدها الصادر فى الحادى والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٥١ وقالت فى انتقاد الشساس ، انه لا يهتم التركمان السوفيتية بالكلام بل يعمم القول على جميع بلاد التركمان ويصورها كامها جنة على الأرض ... وانما يبغي على الشاعر ان يتحدث عن تركمان السوفيتية لأنها احدى الجمهوريات الأخوات فى داخل الاتحاد السوفيتى العظيم »

وسيقت الأمم غير الروسية الى عقد مؤتمر تعلن فيه ولاهها للدول المستعمرة وسحطها على دعاة التجديد والاحياء فى الحركة الوطنية . فخطب باجبروف نائب الرئيس بذلك المؤتمر قائلا « ان رئاسة اتحاد الكتاب السوفيتيين رأت حوائى سنة ١٩٢٨ .. ان تمقد فى موسكو اجتماعها لتنظيم المناقشة فى مسألة القومية التي ينتمى اليها الكتاب السابقون ومزوماتهم خير مستفيدة من تلك امثال ذلك الكتاب الرجعى الذى يصرى على عدواة الشعب وتسمم الافكار بمسوم الجامعة الاسلامية فعنى كتاب بيدى كركوت Nedé Karkut ... ولكن هذا الرأى قد تقرر رفضه فى لجنة الحرب المركزية وعرفنا بفضل هذه اللجنة طوايا الكتاب للسبئية وأن نعيظ اللثام من حقيقته الرجعية ... »

ونعقب النقاد - الروسىيون - اناشيد البطولة والوطنية من الأمم الفاضلة للدولة المستعمرة فوصفوها بحجب النزعة وسوء الطوية وقال باجبروف المتقدم تذكره فى عدد يوليو سنة ١٩٥٠ من مجلة بولشيفيك وهو يتحدث عن « شامل » بطل القوقاز الذى اشتهر بشورته على القيصر ليدل منتصف القرن التاسع عشر ، « اننا اذا اربنا أن نعهم فكرة صميحة من حركة شامل هذه فليذكر انها كانت حركة نمية وانها اشد اعراض للنزعة الاملاية نكسة وعدواة ... »

وقالت مجلة « كوميونيت » في عدد يناير سنة ١٩٥٢ « إن المؤلف جعروف الذي كان يظن سنة ١٩٤٤ أن الحركات القومية التي ثارت على روسيا خلال سنة ١٨٩٨ وسنة ١٩١٦ كانت من حركات التحرير الوطني قد عاد فأبرك خطاه ونكث في سنة ١٩٥٢ أنها كانت حركات انطباعية متعصبة » . ومضت المجلة تقول : « إن هذا الكتاب - أي كتاب جعروف - يتعمق في البحث عن جذور العلاقة الودية بين أمم آسيا الوسطى وبين الأمة الروسية العظيمة ويلفت للنظر على نحو خاص إلى الدلالة التاريخية التي يدل عليها ضم هذه الأمم إلى الحضارة الروسية » . فان هذا الضم قد أتاح لها فرصة المساهمة في ثقافة روسيا العظيمة » .

وصحيفة الدولة « يرافدا » تردده هذه الأقوال وتصرح في السابغ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تمنع مسوم الجامعة الإسلامية . ثم تصرح في الثالث عشر من فبراير سنة ١٩٥٢ بأن المؤرخ سليمانوف مضلل كالم لأنه يزعم أن الشعوب التركية تجمعها ثقافة مشتركة ، وتصرح صحيفة الدولة الأخرى « أزغستيا قبل ذلك ( في الثاني من سبتمبر ١٩٥١ ) ببطلان الدعوة التي يوجه إليها مجمع العلوم ببلاد الأربك لأحياء كتب السلف الإسلامية وإدخال مخطوطاتها ومترجماتها :

وقد بدأت هذه السياسة منذ الأيام الأولى التي اتفق فيها سادة الكرملين من شواغل حريمهم الداخلية . ولكنهم كانوا يراوغون في تنفيذها بين المسامة والمديعة أو بين القمع والجملة ، حتى كشفوا المسامح عنها حوالي سنة ١٩٢٠ فدفعوا إليها المؤتمرون الذي سموه بالمؤتمر التاريخي في مسير فقد ليمثلوا البراءة من الوحدة القومية . أو نجلنا بمباراة أخرى أنهم ساءوا آسيا الوسطى - اشقات متفرقون وليسوا بالمعصر الواحد في الأصل ولا في اللغة ولا في التراث القديم ، وقد اجتمع المؤتمر مسبة ١٩٢٥ وأصدر قراره - الملص - بوجوب تصحيح النظر إلى تلك الوحدة المزعومة بين القازاق والتركمان والجورجير والأزباكية وجيرانهم الآخرين . ولستأ ندرى كيف بطمع دعاة الاستعمار الأحمر في تصديق هذه الاضمركة من اتاس طائمين معقارين يشدون رجالهم إلى بلد واحد ليمزغوا للفاسب تحزيقهم وانكار أصولهم وابتلاعهم بعد ذلك اشقاتا مبعثرين .

ويجوز تصديق هذه الاضمركة لو كانت المسألة هنا مسألة مبدأ في المذهب الماركسي بطبقونه في جميع الاوطان وبين جميع الشعوب . . . أو لو كان الشعور الوطني على مذهبهم شعورا بغيضا لديهم يعرمرنه على الأمم الجائكة كما يحرمونه على الأمم المحكومة ، ولكن الواقع

فى الامبراطورية الروسية على تخفيض ذلك من طرفيه - فان الحمضية الوطنية مفروضة مشكورة فى روسيا حيث تكون مضمومة مبحورة فى البلاد الخاصة لسلطانها ، وكلما اشكد ولاية الامر فى تجريم العناية باللعة والتراث القوي فى قطر من الاقطار الآسيوية قابلوا ذلك بالحماسة الروسية للمعصر والملة والثقافة فى اتصيق حدودها ، ولم يصنع الناريون والفاشيون فى تزويجهم المربون بالمعاصر المحتكره للجنس الآرى والمناظر الموقوفة على انجودنا - واسلافهم دون سواهم من امم العالمين بعض ما صمعه دعاة للعظمة السملعية - بل عطمة الجنس الروسى على حدة - بين مائز اجناس السلاف الناضرين والغابرين - فذهب رءوا الى هذا الجنس فضلا واحدا لا مئازع لهم فيه - يدعور به السبق الى كل اختراع والامعاد بثل فكرة قبل انتشارف بين بلاد الحضارة الحديثة -

فى سنة ١٩٤٩ منح مجلس الوزراء جائزة الدولة للمؤرخ ريباكوف Rybekov لانه رعم فى كتابه من صماحات روسيا القديمة ان روسيا كانت مصدر اعمارف المصباعية التى انتقلت منها الى الغرب واستفاقت منها بولونية وبوغمية وما جاورها - - -

ومعينة الدولة تحيى قصة كاترين الثانية فى الصور المتحركة فتعبد تصبغة شاعرها الذى وصف ذلك العهد بانه عهد الظفر القاصف والغبية الجائمة للعنفية الروسية فى حيايين القتال -

وقادة روسيا الذين خدموا القياصرة تعاد ذكراهم المنوية او الحمضية لكل مناسبة عارضة او غير مناسبة على الاطلاق غير ارقام القوارىخ عيشيد كاتيهم شاتاجين Shatalio فى شهر مايو سنة ١٩٥٠ يشكرى انقضا - حانة ومحسين سنة على وفاة القائد سفيروف Suvorov ويحيى هذه الذكرى العالدة بمقال مسهب (استغرق اكثر من عشر صفحات فى العدد التاسع من مجلة البولشفيك )

والدولة هى التى تتولى نشر كتاب كوفاليف Kovaliev الذى يحيى معظم المخترعاب الى صايقه روسية ، ويقول فيه ان لومسوف الروس سبق لاقواريه الى قانون بقاء المادة والطاقة ، وان بطروف سبق جميع العلماء العالميين فى كشوف الصنافة الكهربائية وان بيتز وياكوبى سبقا المحررين وللكاشفين الى استطلاع اسرار المنطيسية الكهربائية ، وان بلرتوف سبق واظس الى اختراع القاطرات البخارية ، وان يابلتوف ولوميجين سبقا المخترعين الى الاهتداء لنور الكهرباء باكثر من ثلاثين سنة ، وان بوبوف هو مخترع جهاز الاداعة حوالى سنة ١٨٩٥ ، وان بريديجين سبق الفلكيين الى رصد حركات المنذبات ، وان لوباشفسكى هو صاحب الاراء الحديثة التى جند بها علوم الرياضة وانشأ بها هندسة تنافس هندسه اقليدس القديمة - -

وإن علماء الروس بالإنجاز قد سبقوا جميع العلماء والمختومين في ميادين  
للصناعة المصرية والعلم الحديث - ٢٠ -

وكلما اجتمع مؤتمر المعلمين الذي يوحى بسياسة التعليم إلى المدارس  
كافة في أنحاء الامبراطورية - تادى بوجوب تعليم الدروس جميعا باللغة  
الروسية - - وصحيفتهم المخصصة لإذاعة هذه السياسة هي التي نشرت  
خلاصة هذه انقراوات في الصباح من شهر إبريل سنة ١٩٥٤ فقالت في  
الفصل الافتتاحي : ان الاكراسيين وأمناء روسيا البيضاء واللتانيين  
والاستونيين وقازاق والازابكة والشراكسة والأرمن والقرق الخ يدرسون  
بحسب وضع لغة ائحتهم الكبرى الأمة الروسية العظيمة :

وهذه الصحيفة هي التي نشرت في الثلاثين من شهر يونيو سنة  
١٩٤٣ برنامج التعليم فقالت : « لئنه من اللازم في السخوات الباكسة أن  
يتعلم الاطفال محبة كل ما هو وطني من تربة الوطن - - وإن نغرس في  
نفوسهم الفكرة التي تجلب نموذ الفرح إلى أعينهم عند الإشارة إلى هذه  
الأم الكبرى وسرى بالقشعريرة إلى الدم كلما مر بالذهن حائط يهدسنا  
بقلدها » -

ولندكر ان هذه الفترة بين سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٥٤ تتناول سياسة  
المهدين في حكومة الدولة الروسية ، عهد ستالين في أوجه وهدد حلفائه  
الذين نقضوا من سياسته ما نقضوا غير هذه الفرعة الامبراطورية التي  
تعالج برامج الاستثمار علاجا يعكس الحاكم المتسلط على الامبراطورية من  
احضاها لقبصة واحدة في عاصمة واحدة ، هي عاصمة الدولة الحاكمة -

### ★★★

فهذه السياسة التي تحرم الحماسة للوطنية في مكان وتقدسها في  
مكان آخر ليست من مياديه المذهب ولا من أصول المانية الماركسية ، وانما  
هي لون من ألوان الاستثمار الكثيرة يدين بها المتسلطون الشيوعيون ،  
ويتبعون فيها على هذه الصورة الضيقة شر خروب الاستثمار في اشام  
عصوره ، لأنها استثمار يقود إلى القضاء ويلقى وجود الأمم السكوية  
به كي لا تقوم لها قائمة بعد جيل أو جيلين ، وإذا اقترنت به مذابح الاباد  
التي تقضى على كل رأس يرتفع بالمعارضة أو المناقشة باسم القضاء على  
الطبقات العليا والوسطى فقد خرج الأمر من كونه استثمارا يمسس به  
الآدميون إلى حالة من الحيوانية لا فرق بينها وبين القطعان السائمة من  
المجماوات -

### ★★★

ولا أدل على الجهل بالشيوعية في نطاقها اللواسع الحقى من أن ترى بعض الناس ينكرون شرها ويحسبونه شرا جديدا يميز عن شرور الاستعمار القديم وحديثه ، وتراهم يقرتوتها بالاستعمار على الدوام كأنهما شيئان متقابلان لا يتكلمان في غرض ولا يتفقان في وجهة مشتركة - وظاهر لا حاجة به إلى الإظهار أن الشيوعية دعوة من الدعوات الاجتماعية تحتوى أمرا كثيرة ليست نى الاستعمار بجميع أنواعه ، ولكن الأمر الذى لم يظهر كس الظهور أن الاستعمار لم يوجد فيه عيب قط حلت منه الشيوعية نظامها القائم فى العصر الحاضر ، وأن الإمبراطورية الشيوعية تياثر اليوم الزاوا من الاستعمار السافر والمستتر كاشع ما عرف الناس فى عهودهم الفابرة والحاضرة ، سواء منها استعمار التوطن واستعمار التسلط واستعمار الابتزاز والاستغلال واستعمار الضم والافناء .

وهذه الرسالة قد عنت باستعمار واحد فى رقعة واحدة من الأرض - وهو الاستعمار الاقتصادى فى العالم الأوربية الشرقية - فأجمل الكلام عليه إجمالا كافيلا للامام بخطوطه المريضة كما تقول فى مصطلحاتنا المصرية ، ولكن الاستعمار الشيوعى - حتى فى هذا النطاق المحدود - وأوخم من أن يتم اللام به فى ناحية واحدة دون اللام العاجى بدواحيه الأخرى . ولعلنا بهذه المقدمة الموجزة فى موضوعها قد أهطنا السيرة بإطارها الذى يليح لنا ظللها وملامحها من مختلف زواياها .

## مستقبل روسيا

من الوثائق التأويضية القادرة في اللغة العربية ، رسالة منسوبة إلى الفيلسوف أرسطو ، يقال أنها كانت جوابا عنه على سؤال وجهه إليه تلميذه الإسكندر المقدوني . مستشيرا أباه في قتل أمراء فارس بعد فتحها ، وفي إحلال عيهم من قادة اليونان محلهم في إدارة شؤون المملكة الفارسية . فاجابه الفيلسوف بتلك الرسالة ، محذرا أباه من مخبة هذا العمل ، وناصحا له بالإبقاء على أمراء البلاد وسياستهم على النحو الذي أملاه . وهو كما يلي عن النص العربي البليغ .

قال الفيلسوف . ( .. ) انك ان تقتل أشرافهم ، تخلف الوضعاء على أعقابهم . وتورث سفلتهم منازل عليتهم . وتعلب أسيادهم على مراتب ذوي أحبارهم . ولم يبق للملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم وأشد قوهينا لسلطانهم من طلبة السفلة ونيل الوجوه . فاحذر الحذر كله . ان تمكن تلك الطبقة من العملية والحركة . فانه ان نجم منهم بعد اليوم على جندك وأهل بلادك ناجم . دهمهم منه ما لا روية فيه ولا بقية معه . فانصرف عن هذا الرأي الى غيره . واعمد الى من قبلك من أولئك العظماء والأحرار . ووزع بينهم مملكتهم . وألزم اسم الملك كل من ربيته منهم . واعقد التاج على رأسه وان صهر ملكه . فان اتسمى بالملك لازم لاسمه . والعقود التاج على رأسه لا يجمع لمجره . فليس يشب ذلك ان يوقع كل ملك منهم بيعة وبين صاحبه تدابرا وتقاكما وتغالبا على انك . وتفاخرا بالمال والهند . حتى يفسوا بذلك أصنامهم عليك وأوتارهم فيك . وتمود حزمهم لك حريا بينهم . وجنقهم عليك حنطا منهم على أنفسهم . ثم لا يردون في ذلك بصيرة الا اصحشوا لك بها استقامة . ان ثنوت منهم بذوا لك . وان نابت عنهم تمرزوا حتى يثب من ملك منهم على جاره بأعصمك . ويمتزبه بمعصك . وفي ذلك شاعل لهم عك . وأمان لأعدائهم بعك . وان كان لا أمان للغير ولا ثقة بالأيام . وقد أتيت الى الملك ما رأيته لي حطا وعلى حقا من اجابتي أباه وألى ما سألني عنه ومحضته النصيحة فيه .. )



مقدمة للكتاب « مستقبل روسيا » الكتاب الرابع من سلسلة كتب اسافوس - مستورات مكتبة الانتاج المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧ . والكتاب تأليف ليونارد - بيرو . ترجمة الأستاذ علي افهم .

هذه الوثيقة النخبة تنسب إلى أرسطو ، كما نسبت إليه آثار كثيرة .  
 على غير ثقة بصحة هذه النسبة ، أو على غير ثقة بصحور هذه الآثار جميعاً  
 من قلم أرسطو ، إلا أن يكون ذلك منقولاً عن لسانه بإقلام تلاميذه ومريديه .  
 ومهما يكن من صحة نسبة الرسالة إلى قلمه أو لسانه ، فالأمر الذي لا شك  
 فيه أنها رسالة جديرة بفكر عظيم من طبقة ذلك الفيلسوف العظيم المنظر في  
 عالم البحث والتفكير . ومما لا شك فيه كذلك أن الرسالة قد اشتملت على  
 خطة واقعية جرت عليها دول الفتوح والاستعمار من قديم المصور . وهي  
 مقدمتها بولمة الرومان الغربية التي استفادت في نظم السياسة والإدارة  
 الحكومية من تجارب الفاتحين قبل عصرها الذهبي بعدة عصور ، فقد كان  
 الرومان في عصرهم الذهبي حريصين على اتباع تلك الخطوة ، ويحتجرون  
 ما استطاعوا إلى استبقاء نوى الرئاسة والزعامة في البلاد التي يفتخونها  
 على عروشهم تأييداً لهم في المسائل الجلية ، مستقلين عنهم في شئونهم  
 الداخلية . وكثيراً ما كانوا يمتنعون عن حكم البلاد حكماً مباشراً بأمر  
 نظم الحكم وقوانين التشريع على الشعوب العاصمة لمسلطابهم . فكانت  
 طاعة القواميس الرومانية بمثابة طاعة الدولة الرومانية في كثير من الأحوال .

ولم تزل هذه الخطة مرعية ، على عهد أو على غير عهد ، إلى  
 المصور المتأخرة من عهود الاستعمار الحديث . فمما أطلع سياسة  
 الدولة البريطانية على رأي أرسطو ، أو اطلعوا على سياسة الإسكندر في  
 الملكة الفارسية بعد فتحها ، فالأمر الواضح أنهم سلكوا تلك الخطة على  
 غاية من الدقة في حكمهم للأقاليم الهندية ، وغيرها من الأقاليم التي فتحوها  
 أو تملأوها عليها . فقد تركوا للأرجات الهنود عروشهم ومراسم إماراتهم ،  
 وفرقوا بين أقدارهم وعظائمهم ، حتى حدث بينهم ما قاله الفيلسوف  
 أرسطو - أن صحت نسبة الرسالة - أنه حليق أن يحدث بينهم في خلانة  
 بعضهم ببعض ، وفي علاقتهم جميعاً بالإسكندر وبولته المنسلطة . وإلى  
 حين من الدهر كان هؤلاء الأرجات فيه أحرص على بقاء السلطان الإيجيبي  
 من ذلك السلطان نفسه ، فحاربوا من طلب الاستقلال عن الدولة البريطانية .  
 وسألوا من سألها . وشد منهم بعض الأمراء لأسباب عارضة ، فاتفقوا مع  
 الدائرين على الدولة البريطانية إلى حين . ولكن هذا الاتفاق لم يبلغ قط مبلغ  
 الإخلاص في استنهاض الشعب للحرية المسيحية ، والمشاركة في توجيه  
 سياسة البلاد .

هذه الخطة تنفع الحاكم المتسلط على الأمم المغلوبة ، وترى إلى امتتاع  
 السلطان في يده ، بالفرقة بين أهوانه من أبناء تلك الأمم ، ولم تزل مرعية  
 كما أسلفنا إلى عهود الاستعمار الحديث . ولكنها قد انقلبت من النقيض  
 إلى النقيض على أيدي أناس آخرين من مستعمري هذا العهد الأخير ، وهم  
 حكام روسيا في عهد الشيوعية .

هؤلاء الحكام مستعمرون أو متقلبون ومسلطون على رعاياهم . سواء حكموا شعوبا من بنى جلتهم ، أو حكموا شعوبا غريبة عنهم لا تمت اليهم بوشيجة من وشائج الحس أو اللغة . وخطتهم في اخضاع رعاياهم تناقض خطط المستعمرين من قبلهم وتقلدها رأسا على عقب . ولكن في الواسطة نرى النتيجة . ان كانت النتيجة واحدة ، وهي القضاء على قوة المقاومة بين الرعايا الحكوميين واستبقاء السلطان كله بين ايدي المتعلين المتصلين ، على الرغم من اولئك الرعايا . فاذا كانت خطة الاسكندر قائمة على حفظ السلطان في يده ، بالابقاء على الامراء والزعماء بين الشعوب المتلوية - فهؤلاء المستعمرون المحدثون يعكسون هذه الحطة . ويحفظون السلطان في ايديهم ، باغناء كل صالح للحكم ، سواء في ظل الدولة الأجنبية أو في ظل الدولة الوطنية . ورجاؤهم كله في اخضاع الشعوب أن يحرروها بقدرة على حكم نفسها . بحرمانها من كل صالح للحكم ، مستقلا أو مسلوب الاستقلال تابعها لسيده الأجنبي الذي اتساعه على عرشه وأوتع بينه وبين وزرائه .

خطة قديمة ترمى الى ابقاء الملكية والرؤساء ، تتبعها خطة حديثة ترمى الى انفاء هؤلاء الملكية والرؤساء . وكلتا الخطتين مرسومة لغاية واحدة : هي حرمان السواد الأعظم من قدرة المقاومة ومن الخروج على السلطان الأكبر المسيطر على الجميع .

ان هؤلاء المستعمرين المحدثين لا يقولون بالبداية أنهم يرسمون تلك الخطة لتحقيق الغاية ، ولعلمهم لا يبركونها ادراكا ينبعث من مذهبهم كيف يفسرون عملهم هذا ، وبماذا يعملون خططهم التي لا تسمح ببقاء رأس واحد يناهى رؤوسهم ويراهمهم على مواثرهم . ولكننا ندع ما يقوله اللسان وما يتعمل به الممثل وننظر الى النتيجة العاسفة المحققة التي لا مراء فيها . فماذا تراهم كانوا يفعلون لو أنهم قصدوا فعلا بعد الروية والامعان في التفكير . أن يضعوا السرعة ويجربوها من القوة التي تعارضهم أو تناقضهم الحساب ؟ ماذا تراهم يفعلون لو أنهم ارادوا عمدا أن يتركوا الحكوميين ابد الأبد ، وأن يقتلوا من بنية السرعة جسور القدرة على الاعتراض والممانعة ؟ لقد كان المستعمر قديما يأمن جانب الحكوميين لأن القوة التي يحاربونها بها متفرقة متنازعة . وقد أصبح المستعمر الحديث على سنة الشيوعية يأمن بجانب الحكوميين لأن القوة التي يحاربونها بها معدومة أو ممثلة الى زمن بعيد . ولا نرى أى الخطتين أسوأ وأشنع . ولكننا نرى على اليقين أنهما توأمان متضابها في أمر واحد : وهو تمكين الحاكم الأكبر من رقاب الحكوميين .

\*\*\*

ولا يخفى أن حرب الطبقات عقيدة حذمية عند اتباع كارل ماركس . قيل أن تكون حطة سياسية . لأن مذهب كارل ماركس كله قائم على تنازع الطبقات ، لا يعرف بعلاقة بينها غير علاقة العداوة والاضطراب ، ولا يؤمن بما قرره تجارب الأمم جميعا من تعاون الطبقات قيما بينها وتبادل النفع في مصالحها . وهذه عقيدة ضالة لا محل لنناقشتها وتفنيدها في هذه المقدمة . وقد عرضنا غير مرة لنقدنا وتفصيل أخطائها حيث تناولنا مذهب كارل ماركس بالتفصيل والتعقيب - (١) ولكننا في صدد الكلام عن مستقبل الدولة الشيوعية ، ينبغي أن نلمح المأما عاجلا بالثر هذه الحرب الطبقيّة في انتظام المجتمع وتنسيق أعماله ، وقيام بنيانه ، وتقرير حظه من الدوام . إذ كان حرمان المجتمع من تبادل الجهود مخرلا لا محالة بانتظامه ، منتقما من عوامل دواحه ، ومتى ثبت بالتجربة الطويلة أن الجهود متبادلة والكفايات منوعة وأن :

الناس لنفاس من يدي ومن حضر

يمص لبعض وإن لم يشعروا به . كما قال حكيم المدة - فذهاب هذا التسايل داع في نواحي النفس والنجور لا بد أن تظهر عواقبه مع الزمن . كما يظهر كل نقص يتحمل في بنية المجتمع ولا تنأى تعويضه بغير الرجعة إلى النظام القديم .

ومن التمثل في الحكم على هذه المسائل الخطيرة أن ينظر إلى التنازع بين الطبقات ، ولا ينظر معه إلى التمازج بينها ، وإلى حاجة كل منها إلى الطبقة الأخرى . فإن تنازع الأفراد لمضى أشد ما يكون بين أبناء الأمم ، فلم يكن مع ذلك مانعا لهم أن يشعروا بحاجة بعضهم إلى بعض ، وأن يتكلموا بسداد هذه الحاجة من جهة أعمالهم ومحاولاتهم ، ومنها أعمال التنازع والتنافس التي تتبادل آثارها أحيانا وأثار التعاون المقصود .

إلا أن الشيوعيين يقدحون بسهولة القسوط على الطبقة التي يسعون بها طبقة الصاعدين . ويقتررون بما يلوح لهم في حجب الأمر أنه حالة دائمة مستقرة . فممنون في حرب الطبقات ، ويقولون أنهم يزنون بهذه الممر أهواء المجتمع ممن يسعونهم بالفاسدين والمستعدين . ويريههم بالتكادى في حطة هذا الاستعمار الحديث أنهم يجنون منه مساعدات كثيرة ولا يشيرون ما وراء هذه المساعدات من عوامل المفاواة أو المقاومة المزجلة إلى حينها .

أحدى هذه المساعدات الكثيرة . أن طبقة الصاعدين مقصورة المطالب

من كفاية الحكم وحسن السياسة والتبدير ، وفى وسعه إذا بصر هذه المطالب على ضرورات مادية لا يحجز الحاكم عن تديرها ، وإن يكن قليل التصيب المقصورة على الضرورات المادية ، أن يطلع ما يشاء فى الحجر على حرية الأفراد ، والحد من نشاط المفكرين وأصحاب المشاركة فى الشؤون السياسية . وقد بصرت فى هذا الملو ويمعن فى هذا الاستبداد زما طويلا ولا يحسن من رغبته شحرا ولا علامة على الشعور بالحرمان من تلك الحرية ، التى تعد من حقوقات الحياة الاجتماعية فى كل بيئة متعددة الطبقات متنوعة المزايا والكفايات . ولست أعتقد أن الطبقة السماء عندهم طبقة الصماليك محرومة من المطالب الروحية والأشواق النفسية ، بل لا أعتقد أن انحصارنا قط يحرم هذه الأشواق طول حياته أن جاز أن يحرمها بقوة من الزمن . غير أن طبقتهم السماء بالصماليك ترصيصهم بسهولة جديها وتزييف مطالبها البردية وتثقل منهم الدعاية المعشوشة . فلا ينسر لما أن تميز بين تلك الدعاية وبين الحقيقة المضومة عنها ، وربما طال على هذه الحديمة ما لم تقلمها على الحاكمين والحاكمين أمة دائمة تشغلهم عن مطالب الزوج والجسد على السواء ، وتتيج للحاكمين متفصا من الوقت لا يضيرهم فيه أن ينوب «حكومهم إلى ضرب من العزاء الروحي ياتيهم غفر السماء من وحى الظروف

ومساعدة أخرى من هذه المساعدات الكثيرة يلقاها الحاكمون المستبدون من طبقة الصماليك تملى لهم فى الطمیان وتقمض العيون عما يقتضونه من العسف والجبروت ، ولو القى إلى اهدار الأرواح وسفك الدماء . . . . . تلك المساعدة هى طوية الجسد والنفقة التى يطوى عليها أناس كثيرون من المحرومين والوضعاء . وتقترون بها رجلة القحة وحب التنازل على من يعضلونهم بالجاه أو المعرفة . كما تقترون بها ترعة التنفى من كل عرير يهان على مرأى من قوم طال عليهم احتمال الهوان .

وقد يطيل فى أجل هذه المساعدات أن تتحصر الأمة وراء حدودها . تنقطع المعاملة الشعبية بينها وبين جيرانها ، فلا يعسر على الحاكم أن يصور لها حالتها وحالة أولئك الجيران على الصورة التى ترضيها .

ولا يظن أن هذه المساعدات من شأنها أن تنوم طويلا بالقياس إلى أعمارهم الأمم أو إلى جهود الأنظم الحكومية ، فإن الحقيقة التى مرت على النظام الشيعوى بعد القضاء على التتلاء والأثرياء لم تزد على عشرين سنة . ولم تغل هذه المسون العثرون مع ذلك من المذابح التى كان ضحاياها أجمعون من صميم طبقة الصماليك ، أو ممن ينفقون أنفسهم بهذا النفقة وينتسبون إلى تلك الطبقة لأنهم لا يستطيعون أن ينتسبوا إلى طبقة غيرها .

خير أن الحالة لم تبلغ بعد مبلغ العرج الشديد الذي يزلزل دعائم الحكم ويطيح بالحاكم في بقعة جارفة من ثورة الجماهير . ولقد شاور المستعمرون المحدثون على حطتهم . واستمروا منية جيروتهم ، وراحوا يطبقون تلك الصلة على كل أمة دخلوا فيها وأخضروا برامهم حكومتها ، وقد أخضروا برامهم الحكومة في بلاد تفصل بلادهم علما وحضارة كبلد بحر ابلطيق ، وأولها بلاد فنلندا التي خلت من الألمان والسبت على ضيقها لعبد من الجامعات يخاص الجامعات الروسية . وجاء في تقرير بعض الولاة الروسيين المشرفين على حكومات بحر البلطيق أنهم وجدوا طوائف المتعلمين وأنباء الطبقات المتوسطة في هذه الأمم ساخطين محققين لا تؤمن ثورتهم على النظام القائم بين حين وحين . واقترح الولاة الشيوعيون في تقاريرهم أن يخاص تلك الطوائف بالهوانة ، وأن تمنح بعض الحقوق التي تعودتها ولا يتسنى احضاعها مع حرمانها عنها . فكان جواب المراجع العليا في الكرملين أنهم قرعوا كتاب تلك التقارير واتهمهم بهجهل المذهب الباركسي أو بخيانة البادية الشيوعية ، لأن هذه المبادئ لا تعرف شيئا يسمى طوائف المتعلمين أو طبقة المتوسطين وإنما تعرف شيئا واحدا هو الذي يسمونه طبقة الصماليك .

ومما كشفه أولئك المستعمرون المحدثون من مساعدات حرب الطبقات لهم ، أنهم وجدوا فيها أسلويا حاضرا من أصاليب الدعاية بقاعا عن استعمارهم للبلاد الغربية عنهم . كالبلاد المجرية أو الرومانية أو البولندية . ولم يكن الأمر عليهم من اتهام الثائرين على طغيانهم بأنهم بقية من بقايا طبقات الأشراف والنبلاء ، أو من يطلقون عليهم في تلك الدعاية اسم الاقطاعيين . . . . . ولأنهم ليسوعون في دعائهم هذه اسرافا يعزى بالضمك لولا أنها مضمكات منكيات ، وكذلك فعلوا في دفاعهم عن طغيانهم وعجزهم الذي أثار عليهم طبقة العمال والصناع في بولونيا والمجر ، فإن المصالح اجمع كان يتلقى أخبار الأضرار في الصناع والمصانع ويعلم من الفراء المهاجرين إلى البلاد الأوروبية أنهم جميعا من صميم الطبقة الصمالية القديمة بطبقة الصماليك ثم يلق وكلاء الدولة الروسية في هيئات الأمم . فلا يفتح عليهم بدفاع يسوعون به حكمهم لأقوام لا تريد لهم ولا تقبلهم ، ولا تسعد في ظلمهم . إلا بذلك الدفاع المضحك الذي يدور ثم يدور في نطاق واحد : وهو أن أولئك الصماليك بقية من بقايا النبلاء أو المستعطين والامطاعين ، وهم نسمع قط حتى من أولئك الشيوعيين المحدثين أنهم قبضوا على ثائر واحد يصح أن يقتل إلى طبقات النبلاء وأمصاب الاقطاع . بل كان الثائرون المقبوض عليهم المقيون عن بلادهم الوفا من نوى الصناعات البولندية ومن الثياني الناشئين الذين مشاوا بعد زوال كل بيت من بيوت الأمر العريضة وتعلموا بعد قيام الشيوعية في أوروبا الوسطى بعدة سنوات .

\*\*\*

الى هذا ونحن في صميم الحاضر الذي بين ايدينا لا نضطلع الى نبوءة  
من وراء الحجاب ، اللهم الا ان نمد البصر مستقبليين عما وراء تلك الحجاب  
الذي يسمى تارة بالسند الحيدى . ويسمى تارة اخرى بالاستار الكيف .

نحن في صميم الحاضر فيما اجعلنا الكلام عليه انما ، فعماذا نرى لو  
اننا مددنا البصر الى المستقبل القريب ثم الى المستقبل البعيد ؟

علامتان ناطقتان تدلان على ان دوام هذه الحال من الحال ، وان بقاء  
مجتمع من المجتمعات في طبقة واحدة امر لم يتحقق من قبل ، ولا يرى من  
التجربة التي دامت في بلاد الروس اكثر من اربعين سنة انه قابل للتحقيق  
في هذا الزمان .

وهما علامتان يبنى من ظاهرها انهما بقبضان متباعدان ، ويبدو بعد  
نظرة يسيرة انهما في باطن الامر علامة واحدة منطوية من وجهين .

العلامة الاولى طول العهد الذي تولى فيه ستالين حكم البلاد الروسية  
منفردا بخير حريته .

والعلامة الثانية موقف اتساعه بعد موته يصو ثلاث مسنرات  
واضطرابهم لمسارحة الشعب للروس ومسارحة العالم كله بسوء حكم  
ستالين ، الذي عاونوه عليه واشتركوا فيه ، وكانوا حائل عهده أدواته الطرية  
في تنفيذ مراميه .

فالعهد الطويل الذي قضا ستالين حاكما مستبدا ، مستاثرا بالطغيان  
الذي لا طغيان بعده على بلاد الروس جميعا - دليل قاطع على بطلان نظام  
الحكومي من اماسه ، لأن هذا الأساس قائم على حرب الطبقات واستئصال  
كل طبقة في المجتمع ما عدا الطبقة المسماة بطبقة الصماليك ، وترجع هذه  
اللزعة الى اعتقادهم ان روس الاموال هي التي يفلق الطبقات الاجتماعية،  
وهي التي تمكن اصحاب الاموال من تسخير من عداها من الطبقات العاملة  
والطبقات الفقيرة على الاجمال . فاذا زالت روس الاموال ، زالت الطبقات  
الحاكمة المستعنة ، وزالت معها ذريعة الطغيان والاستبداد ، وتمذر على  
الطبقة العليا - فضلا عن الفرد الواحد - ان تستبد بمن دونها من أبناء  
الامة .

ولو كان هذا صحيحا لما استطاع ستالين ان يحكم روسيا رفاه تلك  
غرن بعد القضاء على روس الاموال ، واستئصال الملايين من اصحابها  
وحصر المجتمع كله في تلك الطبقة المسماة عندهم بطبقة الصماليك .

وقد اتفقا الى هذه الملاحظة ، في مقدمتنا على الخطاب الذي القاه  
 خليفة ستالين مفندا سياسيته في مؤتمر الحزب العشرين - (١) فقالنا :  
 ( كيف استطاع ستالين ان يستفيد هذا الاستبداد في مجتمع زالت منه رموس  
 الاموال ؟ كيف استطاع ان يجمع في يديه سلطانا لم يستطعه قيصر ،  
 ولا شامشاه ، ولا حاكم نامره من طغاة القرون الاولى ؟ اياهاه الشخص  
 استطاع هذا في بلد زالت منه رموس الاموال ؟ اياهاه الساسي استطاع  
 هذا في ظل مدعب يقال فيه ان النموذ السياسي كله تتبع للمناخ الاقتصادية ؟  
 وان السياسة وحدها لا توصل الى شيء من القوة حيث يكون رأس المال أو  
 حيث لا يكون ؟ واذا كانت المنافع الاقتصادية تتيح لفرد واحد ان يستبد هذا  
 الاستبداد على الرغم من اقوam الاقطاب والانداد في بلاده - فعاد نبلغ  
 العيوب التي تثيرنا من رأس المال الى جانب هذا الشر المستطير الذي يهون  
 عنده كل ما في رأس المال من الشرور ؟ لقد استطاع ستالين ان يستبد بالرأي  
 وأن يضرب بأفوال القواد والسفراء والجبراء عرض الحائط في خطاب من  
 أعظم الخطوب التي تهدد سلامة بلاده : وهو خطب الغزوة الألمانية ، لأنه  
 اعتقد ان الأخيار التي تصل اليه من الخارج عن قرب الشروع في هذه الغزوة  
 ملقطة لاستدراجه الى الحرب ، ولم يكلف نفسه عناء المراجعة لتصحيح هذا  
 الاعتقاد ، اكتفاء بقريره أو تحميمه الذي لا يحيب في طيه ، وأسر على  
 تكذيب البذر المنوالية بايذاء المعروة الى ما بعد ابتدائها واقتحام الجيوش  
 الألمانية للحدود الروسية . وقد استطاع في الشؤون الداخلية ان يستبد فيها  
 استبدادا أشد من هذا الاستبداد ، لأنه قتل نحو سبعين في المائة من أعضاء  
 لجنة الحرب المركزية التي يتولى باسمها مركزه في الحرب وهي الحكومة .  
 ومن كلام خروشييف عن عناء ستالين في أمر الغزوة الألمانية بعد مرد النشر  
 التي توالى علي من الخارج والداخل قوله في خطابه كما جاء في ترجمته  
 العربية . « ركب كورينوس الذي كان قائدا لمنطقة كيف العسكرية - وقد  
 قتل فيما بعد أثناء وجوده بالحمة - لى ستالين يقول ان الجيوش الألمانية  
 وصلت الى نهر باج وانها تتهيأ لشن الهجوم وأنه من المحتمل ان تقوم بهذا  
 للهجوم في القريب الساحل ، وقد اقترح كورينوس في هذا المقام تنظيم دفاع  
 قوى . . . ولكي موسكو اجابت على هذه الاقتراحات بأن تنفيذها يعتبر  
 استقرازا وأنه ينبغي عدم الاعتماد على انتفاذ أية استعدادات دفاعية على  
 الحدود حتى لا نتيج للالان فرصة التدرع بأي سبب للقيام بعمل عسكري  
 ضدا . . . » اما طنبياته في الشؤون الداخلية ، ففي كلام مسهب عنه ينلح  
 عليه لقاري في مكانه من الترجمة ، وخلصه كما جاء في الخطاب أنه من بين  
 المائة والتسعة والثلاثين الذين انتخبوا في المؤتمر السابع عشر ، ثمانية

وتسعون اعتقلوا وأُعدموا رمياً بالرصاص خلال عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ على الخصوص ٠٠٠ ولم يكن هذا مصير أعضاء اللجنة المركزية فحسب ، ولكنه كان مصير غالبية المنويين اللذين اشتركوا في المؤتمر السابع عشر ضمن ١٩٦٦ مندوباً كانوا يملكون حتى الاشتراك في الاقتراح أو يتمتعون بحقوق استشارية ألقى القبض على ١١٠٨ أشخاص بتهمة ارتكاب جرائم مناهضة للثورة ٠٠٠

هذه نبذة من خطاب خليفة ستالين - حروشيشف - تجعل لنا تلميحات عن مدى تلك السيطرة التي حصرها طاغية الشيوعية بين يديه في حكمه لمئات الملايين من بنى آدم واستبداده بأموال العامة والمعاينة التي تتعلق بها سلامة الأمة بحدوثها وسلامة الأفراد متفرقين . فكيف نهياً للحد واحد أن يجمع هذه السيطرة بين يديه في بلاد زالت منها رهوس الأموال ١ هوذا يحاول جماعة المكابريين والمغالطين من دعاة المذهب في تفسير هذه الظاهرة ، فخلاصتها التي لا ريب فيها أن الاستبداد في أقيس صورته ممكن بعد زوال الطبقات وقيام طبقة واحدة في المجتمع بأسره . وقد سمح كارل ماركس لنفسه بالحكم على مجتمع الصناعة الكبرى في أوروبا الغربية ولم ينتهي عليه ثلاثون سنة ، فلا تثريب علينا إذا حكمنا على مجتمع الطبقة الواحدة بالزوال ، بعد هذه التجربة التي لا تقبل التفسير بطل من هزل المكابريين المغالطين ، ولا تفسير لها إلا أن حكاية الطبقة الواحدة من خرافات الخيائن السقيم والطبع الوخيم .

هذه العلامة تزيدها علامة ثالثة من موقف اتباع ستالين بعد أن اضطرتهم الحوادث التي كشفت النقاب عن هذه المصيبة ، والتشهير بالعدو الاستاليني ، وهو في الواقع عهدهم أجمعين . وكلما اعتدوا بحذر فيه من أعداء الاضطراب أو الاختيار ، كان هذا الحذر أدنى إلى الصانق تبعه بهم من الصمت والروغان .

وفي البلاد الديمقراطية يحدث كثيراً أن تسقط حكومة وتقوم على أعقابها حكومة أخرى من حزب آخر تقوم عليها وتنفذ الأمة بتصحيح أخطائها وتعديلي برامجها واجتذاب أساليبها في تدبير المصالح العامة . ولا يدل ذلك على تداعي النظام الحكومي أو على بطلان القواعد الديمقراطية التي تتعاقب إمبرارات على أسامها . فإن طبيعة الديمقراطية تجعل هذا التحول طريقاً واحداً من طرق الحكم يتعاقب عليه المسالكون ، ولا يدعو الأمر إلى الخروج من ذلك الطريق .

أما أن يحدث في الحزب الواحد والمذهب الواحد والمود الواحد تبديل كذلك التبديل في مناهج الحكم ، فهو نقد صريح للقواعد التي يقوم عليها النظام ولا تحتل التبديل إلا بشمول هذا التبديل للمذهب كله .

وقد كان موقف الخلفاء المشاركين مستائلين في عهده ، والمناقضين عليه بعد ذهابه ، علامة أخرى على وجوب تبديل ذلك المذهب وتبديل القواعد التي يقوم عليها . قلته موقف طبقة حاكمة لا تكفر ولا أقل جمعت بين أيديها أزمة السلطان ، واستاثرت بها دون الملايين من الرعايا الفقائل عما يجري في دواوين الحكومة أو في برامجها العامة - فقد كان قيام الصناعة الكبرى سببا لظهور طبقة جديدة أقوى نفوذا من طبقة رأس المال في البلاد الأخرى ، وأصبح قسما من دواوين الحكم من كل حكومة مستورية تحتل كراس الدولة مع بقاء رؤوس الأموال ، سواء بقيت في أيدي الأفراد أو أيدي الشركات .

### \*\*\*

ونحسب أن القارئ يتملأنا الآن ولا ينتظر مبعوه المستقبل ليكتف بها عما هو حاصل غنى عن النبوءات ، فلا حرج علينا من أن نقول بغير تردد أن الحالة في روسيا لم تدم كما أرادوها أن تدم ، ويعتقنا عن النبوءات الجراف فوق هذا ، أنه ما من قارئ في العصر الحاضر مجهل أن المذهب الماركسي لم يعم قط في البلاد الروسية منذ ثورتها الكبرى وأنه لم يزل يتحول ويتبدل عاما بعد عام حتى لو رآه كارل ماركس - بل لو رآه لينين - في هذه الأيام ما عرفه ، ولا عرف أن النظام القائم في البلاد تطبيق للمبادئ والبرامج التي دعا إليها ماركس وتوسط فيها لينين فقد سمحوا بإقامة الشرائع الدينية وسمحوا بملك الأرض وتوريثها للألقاب ، وسمحوا بتفجير الأتمان وتسمير السلع من الكماليات والضروريات ، وسمحوا بتفاوت الأجور وأحوال المعيشة بين طبقة العمال أنفسهم ، فضلا عن طبقة الظهراء والحكام ، وسمحوا بالفرق الكبير في جرايات الطعام وأماكن السكنى ودرجات التثريف والتعظيم ، بل سمحوا بالفرق في درجات السكنى الحديثة ووسائل المواصلات ، ولم يتركوا شيئا واحدا يتساوى فيه أبناء الطبقة الحاكمة إلا ما يتساوى فيه أبناء هذه الطبقة في جميع الأقطار سواء كانت من الأقطار الديمقراطية أو الانفاشية أو التي تشمل الاشتراكية باسم من مختلف الاسماء .

ولا معنى أن زوال الطبقات كان في رأى الماركسيين نهاية مقصورة لأمم العالم بأسره ، وليست مقصورة على أمة واحدة تحتل الشيوعية وهيما من لينين يحير هذا المذهب ، أو من يعارضه ويمثل على أسفاله .

ولا ننسى كذلك أن قيام نظام يهود النظم المجاورة له ، مستحيل ما لم يتحول أحد النظامين عن غايته ، فلا مأس من تحول بلاد الروس عن الشيوعية ، أو تحول البلاد الأخرى عن المذاهب التي تقاومها وتعاوينا ، وتنه قطر ولاه الأمر في روسيا إلى هذه الحقيقة ، فعملوا جهدهم في الدعاية والنسيمة لتحويل أمم العالم عن نظمها الاجتماعية ، لأنهم أيقنوا أن دولهم

تظلمهم مستحيل كما أسلفنا ، مع دوام النظم الاجتماعية الأخرى . قالوا  
يشعر ولاء الأمر في البلاد الروسية بالحيرة الشديدة بين اتباع تلك السياسة  
وبين العنول عنها ، لأنهم وجدوا أن إثارة الأمم للمخالفة لهم في النظم  
الاجتماعية تثير عليهم حربا شمواء من جميع تلك الأمم ، وتقيم بينهم وبينها  
حوارج من العداوات وضروب الحقد الاقتصادي والسياسي لا تطيقها أمة في  
هذا الزمن الذي اشتبكت فيه العلاقات واتصلت المعاملات .

هذا مع أن اضطرابهم هم انقسمهم إلى التحول عن مبادئهم خلق أن  
يجعل العنول عن السياسة الدعاية العدائية ضرورة مساوية على الأقل  
لضرورة الاجتهاد في تحويل العالم بأسره إلى نظام الشيوعية ، وبخاصة بعد  
أن ثبت لهم أنهم عاجزون عن إقامة تلك النظام بمبادئه المقررة عندهم . فهم  
أخرى أن يجبروا عن إقامته عند غيرهم . ولا سيما إذا كانت محاولته ذلك  
كمحاولة إعلان الحرب على عشرات من الدول والحكومات والشعوب .

وأحر ما اعتكوا إليه من مخرج للتخلص من هذه الحيرة ، أنهم أعلنوا  
حل الكومنتين . وسبواوا به هيئة الكومفوم ، ثم أعلنوا حل الكومفوم  
ورسموا أنهم يعملون عن أحزاب الشيوعية خارج البلاد الروسية . إلا أن  
تكون الرابطة بينهم كافة من قبيل الرابطة بين أصحاب الرأي المشتركين في  
الأمل والشعور .

لا بد أن من تحول روسيا عن الشيوعية ، أو تحول العالم بأسره إلى  
الشيوعية . وقد رأينا أن روسيا تتحول ، وأنها تبتعد عن مذهب كارل  
ماركس قبل أن يقترب منه سواها . فمن علامات الحاضر التي تنبئ عن  
الاستقبال ببا اليقين أن مصير روسيا في غير اتجاه الشيوعية ، وأن مصير  
الشيوعية نفسها إلى الروال ، ويجعل بروالها أنها مذهب متطرف غاية النطرفه  
لا يقبل التوسط بين الطرفين . فإن قبل التوسط بين رأي كارل ماركس وغيرها  
من الآراء الاجتماعية . فذلك هي الاشتراكية المعتدلة . لو تلك هي الاشتراكية  
الديمقراطية التي تميز بها أكثر شعوب العالم في العصر الحاضر ، وتستطيع  
أن تتوسع فيها . وتمن في تنفيذها حيث يجهز المتمسكون للمذهب الشيوعي  
الماركسي عن تنفيذ ما هم مصرون عليه متشبثون معه بفعلات الأرقام  
والاحلام .



مستقبل روسيا الاجتماعي لنس في مير اتجاه الشيوعية ، ولعلها ترجع  
إلى الاشتراكية المعتدلة يوم تكون الشعوب الأخرى قد تقبعت إلى هذه  
الاشتراكية بخطوات أثبتت من خطوات الشيوعيين وأولى منها بالنجاح  
والنوام .

مستقبلها الاجتماعي في غير الاتجاه الشيوعي - - - فما هو مستقبلها السياسي ياترى في محيط العلاقات الدولية ؟

قبل صيرين سنة كان من المظنون ان الماخطة الشيوعية وحدها ، كافية لتوثيق عرى الصداقة بينها وبين الأمم التي دخلت في حظيرة الدولة الروسية بالقوة أو بالمساومة ، وكان من المظنون ان تلك الأمم ترضى بحكم الروس لها لأنها شيوعية وهم شيوعيون ، كما كان ابتداء الثورون الوسطى يرشون بالخضوع لغيرهم لأنهم من أقباح دينهم أو عقيدتهم .

فأما والعقيدة الشيوعية لا تستلزم على قرار ، ولا توثق عرى الصداقة بين قادتها ومريعيها في بلادهم ، فمن التعلق بالتحال ان يقوم عليها أمل القوم في تمكين الامبراطورية الروسية من اخضاع حيراتها المحيطين بهم لأنها شيوعية وهم شيوعيون ، وادعى من ذلك الى توهين تلك الأمل ان الحكومة الروسية عجزت عن اقتناع الخاضعين لها بحظهم من المعيشة بعد ان عجزت عن اقتناعهم بالرأى والعقيدة ، فلا هم مستقلون يتمتعون بلحر الاستقلال ، ولا هم راضون من معيشتهم يتمتعون بها عن شياح استقلالهم ، ولا هم مؤمنون بحق الروس في السيطرة عليهم والارتفاع فوق كواهلهم ، فلا جرم نرى في كل مكان يحيط بالدولة الروسية من جيرانها الخاضعين لها بولبر القلق والاضطراب بل بوابر الفتنة والثورة . بل الثورة الجامحة التي لا تحبب اليوم حتى لتتجر بعد أيام .

وربما كان شأن الدول المستقلة التي تصابق روسيا ، ويحسبها من يغتر بالأسماء في عداد الشيوعيين ، أخطر على الدولة الروسية من جيرانها الخاضعين لسيادتها على صورة من صور الخضوع المختلفة - - - ولنضرب المثال بأكبر هذه الدول وهي دولة الصين الحمراء في عطف المفتشين بالأسماء - - - فهذه الدولة الحمراء أخطر على سادة الكرملين من انجر واللفار والبولونيين .

هل يطعن سادة الكرملين الى تقوية الصين وتعزيز مواردها الصناعية؟ أنهم ان فعلوا ذلك خلقوا الى حائتهم ماردا بمحفظهم بالتداهم أو يعطى بفوقه السياسي على نموذجهم في محيط للسياسة الدولية .

هل يجهر سادة الكرملين بالحذر من تلك المارد ، ويعملون جورة أو سرا على اخضاعه وتحويل تعرضه ؟ أنهم ان يقيمون به الى احضان الدول التي تعاونته اذا احجموا هم عن معاونته ولو من قبيل للنكاية بأعدائهم سادة الكرملين . ولا يفوتن احدا ان الصين قد سبقت روسيا الحمراء الى مفارقة

للذهب الماركسي . لأنها بدأت ثورتها بإسقاط الفلاحين ، وتوزيع الأرض عليهم ، وجعلتهم حلالا للأراضي الزراعية ، يحاربون الشيوعية الماركسية و إنما قوضت عليهم ، إلا أن تقول إلى مذهب من مذاهب الاشتراكية المعتدلة .

فإذا كانت روسيا الاجتماعية صائفة إلى غير الشيوعية ، فالروسية  
الامبراطورية لا تثبت على قلبيين وامعتين ، ولا يعمها أن تحطد في معترك  
السياسة قوة تصارع في موقف الحصار قوى المسكر المناوئ له لمسكرها .

ويعيد جدا أن تعود روسيا إلى القيصرية ، وغير قريب أن تعود إلى  
المتحدة كما خاست قبل أن ترحدها فتوح القيصرية .

ومن يرى ؟ لعل روسيا الحمراء ستصبح بين الأمم بيشاء ماضية  
شياخ حين يحمر غيرها يعض الاحمرار إذا جار أن توصف الاشتراكية  
اليسارية بالصبغة الحمراء .

ويعيد جدا أن تعود روسيا إلى القيصرية ، وغير قريب أن تعود إلى  
نظام رأس المال كما يعده العالم بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن  
العشرين .

أما ما هو أبعد من هذا أو ذاك فهو أن يقوم مستقبل روسيا على  
الشيوعية أو على الامبراطورية الواسعة باسم الشيوعية .

والله أعلم بالغيب والشهادة .

### \*\*\*

وبعد ، فإن الرأي الذي بسطته هذه الرسالة عن مستقبل روسيا ، قد  
شرحته بطبيعة المال مؤتمها كما بداله من تجاربه الكثيرة ومشاهداته القريبة ،  
وهي التجارب والمشاهدات التي مؤهله لها معاصرته الطويلة لولا الأثر في  
البلاد الروسية ، واختلاطه عن كتب يجمهره الشعب هناك من المثقفين وعامة  
الدعاء . ونحن لا نقدم لهذه الرسائل لتؤيد مؤلفيها في آرائهم ، أو مرجع  
وجهة نظرهم على غيرها من وجهات النظر المتضاربة ، ولكننا إنما نقدم لها  
صحتها بإطار من الآراء المتداولة في موضوعاتها ، والآراء التي يلوح لنا  
أنها تأتي من سواها إلى القبول ومطابقة الأحوال ، ثم يأتي رأي مؤلف  
للمقالة بوجهة نظر من وجهات نظر شتى يقرنها من شاء بما عدها ليرجع  
ما شاء بين مذاهبها المتعصبة .

على أننا نحسب أن الأستاذ ليونارد شاييرو ، مؤلف هذه الرسالة ، لم يناقش رأياً من الآراء المراجحة في نظركه إلى مستقبل روسيا ، بل رسم لهذا المستقبل طريقين يوافقان وجهات النظر جميعاً ، لأنه وكل الحكم على مستقبل الأمة إلى قوتين متعارضتين في الغاية والصفة - وهما القوة المتمثلة في ولاية الأمر وأصحاب السيطرة الفعلية على حكومة البلاد - ثم القوة المتمثلة في الشعب المحكوم والجمهرة الغالبة من سواد الرعية ، ولدى مقبضتهم جمهرة المثقفين والمستنيرين . وكلنا القوتين ، كما تراءى للمؤلف ، ترمى إلى غاية لا بد أن تقاطع للنهاية الأخرى في يوم من الأيام ، لأن ولاية الأمر يهتدون بالتسلية ، واستبقاء السلطان في أيديهم ، بمسابقة الدول الكبرى في أنواع السلاح ، وليست هذه غاية يكثر لها الشعب الراض في رخاء العيش واستقرار السلام والألفة الملتفات بين بلاده وصائر بلاد العالم على أسس المودة وتبادل المعاملات بالحسن .

قال المؤلف الخبير : إذا نظرنا إلى المستقبل ، وهو ما يعنينا انظر إليه ، رأينا سمتين بارزتين توحيان إلى المعارضة الكاملة للنظام قد تكسب تأثيراً وأهمية كاهنيتين لأحداث تغيير في طبيعة ذلك النظام ، وإنها إما أن تنأى بالمكثاتورية عن الانسياق مع تيار الأفكار المتطرفة الستولية عليها ، أو ترمعها على فسخ الطريق لنظام من أنظمة الحكم أقرب إلى المعقول .

ثم قال : أن مصلحة الدكتاتورية ستعارض في النهاية مع مصالح الطبقة الوحيدة التي تتركز عليها لنوام بقاتها - وهي طبقة الارستقراطية المتخصصة - والدكتاتورية ، مدفوعة بدافع سياسة الصراع الدينامي ، وهو ميراث النظرية الماركسية ، بسميها لإداعة الشيوعية في العالم - تنجه إلى التوسع ، وتزيد التوتر الدولي نتيجة لذلك ، ومعنى هذا انخفاض مستوى المعيشة لاحتفال أهواء التسليح ، وتغذية عصى الحرب لتوسيع حاجة الحكومة المستمرة ( إلى للكبح والشدّة ) ولكن الصفرة التي تعتمد الحكومة الشيوعية عليها ، والتي تمدها بالقوة والكفاية اللتين تدبّر لهما بالبقاء ، ليس لها مثل هذا الهدف الدينامي ومصالحها على النقيض من ذلك هي السلام مع العالم الخارجي ، وتراخي التوتر العالمي فيما لحظك ، وتقليل نفقات التسليح لمعالجة مستوى المعيشة المنخفض ، وربما تكون طبقة المتخصصين صاعية الامتيازات أو الضباط في روسيا السوفيتية لم تتحقق بعد من وجود هذا التناقض في الاهداف . وربما كانوا لا يزالون يعتقدون كما قيل لهم مراراً وتكراراً خلال سبع وثلاثين سنة ، أن هدف العالم الحر هو تعطيل روسيا وتقطيع أوصالها . ولكن في اليوم الذي يعرفون فيه أنه ليس هناك عداء بينهم وبين العالم الحر ، وأن الذي يهدد مصالحهم ليس هو الغرب الرأسمالي وإنما هم حكاهم الشيوعيون ، تظهر في الاتحاد السوفيتي قوة

جديدة غير متوقعة . وواجب الغرب أن يبتذل ما يستطيع لتقريب ساعة اليقظة  
للإبقاء على السلام والحرية .

هذا هو محور الصراع الذي يتوقف مستقبل روسيا على نتيجته ، وكل  
ما تذكره المؤلف من هذه النبرة الموحجة صحيح متفق عليه . ولكنه جانب  
واحد ، يقابله جانب آخر لا يقل عنه في الخطر وفي القدرة على توجيد  
مستقبل الدولة الروسية والإمة الروسية على السواء .

ذلك الجانب الآخر الذي لم يظفر من مؤلفنا يمثل اهتمامه معزول  
الصراع الدخلى بين الشعب وحكومته . هو ذلك الموقف المسخيل بين  
روميا والعالم كله ، ويقول انه موقف مستحيل لانه لا بد ان يسفر عن تحويل  
روسيا للعالم عن نظمه الاجتماعية او تحويل العالم لروسيا عن نظامها القائم  
فيها الى اليوم .

اما ان تحول روسيا : فقد ذهبت لنز سطوة الدكتاتورية فيها ...  
واما ان يتحول العالم فقد شملته الدكتاتورية الروسية من انصاء الى  
القضاء . ونظرة يسيرة الى كلا الاحتمالين كافية لترجيح هذا او ذاك ، ونحننا  
ان الجانب الراجح منهما هو تحول روسيا في داخلها وفي علاقاتها  
العالمية . وهذه مقدمة تقبها ملائمت كثيرة . وتفتح تلك المقدمات اطرار  
مفتاحية لا تزال اليوم وراء حجاب العيب المجهول .

يقول المؤلف . ( ان مستقبل روميا لا يمكن ان ينظر اليه بمعزل عن  
مستقبل سائر الانسانية ، وما دامت الشيوعية لا تكف عن الضعف على حرية  
رهاياها والتمسوب الحاضمة لها . فان التهديد بالخراب الشامل لا زال  
قائما ، ولذلك فان سلام العالم يمكن ان يتوقف في النهاية على تصحيح  
هؤلاء الذين يمشون الاى تحت الحكم الشيوعى على ان يضطروا حكمهم  
الى نيز نظرية لا تؤدى الا الى الخراب )

او صحيح هذا ؟

نعم . انه لصحيح بالقدر الذى ذهب اليه المؤلف ان قال ان سلام العالم  
يمكن ان يتوقف في النهاية على مصير روسيا ... الا أننا ينبغي ان ندق عند  
تقدير الامكان ولا نتجاوز الى الحمم واللوم الذى لا فكاك منه . فان العالم  
أكبر حدا من ان يتوقف مصيره النهائى على مصير امة واحدة او امة عدة  
تحكمها دولة واحدة . لقد تبيلت الامبراطورية الرومانية ولم يخرب العالم ،  
بل تحيدت فيه بعدها قوى عظيمة للتمميز واستضاف ركب الحضارة على منهاج  
غير منهاج تلك الحقبة . وقد تبيلت الامبراطورية المقدسة وتبيلت بعدها  
امبراطوريات اعظم منها ولم يخرب العالم . بل اتسمت فيه منهاج الحضارة  
وتبيلت فيه امة وحكمات كانت مضمورة ضاملة قبل ذلك .

والحق أن المؤلف الخبير المسألة التي تصدى لبحثها ، لم يفلح عن ناحية واحدة من نواحيها وأن كان قد أعار بعض هذه النواحي قسطاً أوفر من الذي أعاره لغيرها .

ولعله من المطابقة بين خبرة المؤلف وحبيرة المترجم إلى اللغة العربية أن التاريخ العجمي شاعل يستمرى عناية المؤلف الخبير والمترجم القدير . فان الأستاذ على أنهم مترجم هذه الرسالة عنى عن التعريف ، بما عهده قراؤه من دراساته التاريخية وثقافته الواسعة التي تاتى فلسفة التاريخ في طبيعتها وحسب القراء منه أنه امتطاح أن يهمل من هذا البحث السياسى قطعة أدبية ترضى ذوق الألييب كما ترضى فكر الباحث المنقلب عن تاريخ ، لمائم في عصره الحديث .

## افلاس مذهب

### لا طاقة « للمانية الشيوعية » بالبقاء

قام المذهب الشيوعي في روسيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى عند  
ثنتين وأربعين سنة .

فكل من في روسيا اليوم من رجال ونساء ولدوا في ظل هذا المذهب ،  
وتربوا على عقائده وأدابه ، وانزلوا مد مقولتهم إلى أن جاؤوا سن  
الرشد عن كل مذهب يعارضه أو يصده عن طريقه ، لا يستثنى منهم أحد غير  
الشيوع الذين ألهروا الستين وما بعدها .

فانذين بلغوا الأربعين من الرجال والنساء ولدوا بعد إعلان المذهب  
بستين ، فلم يعرفوا مذهباً غيره عند تعلموا النطق بالحروف

والذين بلغوا الخمسين كانوا عند قيام المذهب في الشاعنة من العمر .  
فتعلموا القراءة في مدارسهم ولم يتعلموا شيئاً قبل أن يتعلموه ويعيشوا  
عليه .

والذين ناهزوا الستين كانوا في نحو الثامنة عشرة يوم قام المذهب  
الشيوعي في بلادهم حتى عليهم ثلاث سموات منها في الحرب العالمية ،  
ويلعبون الأربعين فالحسين مما فوقها وهم شيوعيون ظاهراً وباطناً ، أو  
شيوعيون بالتعلم والتربية والحيشة ، لا يعرفون مذهباً يعانف الشيوعية  
ويدعو إلى عمل يتقضيها .

أمة كل من فيها من رجال ونساء ورجال وشبان وأطفال تخضع للدعوة  
الشيوعية والتربية الشيوعية ، ولا تصنع شيئاً يعارض الشيوعية .

فاذا قلنا ، أن الثورة الشيوعية بقيت على أحد من غير انصارها فاندس  
أبقت عليهم هم الآحاد المتفرقون أبناء الستين وما فوقها ، لا يقدرين على  
مناهضة المذهب بدعوة ولا نفوذ ولا وسيلة عملية أو أدبية يحسب لها حساب

والفرض مع هذا بعيد الاحتمال . فإن الثورة الشيوعية اعتدت عند  
قيامها ، أن من ليس معها فهو عليها ، وأبانت كل من توقف عن تأييدها وإن  
لم يكن له عمل في مقاومتها ولكنه سواء كان مرضياً بعيد الاحتمال أو معيولاً في  
الحسابان لا ينتهي إلى نتيجة ذات بآل ، وكل ما ينتهي إليه أن يكون عند

المخالفين للشيوعية في قلوبهم مضمة اليوف معزولين عن وسائل النفوذ بين  
الملايين من الرجال والنساء الأشداء يقعون ازمة الاعمال والاراء .

مائة وخمسون مليوناً ، أو يزيدون . كلهم مولودون في ظل المذهب  
منقطعون عن مذاهب المالم ، عاتشون في جوه نيفا وأربعين سنة .

ذلك « وحدة مذهبية » لم يعرف لها نظير في تواريخ الأمم منذ كانت ،  
وتلك فرصة أتت للثورة الشيوعية لم تنتهيا قط لحركة من حركات المبادئ  
والدموات الاجتماعية ، فلو كان في هذا المذهب الشيوعي صلاح للاستقرار  
على دعائم الحرية وضمان الحقوق لوجب الآن أن يكون على غاية من  
الاستقرار والطمينة ، وأن يكون ولاته جميعاً من الكفاة القانونيين على تديره  
المخلصين في تنفيذ ، الصانقين في الايمان به والقيام على شئونه ، والا فكم  
من الزمن يكفي لتفسيح الكفاة المخلصين للمسانقين ، ومن أي المذاهب  
تستعمرهم الشيوعية ان كانت لا تستطيع أن تمنحهم في سعادتها بين أبناء  
العشرين إلى أهاء الستين ؟

نعم - يجب أن تكون للمذهب اليوم حكومته الحرة المنظمة وحكامه  
الكفاة المخلصون !!

فهل هذه هو الواقع المشاهد في البلاد الروسية ؟ هل هذا هو الواقع  
المشاهد في اقوال الروس أنفسهم بل في اقوال حكام الروس أنفسهم ، فضلاً عن  
لغوال الاعداء والمعارضين ؟

كلا ، ليس هذا هو الواقع المشاهد كما يصفه حكام الروس . ولا يفرغون  
من وصفه وإعادة وصفه منذ عهد سستالين إلى عهد خروشيف الأول  
والأخير .

ستالين قضى على المئات والالوف بتهمة الخيانة والعدو بالشعب  
والعدوان على مصالحه وشريعة حكمه وخليفته خروشيف يقول انه كان  
ظالماً عاتياً سعاداً بغوخذ قى نساء الأبرياء ويعتري الكتب على خدام الأمة  
الامناء ، ولكن خليفته هذا لم يلبث أن صبح بشركائه في الحكم مثل صنع  
ستالين ، ولم يزل يقتل وينفي ويعزل ويلقى بهم الخيانة على رملاته وأعوانه  
قبل أن يفرغ من حملته على السياسة التي سماها سياسة اليقي والاجرام  
والتطبيق والافتراء .

اعادل وعيمه ستالين أم ظالم ؟ وصالح خليفته أم كاذب ؟

كلا الأمرين سواء .

ان كان ستالين عادلا فهناك الوف من رؤساء الشيوعية خوفة انذار  
مفسنون \*

وان كان ستالين ظالما فهناك حكومة تتولى امور البلاد على حسنة  
الارهاب والتضييق والتضليل \*

اما خروشيفيف، فصفته طامة وكلية عامتان ، ومحاكاته لستالين بعد  
الحلة عليه دليل عجب . على تاحصل الشر في اركان الدولة الى اعين  
الجذور \*

ان صديق هذا الرجل يدفع المذهب الشيوعي في اساس تكوينه ، لأنه  
يرينا ان الحكم الشيوعي يحول الحاكم المستبد طغيانا لم يحوله اعنى  
القياصرة في انظم عصور الظلم والاستغلال \*

واشد من ذلك ان يكون كاذبا على زعيم وعلى امة وعلى حكومة كاشة  
ولا يفتصح له كتب ولا يمتنع عليه بعد ذلك ان يتماهى في العبياسة التي  
انكرها كاذبا على جميع هؤلاء \*

وعلى اى وجه من الوجود لا مقر من الجزم بأن الشيوعية الفلصت في  
سياسة مجتمعها غاية الانفلاس الذي يصاب به مذهب مجهول لسياسة  
المجتمعات . وان الشيوعيين في بلاد كلها شيوعيون لا ينفرون بعد اربعين  
سنة ان يجدوا للحكم الا باغيا كاذبا سلفا ، بين قائم منهم بالامر او معزول ،  
وان نظام الشيوعية من اساسه شر من كل نظام عرف في ظل الاستبداد ورأس  
المال ، لانه لا ياتي ان تتولاه اداة حكومية قائمة على الارهاب ، والتضييق ،  
يتأتى فيها للحاكم الفرد ما ليس يتأتى ولا تأتي من قبل . لامثال ، نيرون  
وجنكيزخان \*

هذا هو الواقع الذي تبديه لما اعمال للحاكمين في روسيا واقوالهم ،  
ولا حاجة به الى رأى بقول به عدو او ناقد من بعيد \*

مذهب قامت على تواعده امة كاملة من للرضيع الى الشيخ الذى جاوز  
الخمسين . ولم يزل حكامه بين هوة وظلمة ولم يزل فى وسع الارهاب  
والتضليل ان يتيح لحاكمه المطلق ان يجنى على الانواع والاعراض والاردان  
كما يشاء \*

ومن الواضح ان التضليل هنا يستند الى الارهاب ولا يقوم على براعة  
الحيلة التي تحوز على غير المضطر للقسوع \* فان دعاوهم - طغايين  
ومظلومين - على النساء اظهر من ان يقبلها مسامح برىء من الخوف او  
التضليل \*

\*\*\*

وليس هذا هو الواقع الذي تتكشف عنه نتائج الحكم في صميم البلاد الروسية وحدها ، بل هو الواقع في كل مكان سيطرت عليه الروسية شيئا من نفوذها وحميته بين ملحقاتها ونظرة عاجلة على المستعمرات الروسية ، وأشياء المستعمرات الروسية تريها أنهم لا يستطيعون نفوذهم على بلد يقصدهم منه حاجز من الحواجز الجغرافية - هكل مستعمراتهم وأشياء مستعمراتهم في آسيا وأوربة تقع من يلاهم على حد الذراع من قوة الإرهاب المسلح ، ولم يستطيعوا بالتضليل وحده أن يستعصوا عن الإرهاب المسلح أو الجاسوسية المسلحة ، ولهذا تمكن ، قيتو ، هي يوعسلافيا من الخروج عليهم والاستعصاف بأنظمتهم وتعليماتهم ، فتصداهم وأفلح في تحديهم ، وهو يدين مع هذا بمذهب من المذاهب الاشتراكية •

وكلما استطاع الشيوعيون أهداء الاستعمار والاستقلال كما يقولون - أن يخضعوا بلادا عربية بقوة السلاح - حكموا فيه اللعق والإرهاب تحكما لا يستبيحه شر المستعمرين في القرون الغابرة ولا في هذا القرن العشرين فالبلاد التي دخلها المستعمرون تعاس من عسهم ما يغيرها عليهم للمقاومة والانتعاض ولكنها على أية حال تقاوم ويسمع لها صوت وتداع لها في العالم قضية • أما حيث نزل الروس فلا بقية بعد السيف للمقاومة والانتعاض ، وضمتهم هنالك للمعق والإبادة لن تكون أرجح من حطتهم في صميم بلادهم - أين بلجاسين ؟ أين بريا ؟ أين ملكوف ؟ أين مولونوف ؟ أين قبل هؤلاء مذات ومئات من الأنداد والنظراء • وممن تخفى محاسبتهم أو مقاومتهم في وقت من الأوقات ؟ ان الحاكم الذي يزيل هؤلاء عن طريقه في وضع النهار لن يترك في بلاد المظلوين رأسا يرتفع للحساب والمقاومة • ولن يدع فيها أحدا بهم بالحركة أو يقرر عليها أن هم بها •

غول من الوحشية والضيقاتية تبتلي به الأمم في هذا الزمن ولا سلاحه لها منه الا بالقضاء عليه ، وتلك هي « تصفية الختام » بدمع الذي ملكه لمة فلم يقدر على حكمها بحير الإرهاب والتضليل ، ويريد أن يحكم الأمم جميعا - والمياد باله - على هذا المثال •



الناري السباي

## الشيوعية والقومية

كلمة « الشيوعية » ترجمة عربية لمذهب « كارل ماركس » في حالة التطبيق ، لأنه يزعم أن مذهبه ينتهي إلى إباحة كل شيء على الشيوع أو بالاشباع ، ولكنه هو واتباعه جميعا يسوونه « التفسير المادى للتاريخ » أو « المادية التاريخية » أو « المادية الثنائية » تمييزا له من جميع مذاهب الاجتماع والفلسفة السابقة ، ومنها ما تقدمه من مذاهب اشتراكية يعدونها اشتراكية - لأم لا تقوم على غير الأمل والخيال .

وهم جميعا يعتبرون اشتراكيتهن وحدها هي « الاشتراكية العلمية » دون غيرها ، لأنها - فيما يدعون - تنفرد بمزية لا يساويها فيها غيرها من المذاهب الاشتراكية السابقة ، وهذه المزية المدعاة أنها تقوم على « العلم » وتلتزم « الواقع » - مع أن « نبوءاتها » أكثر وأبعد تطورا في الخيال من جميع نبوءات المذاهب السابقة التي نعت عليها مبالغاتها للعلم وتلكيها طريق الواقع - فإن « الاشتراكية العلمية » قد تطورت في نبوءات لا تنتهي إلى آخر الزمان ، كما ادعت لنفسها أنها تفسر أسرار الكون وأسرار المادة في جميع ظواهرها ، وأنها ترسم للتاريخ المقبل خطاه التي لا بعيد عنها ولا يزال مطردا عليها إلى غير نهاية ، وهي نهاية أبعد في مجال الضيق من النهاية التي قدرتها الأديان المأثورة ، فهي توغل في الآباد المظلمة ملايين السنين ، وتدعى باسم « العلم » - لا باسم الخرافة - أن الصب السجود لمن يتخفص عن شيء في حياة الإنسان غير ما رسمه « كارل ماركس » وغرغ من التنبؤ به قبل منتصف القرن التاسع عشر . وقبل أن يتقدم العلم خطواته الأولى في عصرنا الحديث .

وكانت الأسماء المختلفة التي يطلقها هؤلاء على مذاهبهم تسوء في بعض الأسماء عند الهتاف بها قبل منتصف القرن التاسع عشر ، لأنهم كانوا يحسبون أن « المادة » شيء ملموس مفهوم غنى عن التفسير ، صالح لتفسير كل شيء بحقائقه ومقاييسه ، ويظنون أن العلم قادر على كل معضلة . كاشف لكل سر ، بالغ كل حقيقة ، ولهذا انكروا العاطفة الإنسانية والمطالب المثالية كأنها ضلالة مسلمة لا تكون حيثما كانت إلا مناقضة للعمل مسترسلة مع الأمور والأوهام المعادة .

فصل نشر في كتاب « الشيوعية البرم وغدا » لمجلة من الكتاب والادباء من منشورات مكتبة مصر سنة ١٩٥٦ .

أما اليوم فقد ظهر أن كل دعاوهم سخف لا يستند إليه صاحب رأي قويم ، ولا يفتق به أحد من الماسيين أو المثاليين ، فقد ظهر اليوم أن « المادة » نفسها غير محصورة وغير حقوقة ، فهي من باب أولى لا تحصر ما عداها ولا تزال سرا يتطلب الفهم ولا يقرينا من فهم غيره . أما « العلم » فقد انكشفت عنه فتنة عروبه الأولى ، واضطر كارها الى التواضع في دعواه ، قصاية ما يدعيه اليوم أنه يصف ويسجل . وأن مجموعة العلم كله إنما هي مجموعة أوصاف وتصنيفات ، وأن ما كان يعرفه علماء العصر الذي نشأ فيه « الاشتراكية العلمية » لا يصر ظاهرة واحدة من ظواهر زعمه ، فضلا عن تفسير الظواهر الطبيعية والتاريخية والتنفسية عامة تامة من حينها الخليفة الى آخر الزمان ، أما الزاوية بالمعاطفة الانسانية فيقابلها في العصر الحاضر افراد في التمويل على حفاياها وتخريجاتها . ودراسة لكل من يسبق المعاطفة حتى الفلسفة المادية وبواعثها في نفوس الماسيين

ولقد تلخص « العلم » كل دعائى الفلسفة المادية التي اكثرت اتقوا مقررات علمية تنظر الى الوقائع المحسوسة ، ولا تدبره عن نتيجة من نتائج الأنوار الاجتماعية الا كانت حقيقة من حقائق الرياضة التي لا تقبل الاحتجاب بين حاسب وحاسب ولا بين حين وحين . فقد اظهرت الدراسات « العلمية » للمادة أن المادة أحق من الروح ، كما ظهر من الدراسات العلمية للأطوار الاجتماعية واتجاه تاريخ الأمم في العصر الحديث أن كل الحقائق المحسوسة التي أنبأ بها كارل ماركس إنما هي أباطيل محسوسة لا يختلف فيها ما بين ولا مثاليان .

واظهرت تجارب الماركسيين في روسيا نفسها وعلاقتها بغيرها من أمم العالم ، أن مذهبهم غير قابل للتطبيق في زمن يصير ولا طويل مع ما أعنفوا من وسائل وارتكبوها من كيان لفرضه على ضحاياهم هنا وهناك . ولقد اضطروا الى تنقيحه مرات بعد أن صدمتهم الحقائق التي اضطروا الى مواجهتها ولم يفلح معها أن يتماهلوها أو يروها على غير ما هي عليه مع ما استباح المحربون والمطبقون والمتحورون جميعا من الحرمان في سبيل هذه التجارب الخائبة بعد أن مزمتهم الحقائق التي تشاهم ولا سلطان لهم عليها، لأنها حقائق الكون ونواميس المجتمع . وقوات حبيبتهم وهزمتهم فيما قيل حقائق الكون ونواميس المجتمع . وقوات حبيبتهم وهزمتهم فيما قيل التجارب الخائبة بعد أن مزمتهم الحقائق التي تشاهم ولا سلطان لهم عليها، من قضاة أشد المتهوسين تصميا لمين من الأديان في سبيل بشر دينه والخلاص من الكافرين به والمارقين منه . ولم يحسن التاريخ من ضحايا الأديان منذ أيام الجاهلية الى العصر الحاضر عشر معشار الضحايا الذين ضاعوا بالملايين قتلا ونفيا وتمذبا في سبيل النبوءات الماركسية . ولم تثبت نبوءة واحدة منها بعد كل هذه التضحيات ، بل ثبت بما لا يقبل الشك أنها مستحيلة التطبيق .

ولم يكن لزاماً أن تتروك النظريات الشيوعية حتى تنكشف أباطيلها  
موتندرش كما انتشرت مثيلاتها من النظريات والآراء الباطلة ، فإن المسألة عند  
كارل ماركس واتباعه ليست مسألة تقديرات نظرية لا يتقرب عليها شيء من  
المواقف غير تبديل نظرة باحري أو تنقيحها برأى يخالفها ، بل المسألة مسألة  
أرواح وبماء وشعوب واجتراء على الماضي كله بالهدم والإيابة ، إيماناً بتلك  
وبماء وشعوب واجتراء على الماضي كله بالهدم والإيابة ، إيماناً بتلك  
النظرية التي لا تقبل عندهم شكاً ، ولا يستكثر على تحقيقها إهدار الدماء  
كالتنهار ، ولا تقويض المعالم للباقية كأنها من جهود عبء للانسان ، وليست  
من جهود الانسان في جميع الأزمان .

ولم تكن الانسانية بحاجة الى كل الجهود التي تبذل في الكشف عن  
أباطيل الشيوعية وتفنيد دعاواها من الوجهة العلمية والوجهة التاريخية نولاً  
أنها - كثيرها من الدعوات الهدامة - ذات اتجاهات تحتلط بالفراغ  
والشبهات وتسرى بين الأعرار والجهلاء . ولولا ذلك لما تحملت كل هذا الصدم  
في النقد والتفنيد لاكتشاف أباطيلها وعوراتها ومقاتلتها لأننى نظر مستقيم  
سواء من جانب الشعور أو من جانب الفكر -

لأما من جانب الشعور فلا يستسيغ انسان يفتوى على حب الحوراء  
يميل الى دعوة الشيوعيين حين يدعوهم الى تحريك المجتمعات قاطبة بلا  
مسرح غير انه لا يحس شيئاً من وراء حجاب عالمه ، وهذه القوى الدعوى  
الشيوعية - وقد ظهرت الدراسات العلمية لحركة الشيوعيين منذ قيامها  
أنها ليست مذهب الطبقة الفقيرة أو المحرومة ، بل هي قوى يهاها مذهب طباع  
واخلاق يتقبله كل من تلوثت طبائمه ببلوثة اللوم والخسة والآثمة ، وأهمل نفسه  
من تبعة العمل ومزونة التكليف ، وعلبت فيه الكراهية والحسد على محبة  
الصغير للناس ، فلا يميل الى الشيوعية محروم برئت نفسه من هذه اللوثة  
واستقر في طمعه صديق الايمان بالجد والكفاية ، بل يتقبلها المحروم اذا  
خامره مع الحرمان وذبله الحسد والكسل ، وسولت له الآثمة أن يطمع في  
جميع الحقوق ويسقط عن كاهله جميع الفروض والتكاليف ، ومن أصيب  
بهذه الآفة من قوى البنى أو النجاة أو المرفقة فهو شيوعى ولو لم يكن من  
ضحايا الحرمان .

وأما نهافت الشيوعية من جانب الفكر لأننى نظر مستقيم قلأنه لا يعجز  
انسان - مهما يكن حظه محسوراً من العلم ومن لستقلال الفكر - عن أن يدرك  
خرافة دعاوى الشيوعية ، التي تسلم انتهاء الحلم الى انسان واحد ، وإدعاء  
الاعاطة بأسرار الكون وحقائق التاريخ كلها حتى وصل الى الفتحة التي  
لا تتغير بعد ولا تتبدل . وهذه دعوى كارل ماركس لنفسه ، ودعوى أتباعه  
له ، وهذا ما لم يحترق على ادعائه أحد قبله ، وهم لا يكتفون بهذه الدعوى

بل يوجبون على الناس جميعا أن يدينوا بها ويمتنعوا عليها ليخبروا عالمهم  
بأيديهم ، كان الدعوى محصورة من كل خطأ يدعو إلى التردد قبل المجازاة .  
وأي مجازاة ؟ انها المجازاة بتعطيم العالم كله ماضيه وحاضره ، لا تعطيم  
جدار ولا بيت ولا معبدة ولا وطن واحد يجمع المدن والبيوت .

والأمرة ، والدين ، والقومية أو الوطنية ، هي مقدمة ما يحاربه  
الشيوعيون ويعملون على تفويضه من أساسه ، مع أن هذه الدعائم الثلاث  
أقوى من الدعائم التي قام عليها بناء الحضارة الانسانية ، ولو قوضت هذه  
الدعائم في نفس انسان لما بقي فيها شيء من آثار الحضارة ، وانكس إلى  
الهمجية بل إلى الوحشية ، فما من فارق بين المتحضر والهمجي أو الوحشي  
أكبر من الألفة بين الانسان وأصله وأخوته وإبناء قومه في وطنه ، وهي  
الهداية التي استمدتها في آلاف السنين من شرائع الوطن وآداب الدين .

ومع ذلك يدعى الشيوعيون أنهم ، تقدميون ، ولو كان معنى التقدم أن  
يقوض الناس كل ما بنته الانسانية في جميع عصورها الفائرة لوجب أن  
تلقى ما تطعمناه من صباغاتها في مأكلتنا وملابسنا ومسكناتنا وآلات المعيشة  
في بيوتنا ومجتمعنا ، ولكن هؤلاء ، التقدميين ، من دعاة الهدم لا يعمرون  
على الدعوة إلى هذه الحماقة ، لأن الخراب الذي تؤدي إليه ملموس  
محسوس لا يقبل الجدل ولا المخالطة ، ويخيل إليهم أن هدم الأسرة والأديان  
والقوميات أو الوطنية أهون من هذا الخراب الملموس المحسوس ، مع أنه  
أصوأ عاقبة من هدم البيوت والمباني من كل ما تعلمناه من صباغات الأولين .

فمن الأسرة دون غيرها تعلم الانسان الألفة وأصول الاجتماع وقواعده  
الأخلاق وعلاقات التعاون بين للعاملين في البيئة الواحدة ، وإلى الأسرة  
يرجع الفضل في حفظ كثير من المصالحات التي توارثها الأبناء من الآباء  
والجداد ، وإلى الأسرة يرجع الفضل في صل للعاملين للمستقبل ويسمى  
الانسان لما بعد حياته .

وصيب الأسرة في رأى دعاة الهدم من الشيوعيين وغيرهم أنها تعرض  
الآباء والأمهات على توريث البنين والبنات . وقد يكون في نظام التوريث  
هيب أو عيوب صغيرة أو كبيرة لا يستعمل أصلها بالقوانين وآداب  
الاجتماع . أما المستحيل فهو إلغاء قوانين الوراثة بين قوانين الطبيعة ،  
فالإبرار يورثون ولدهما أخلاقه الحميدة والتنمية ، وطبايع وأعضاءه الصميحة  
والسليمة ، وملأه ومعلماته الجميلة والقييمة ، وليس من حق المجتمع أن  
يحرم انسانا ميراثه من مال والديه ما دام مستقيلا على المجتمع أن يعمره

ميراثه من ضعفها وتبعضها وسوء استعدادها للحياة . ليس من مصلحة المجتمع أن يسوى بين من يعمل لنفسه ومن يعمل لساعته ، ومن لا يعمل لهذا ولا لهذه ، بل يتواكل ويقتنع بالعيش من فضل الآخرين .

ولولا شهوة الخراب عند دعاة الهدم في نفوسهم المعسرة لما تهجموا على نظام الأسرة بتملات لا تقنع أحدا بهم جحر من جحور الشررات . على أن التهجم في دعوتهم إلى هدم الأوطان والقوميات أغرب من التهجم على نظام الأسرة ، لأن تغيير العالم بغير أمر يتسرع إلى حين ، فأما تغييره بغير أوقام وأوطان فأمر مستحيل ، ومثله في الاستحالة تغييره بغير أديان .

وقد جاء الامتحان العملي الأول لأراعم الشيوعية عند أول صدام جريئ لروسيا نفسها أيام الحرب المالية الثانية ، فإلى القواميس على السيرجية هناك من الحكام الكافرين بالوطنية والقومية والدين وجدوا أن التبشير بمبادئهم لا يثير في نفوس الجنود وغيرهم من الروس حماسة إلى القتال ودفع الأعداء الذين عصفوا بالبلاد وسكانها ، وجدوا للهرائم المفكرة تنوالى على المقاتلين الروس على طول خط القتال الذي بلغ مئات الأميال ، فلما ، صدتهم

هذه العقائد لم يحموا بها من طي مبادئ الشيوعية التي يؤمنون بها ونشر المبادئ التي طأنا كفروا بها وحاربوها بأبشع الوسائل ، فنادوا بأن الحرب ليست للدفاع عن مبادئ الشيوعية ، بل حرب البيرة الوطنية والتفخوة القومية للدفاع عن جنود الوطن وكرامة الجنس . كما اضطروا إلى إطلاق الحرية الدينية للمجاهدين يفتنقون من العقائد ما شاموا ، فارتفع صوت رجال الدين بعد أن كثروا أكثر من عشرين عاماً ، ولم يكن جيل الفيصرية هو الذي الجأهم إلى التمسك بالحمية الدينية والوطنية والقومية ، فيستفر لهم بأنهم يحاطبون جيلاً شب وشاب على هذه الحمية ، فلا مندوحة عن إثارتها في لبنان القتال ، بل كاس الحبل الذي يضابطونه بهذه الدعوة ليثيروا محوة الوطنية والقومية والدينية في معمة القتال الأول بينهم وبين الألمان جيلاً بين العشرين والأربعين . ولم يكن أكبرهم سماً قد جاوز سن

الصبا عندما قبض الشيوعيون على مقاليد الحكم في روسيا سنة ١٩١٧ وتسمة أعضائهم على الأقل لم يتعلموا حرفاً في غير المدارس الشيوعية ولم يستمعوا كلمة من غير دعائها . وليس هناك من تفسير لاستفزازهم الجنود للقتال بالبيرة الوطنية أو التفخوة للقومية أو الحماسة الدينية إلا أنه اللامس للمذهب المادى في تكوين المجتمع ، وغرس الأخلاق في نفوسهم يزأحه عليها مزاحم من المهذ إلى مقبل الضباب ، وكفى بهذا إغلاماً للمذهب كله لا في الأبد للطويل الذي يدعى الماركسيون العلم متفاباء ، بل في حيا ربع قرن أو نحو من حكمهم المطلق وهم يحاولون تطبيق مذهبهم الذي لا يصلح لتطبيق ولو خلت البيئة التي يحاولون تجربته فيها من كل معاينة .

ولم تكن حملة الألمان للروس في الحرب العالمية الثانية أولى الدلائل على خطئ المزاعم الماركسية في تقدير الوطنية والقومية ، ولا أولى الآيات على نفاقهم في الدعوة إلى همم الوطنية والقومية ، فإن اشراكهم القيصرية هو الذي الحاهم إلى التجمع بالحمة الدينية والوطنية والقومية ، وإن غيرها من الأوطان والأجناس الأخرى لم تمها في وقت من الأوقات ، وإن اختلفت مظاهرها واتجاهاتها وحيثها بين حين وحين ، وبينذة وبينة ، على حسب المناسبات والأحوال . وهذا النفاق أو النش في سياستهم وهداراة أغراضهم أصل من أصول الدعوة إلى مذهبهم والتشهير به في الأوساط المختلفة . ومباسة روسيا في علاقتها بالأمم التي يشاء حفظها التمس إن تقع تحت سلطان الاستعمار الأحمر ، امل الآيات على وحشيتها في القضاء على كل نزع وطنية وقومية عند غيرهم من الأمم . وهم يسييمون في هذا السبيل ما لم تصبحة دولة من دول الاستعمار الذين يندمون بهتاياته على الأمم الضعيفة . فلم ترتكب القيصرية الروسية . ولا أية دولة ، عى استعمارها الدول الأخرى ما ارتكبت روسيا ولا تزال ترتكبه في استعمارها للدول الخاضعة لها أو الدائرة في فلكها . وروسيا الشيوعية الآن في استعمارها الحديث تجمع بين مصابريه الاستعمار القيصري ومصابريه الاستعمار كما عرفته أوربا في العصر الحديث ، وتزيد عليها مصابريه لم تخطر لستعمر على بالي ولا جرؤ مستعمر عليها ولو خطرت على باله . ومن الحقائق البارزة التي يجب النظر إليها هـا أن الشيوعية دولة ومذهب ، أو دولة ودعوة . ولا تبرا سياسة الدولة ذات الدعوة من دسائس النفاق والراوعة ، فهي إذا كتبت عن الدعوة في الأمم الأخرى خانت مبادئها وتكررت لرسالتها وثرأمت في مظاهرها بغير ما تصوره في ماضيها . وهي إذا مشرت دعوتها لتشجيع الفتنة بين شعوب الدول الأخرى ، خانت قضية السلام واصطبعت النش في قواعد المعاملة الخارجية بينها وبين حلفائها وأعدائها . ولا بد من باطن غير الظاهر في الحاليتين ، ولا بد من فقدان الثقة في سياسة الداخل والخارج ، وهي أساس كل علاقة صالحة .

وقد تقرر بالتجربة المتطاولة أن . الموقع الجغرافي ، يتحكم في سياسة الدولة فتعصى في وجهة واحدة وإن تحيرب فيها التنظيم والحكومات . ويسون هذا الرأي في علم السياسة الحديث « البيوبولتيك » أو السياسة الجغرافية ويصدق هذا الرأي على وجهة السياسة الروسية من عهد قياصرة رومانوف في روسيا إلى عهد قياصرة الشيوعيين . فكل ما طمع فيه آل رومانوف من الفتح أو مناطق التقوذ هو مطمع للمباسة الشيوعيين على احتلال التخلات السياسية بين أولئك وهؤلاء . فقد كان آل رومانوف يقولون أنهم يريدون فتح الآستانة لاستعادة كنيسة . أيا سورها ، واقصاء آل عثمان عن عاصمة الكنيسة الشرقية القنجة . فانقص آل عثمان وآل رومانوف . وقام بالامر

في الأستانة وحسنكو اثنا عشر يتنكرون الى الدين بغير نظرة القياسرة الروسيين  
والخلفاء العثمانيين . ولكن سادة الكركمليين يطالبون الأستانة ، ويطلبون  
البيمفور والدرينيل ، كما كان يطالبها قياصرة الحرب ويقتصر السلام . وهذا  
يصل على أن سياسة الأمم وسياسة اليوم في الدولة الروسية على انحاء  
في الوجهة العامة . وتريد سياسة اليوم بالدعوة الى مذهب الدولة والاتجاه  
بها الى اشاعة القلق والخراب في كل مكان ولا سيما بلاد المشرق التي  
يتطلع اليها « الرقلاء الجمر » كما تطلع اليها من قبلهم أصحاب التجار .  
ويتوسلون لبخور مطلبهم بشر ما توسل اليه أولئك القياصرة .

وأما كان في العنوان الدولي ما هو شر من طمع الاستعمار ، فذلك هي  
العنوان الذي يستوفى الطمع ويريد عليه حماية السوء لاشاعة البقعة  
واشاعة البغضاء بين الأفراد والهيئات والأمم . فلا يزال . يكيد الساسة  
والدعاة ، يلبي مطالب الدولة بالطمع . ويزيد على تلك تلبية الدعوة باشاعة  
النقمة والخراب . ويذل « الموقع الجغرافي » أيضا على طبيعة الشيوعية  
في عملها بالقوة وعملها بالاقناع . فحما يدل على أن عملها بالقوة اكبر من  
عملها بالاقناع . أن « سلطتها » انجح ما تكون في البلاد التي تسهل اليها  
بالسلاح والمال او معونة المرافق المألبة . فان سلطتها في الهند اضعف من  
سلطتها في الصين وكوريا الشمالية . وسلطتها في هاتين اضعف من سلطتها  
في البلاد الآسيوية الاسلامية التي تجاورها . ولا توجد اسباب غير اسباب  
السلاح والمال تجعل الشعوب المتساوية في الثقافة وطبقة المعيشة متفاوتة  
الاثر بالمسبة اليها . كما تتفاوت اسبابا وبلاد البلقان ، او كما تتفاوت  
أمريكا الجنوبية واسبيا الوسطى ، او كما تتفاوت جميع السلاسل المجاورة  
لصنادير القوة الروسية وجميع البلاد البعيدة عن جوارها .

ولأكثر من سبب واحد كانت الشعوب الاسلامية في اسيا الوسطى أولم  
من سواها قسمة من وطأة الدولة والدعوة معا في اونة واحدة . فبها يحصل  
الجوار الجغرافي والحوار التاريخي عملين متساويين في تحصيل الاحصاء  
ونشر المذهب والسلطة بكل ما تملكه للدولة والدعوة من قوة وتأثير . فان  
قسمة البلاد الآسيوية الاسلامية من « حماية » الشيوعية ترداد بارياد العداوة  
للمتاملة بين اجناس المغول والسلاف . وازبياد وقائع الفتح والاستعمار  
من اقدم عهود القياصرة . وليس مما يضمنها على الزم اشتداد المقاومة  
التي يلقاها المستعمرون عامتهم من اثبات الديانة الاسلامية . ولا مما  
يضعفها في الزمن الحديث بحاسة أن الاسلام دين يشتمل على نظام  
اجتماعي وفكرية خلقية تنافس الفلسفة المادية في كل محرض من معارض  
المعيشة ومقاييس الاخلاق .

وهو قف رومبا الشيوعية من القومية الطورانية التركية في المقارة

الاصبوية مثل واحد يدل على موقفها من القوميات ، وعلى مصطلحها في حروبها لايجتثاثها من اصولها ، ففي هذه القارة بضع عشرة امة صغيرة يتراوح عددها بين مليون وخمسة عشر مليوناً او نحو ذلك ، وكلهم في الأصل ترك طرانيون يدينون بالاسلام على المذهب السنّي ، ويتكلمون لهجات من اللغة التركية يفهمونها جميعاً بكتابة واحدة ، ولا يصيب على احدهم ان يتفاهم بها مع ابناء الاقاليم الاخرى . ولا شك انها تتوحد كما توحدت الفرنسية او الابطالية بين لهجات الاقاليم في بلادها اذا استخدمت في الكتابة والاحاديث العامة كما تستخدم للغات القومية .

ولكن القيسرية الشيعية - باسم رعاية الحقوق واحترام الاستقلال الذاتي لتلك الشعوب - تتركها في حدودها وانظمة حكمها اجزاء مبعثرة لا يجتمع جوار منها على حار ، ولا يقل من احدها ان يترك له اصلاً جامعاً ينتحون اليه باللغة والسلالة . والعمل على محو معالم القومية في هذه الشعوب وقطع كل علاقة بينها وبين ثرات اللغة والتاريخ فيها ، هو رغبة المبادئ التي شعلتها قرارات الحرب الشيوعي ، وتجميعها الصحف الرسمية ، ويشرحها في الكتب والنشرات علماءها المجهنون لتنفيذ برامجها الثقافية . وما من كتاب يؤذن له بالخروج من المطبعة في ارجاء روسيا الا وهو بمثابة الامر الحكومي المفروض من تحريره ومراجحته وتطبيقه على مشروعات السنوات كما تقررها نظم الدولة . بعد ان تفرض القومية الصارمة على من يخالفها .

ولقد سلك المستعمرون للصمر ، مصلك جميع المستعمرون في تخفيف ضحاياهم بالوعود الكاذبة وتعميرهم برحارف الاباطيل ومخرجات الايمان على نية الحدث بها من اللحظة الاولى ، فاعلنوا في اوائل ايام الانقلاب الشيوعي بلاغا طناناً وجهوا فيه الخطاب الى الشعوب الاسيوية الاسلامية بصفة خاصة ، واكد ما فيه لكل شعب منها انه امن بعد اليوم على حريته التامة في معتقداته وشعائره وعاداته ومقومات اللغة والعرف بين عشيرته واهله ، واذنوه بزوال الحكم القيصري وروال الحجر والظفيان بزواله الى غير رجعة . وما هو الا ان هدأت الشائنة واستقرت السولة الجنسية في مراكزها حتى عانت القيسرية في اشنع صورها . وحل الحوف محل الأمان في كل عهد من عهود الحرية والطمأنينة . وقال قائل من ابناء تلك الشعوب المهاجرين في حديث يعترج بالسر الاليم ، ان المضوعين الساكنين كانوا اذا ارادوا ان يعرضوا مواضع المصادرة المنتظرة رجعوا الى بقية الشعائر التي وعدهم باحترامها ، فغرفوا انها هي الهدف المقصود بالضريبة التالية - ولم يكن هذا الساحر حارحاً. فيما وصفه من تقرير قومه وان ساقه في مساق التهمك والسحرية ، فان الشعائر المقصمة قد اسيحت في الواقع موافقة للجرائم المحرمة على تلك الشعوب في نظر حكومة روسيا الشيوعية ، حتى

الشكوى من القيصرية في أياں طمأنيتها أصبحت دليلاً على التثبيت بالنزعة القومية ، فوجب اتهام المجاورين بها والقضاء على دعايتها - وتساوى في هذا الاضطهاد جميع الشعوب الإسلامية - من كان منهم في أقاليم أورسة - ومن كان منهم في أقاليم آسيا القروية أو آسيا الوسطى - مصدر الأمر في «القرم» بتقسيم اللغة التي يتكلمها ، «الفرميون» إلى ثلاث لهجات - وضبط كتابتها على حسب الإنجليزية الروسية لا على حسب الإنجليزية العربية ، وبأدى وزير المعارف - الكسندرفتش - في المؤتمر الشبوعي السابع عشر بوجوب تطهير هذه اللهجات وإدخال الكلمات الروسية في مواسم الكلمات المحدوفة منها وشاعت سياسة التثبيت والتعريق في اللهجات ، بل في فروع اللهجات ، لفيشر منحوها وتصميم استخدامها في مقاصد العلم والثقافة وتمييزها - من ثم - عن الثبات أمام اللغة الروسية التي اجتزعتها جميعاً في معاهد الدراسة ونواديي الحكومة ومضورات المصالح والمجالس السياسية - وقد كان ستون مليوناً من أبناء الشعوب الآسيوية يقرأون صحيفة «توجسان» التي كان يصدرها المصلح الكبير - أسمايل عسبرالي - المعروف في القاهرة ، وكانوا على اختلاف لهجاتهم يفهمونها ويتدارسونها - فأمر المستعمرون العمر - أصحاب حرب الشعوب - بمصادرة كل صحيفة من قسدها ، واعتبارها دعاية إلى النكسة والرجعية والتثبيت بالمرء الوطنية والصحة القومية ، وصادروا - مع مصادراتها - كل سيرة من سير البطولة يفتنى بها أبناء الشعوب والأمم المظلومة ، لأن ثورة الأبطال القوميين واللوميين في وجه القياصرة إنما كانت ثورة على ، الأمة الروسية ، التي ساعدت الحضارة والمعرفة إلى تلك الشعوب ...

وَحَاقَتْ المُنْعَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ أَوْطَانَهُمْ وَأَقْرَابَهُمْ بِالْأَشْيَاءِ وَيُضْطَرُّونَ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَيْهِمْ فَاتَّهَمَ الشَّاعِرُ التُّرْكُمَانِي ، جَمْعُهُ مَرَابُوف ، بِالْمَكْسَةِ الرَّجْعِيَّةِ ، لِأَنَّهُ نَظَّمَ قَصِيدَةً عَمَّوْنَهَا ، بِطَبْعِي تَرْكُمَانِسْتَان ، عَابَهَا صَمِيمَةُ الْحَزْبِ مَرْكَمَانِسْكَابَا أَسْكَرَاءَ فِي عِدْدِهَا الصَّائِرِ فِي ١٩٥١/٩/٢١ ، وَقَالَتْ فِي انْتِهَادِ الشَّاعِرِ ، أَنَّهُ لَا يَحْتَصِلُ التُّرْكُمَانِ السُّوَيْمِيَّةَ بِالْكَلَامِ ، بَلْ يَحْمِلُ الْقَوْلَ عَلَى جَمِيعِ بِلَادِ التُّرْكُمَانِ ، وَيَصْرُحُهَا كَأَنَّهَا جَنَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَمَّا يَمْبَسِي مِنَ الشَّاعِرِ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ تَرْكُمَانِ الصَّمِيمَةِ لِأَنَّهَا أَحَدِي الْجُمْهُورِيَّاتِ الْأَحْوَاتِ فِي دَاخِلِ الْإِتِّمَادِ السُّوَيْمِيَّيِ الْعَظِيمِ ،

وسبق الأمم غير الروسية في عقد مؤتمر تعلن فيه ولاهها للدولة المستعمرة ، روسيا ، وسخطها على دعاة التجديد والحياء في الحركة الوطنية ، فخطب ملجиров - نائب الرئيس بذلك المؤتمر - قائلاً : إن رئاسة اتحاد الكتائب السويفتيين رأيت حوالي سنة ١٩٤٨ أن تعقد في موسكو اجتماعاً لتنظيم المناقشة في مسألة « القومية » التي يتقوى إليها الكتائب السابغون

ومؤلفاتهم ، عبر مستقنبة من ذلك الكتاب الرجعي الذي ينطوي على عداوة « الشعب » وتسميم الأفكار يسعوم « الجامعة الإسلامية » . وهو كتاب « بمد كركوت 1898 » . ولكن هذا الرأي قد تكرر رفضه في لجنة الحرب المركزية . وعرضا يفضل هذه اللجنة طوابا الكتاب السبينة . وإن نريد اللثام عن حقيقة الرجعية » .

وتعقب النقاد الرسميون أناشيد البطولة القومية والوطنية في الأمم الخاضعة للمستعمرين الحمر ، فوصموها بحيث الفزعة وسوء الطوية ، وقال « باجيروف » - المتقدم نكره - في عدد يوليو سنة ١٩٥٠ من مجله « يولشيك » ، وهي يتحدث عن « شامل » مثل القوقاز الذي اشتهر بثورته على القيصر قبيل منتصف القرن التاسع عشر . اننا اذا اردنا ان نهم فكرة صحيحة عن حركة « شامل » فلندكر انها كانت حركة يمينية ، وانها اضل اعراض « الجامعة الإسلامية » بكسة وعداوة » .

وقالت مجلة « كومونست » في عدد يناير سنة ١٩٤٢ . « ان المزاك « جعفروف » الذي كان يطي سنة ١٩٤٤ ان الحركات القومية التي ثارت على روسيا خلال سنة ١٨٩٨ وسنة ١٩١٦ . كانت من حركات التحرر الوطني القومي - قد عاد فاندك خطاه . وكتب في سنة ١٩٥٢ انها كانت حركات « امطاعية متعصبة » . ثم قالت « ان هذا الكتاب - كتاب جعفروف - يتعمق في البحث عن جذور العلاقة الودية بين امم اسيا الوسطى والامة الروسية العظيمة . ويلفت النظر على نحو خاص الى الدلالة التقدمية التي ينل عليها ضم هذه الامم الى الحضيرة الروسية ... فان هذا الضم قد اتاح لها فرصة المساهمة في ثقافة روسيا العظيمة » .

وبرافدا - صحيفة النولة - تردد هذه الأقوال وامثالها في ١٠/٧ سنة ١٩٥٢ تصرح ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تصح سموم الجامعة الإسلامية ... وفي ١٢/١٠/١٩٥٢ تصرح ان المؤلف « سلايمانوف » مضلل كاتب . لأنه يزعم ان الشعوب التركية تصممها ثقافة مشتركة .

و « انستيا » - وهي الصحيفة الأخرى للنولة - تصرح قبل ذلك في ١٩٥١/٩/٢ بيطال الدعوة التي يجنح اليها مجمع العلوم بيلاد « الأزيك » لاجياء كتب السلف الإسلامية وانحاز مخطوطاتها ومترقاتها -

وليمت حزب الشيوعية الروسية للقوميات والوطنيات في غير روسيا ، وتعزيزها للقومية والوطنية في داخل روسيا بدعة على القياصرة الحمر ، فلقد بدأت هذه السياسة منذ أمافروا من شراغل حريمهم الداخلية ، ولكنهم

كلنا يدافعون في تنفيذها بين الصناعة والحديقة - او بين القمع والحيطة .  
حتى كشتفوا القناع عنها حوالي سنة ١٩٢٠ ، فنفخوا ادناهم الى المؤتمر  
الذي سموه « المؤتمر التاريخي » في « سمرقند » ليعتلوا البراءة من الوحدة  
« القومية » . . . او ليعتلوا بجارية اخرى اتهم - ابناء آسيا الوسطى -  
الشتات متفردون ، وليسوا بالمتنصر الواحد في الاصل ولا في قس اللغة ولا في  
التراث القديم . وقد اجتمع المؤتمر سنة ١٩٢٥ ، واصدر قراره - العلمي  
ايضا - بوجوب تصحيح النظر الى تلك الوحدة « القومية » المزعومة بين  
المقارن والتركماني والقرغيز والازباكية وجيرانهم الآخرين . . .

ولسا نرى كيف يطمع دعاة الاستعمار الأحمر في تصديق هذه  
الاضحوة عن اناس طائمين مختارين يشدون رحالهم الى بلد واحد ليسوغوا  
للقاسب تزييفهم وانكار اصولهم وابتلاعهم بعد ذلك اثباتا حترقن .  
وقد كان تصديق هذه الاضحوة جائزا لو كانت المسألة هنا مسألة  
سببا في المذهب الماركسي يطبقونه على جميع الاوطان وبين جميع الشعوب  
والاقوام . . . او لو كان الشعور الوطني أو القومي - على مذهبيهم -  
شعورا يقيسا لديهم يحرمونه على الامم الحاكمة كما يحرمونه على الامم  
الحكومة ، ولكن الواقع في الامبراطورية الروسية الصمراء على نقيض ذلك  
من طرفيه ، فان العنصرية الوطنية مفروضة مشكورة في روسيا ، على حين  
هي مذمومة محذورة في البلاد الخاضعة لسلطانها ، وكلما اشد ولاة الامر  
في تحريم العنانية باللغة والتراث القومي في قطر من الاقطار الآسيوية ،  
لقابلوا ذلك بالحماصة الروسية للعصر واللغة والثقافة في احيق حدودها .  
ولم يصنع الماريون والفاسيون في تهوسهم المدول بالهاجر المتكثرة للجس  
الآرين والاثار الموقوفة على الجرماء واسلافهم دون سواهم من امم العالم ،  
بعض ما سمعه دعاة العظمة « الصلافية » ، بل عظمة « الجس الروسي »  
على حدة بين منائر اجسام السلاف الحاضرين والغابرين ، فانهم ربوا الى  
هذا الجس فصلا واحدا لا مازع لهم فيه ، يدعون به السبق انى كل اختراع  
والافتراء بكل فكرة قبل انتشارها بين بلاد الحضارة الحديثة .

في سنة ١٩٤٠ مع مجلس الوزراء جائزة الدولة للمؤرخ « ريباكوف  
Reybov » ، لانه زعم في كتابه عن صناعات روسيا للقيمة : ان روسيا  
كانت مصدر المعارف الصناعية التي انتقلت منها الى الغرب واستفادت منها  
بولونيه ويوميه وما جاورهما . وصحيفة الدولة تحيي قصة كاترين الثانية  
في الصور المتحركة ، لتميد قصيدة شاعرها الذي وصف ذلك العهد يانه  
عهد الظفر القاصف والغلبة الجائحة والمبقرة الروسية في ميدان القتال .  
وقادة روسيا الذين ختموا القيلصرة تعان نكرهم النوبة أو الخمسينية لكل

مناسبة حارضة أو لغين مناسبة على الإطلاق غير أرقام التواريخ . ففي شهر مايو سنة ١٩٥٠ يشهد كاتبهم بذكرى انقضاء ثمانية وخمسين سنة على وفاة القائد « شفريوف » Surverov ، ويحيى هذه الذكرى بمقال مذهب استعرق أكثر من عشر صفحات في العدد التاسع من مجلة « بولشفيك » و « الدولة » هي التي تتولى نشر كتاب « كوفاليف » Kovalev ، الذي يوه معظم المخترعات إلى سابقة روسية . ويقول فيه . ان « لومفسوف » الروسي سبق لافوازيه الفرنسي إلى قاموس المادة والطاقة ، وان « بروف » الروسي سبق سائر العلماء العالميين في كشف الصناعة الكهربائية ، وان « ليقيز » و « ماكوي » الروسيين سبقا سائر المخترعين والكاشفين إلى استطلاع أسرار المشاطيسية الكهربائية ، وان « بلروف » الروسي سبق « واطس » إلى اختراع القاطرات البخارية ، وان « يابلحوف » و « لومبجير » الروسيين سبقا سائر المخترعين إلى الاهتداء لنور الكهرباء بأكثر من ثلاثين سنة . وان « بيوف » الروسي هو مخترع جهاز الإذاعة حوالي سنة ١٨٩٥ ، وان « برويجين » الروسي سبق الفلكيين إلى رصد حركات المذنبات ، وان « لوياشفسكي » الروسي هو صاحب الآراء الحديثة التي جدد بها علوم الرياضة وأثابها هندسة تنافس هندسة اقليدس القديمة . وان علماء الروس بالإيجار قد مسقوا سائر العلماء والمخترعين في ميادين الصناعة المصرية والعلم الحديث .

وكلما اجتمع مؤتمر المعلمين الذي يوحى بم سياسة التعليم إلى المدارس عامة في اسما الامبراطورية الروسية ، نادى بوجوب تعليم الروس باللغة الروسية . وصحيفتهم المختصة لإداعة هذه السياسة هي التي نشرت خلاصة القرارات في ١٩٥٤/٤/٧ فقالت في الفصل الامتياحي « ان الاكرانيين واساء روسيا البيضاء واللاتفيين والستونيين والقازان والاراسة والشراكسة والارمن والقر .. يدرسوا يجد وشفق لغة اهتمهم الكبرى الأمة الروسية العظيمة ، وهذه الصحيفة هي التي نشرت في ١٩٤٢/٦/٢٠ برنامج التعليم فقالت أنه من اللازم في السنوات الناكرة أن يتعلم الأطفال محبة كل ما هو وطني من تربة الوطن .. وان تفرس في نفوسهم الفكرة التي تحلب بمسوح الفرح إلى عيونهم عند الإشارة إلى هذه الأمم الكبرى ، وتحرى بالقشورية إلى الدم كلما مر بالدهن خاطر يهيننا بفقدنا » .

وما قيل عن محاربة القومية والوطنية في شعوب آسيا الصغرى يقال مثله في علاقة روسيا الاستعمارية للجمراء بالبلاد الخاضعة لها . سواء منها البلاد المستقلة صاحبة السيادة التي تسمى المحقات أو الكواكب التي تدور في فلك النولة Satellites ، والبلاد الداخلة في اتحاد الجمهوريات الشيوعية على درجات من الحكم للدان وحرية للتصرف في العلاقات الخارجية ، فكلها لا تعرف لها « شخصية تومية » بمعمل عن سياسة روسيا

فى وجهتها العامة ، وحسبنا من ذلك ما كشفتته ثورة بولونيا وثورة المجر ضد الاستعمار الأحمر الذى تفرضه القيصرية الحديثة على اطم المملكات المستقلة . وبولونيا والمجر أوقرها مصيبا من الاستقلال فى غرب السياسة الدولية . ونسب روسيا الشيوعية أقل طمعا فى البلاد العربية ، ولا ارام بها حسا من البلاد التى تخضع لمطاميرها ، وهى لا تدخر للقومية العربية من الحن دون ما تحره لغيرها من القوميات فى الأمم التى صاقت بهسا لعة الاستعمار الأحمر . ولا سيما البلاد التى تدبر بالاسلام .

فالمستعمرون منذ العصور الوسطى حتى العصر الحديث لم يعملوا ، ولا حاولوا أن يعملوا ، ما عمله ويستعد لعمله الاستعمار الأحمر فى محاربة الحركات القومية فى غير روسيا لايتداع السلالات وهسمها فى سياسة واحدة تحيط بالام المحلوبة وتخرجها عن اصولها وتقتلعها من جذورها وتسوقها الى عقد المؤتمرات ووضع برامج التدريس لهجر لغاتها ودهن ثرائها والفكر الماضيا ومسفلها . رعاية ما ترامى الى اطم المستعمرين من غير الشيوعيين فى محور محال انقومة بين الشعوب الماضية لهم ، انهم كانوا يجعلونها بالمرئاة الثابتة فيما يتعلق بالحكم وولاية الامور العامة . عاما هذه السياسة التى تجعل القومية جريمة ومفجرة فى وقت واحد ، وتفرض على المطلوب أن يتقسط بمفاخر سائته . ويردى بمفاخر قومه . فتلك حاسة من حواصن القيصرية الشيوعية الصمراء لم يعصفها سابق فى تاريخ الاستعمار .

فالبيادى التى بروجوها سماسة الاستعمار الأحمر فى الوسطة اليمينية والعنصرية والبرجوازية واشباه هذه المحفوظات المتكررة المبتذلة ، انما هى بضاعة تصدير لمو جميع العناصر والقوميات ، ويقاء عصر واحد هو العصر الروسى ، يسودها ويرعما على القطنى بمهاجرة والائتمزاز بمهاجرها . وهذه سياسة عنصرية لم تيلع مبلفها سياسته مرسومة لمستمير قديم ولا حديث .

ان الشيوعية لا تقبل التوسط على سلام بينها وبين غيرها من المذاهب والاديان . واسع ما يكون ذلك فى العلاقة بين الشيوعية والاسلام ، فلا يقاء للشيوعية فى بلاد تدبر بالاسلام وفى مقدمتها لبلاد العربية ، ولا يقاء للاسلام فى بلاد تدبر بالشيوعية ، وكل سياسة تقوم على دعوة السلام والوفاء بين الشيوعية واصحاب العقائد المحالفة لها فهى دعوة قائمة على نفاق ، وعلى تربص كالتربص بين الاعداء المنصوتين . فان قيام الشيوعية على هدم القومية والدين وغيرها من دعائم الاجتماع فى المجتمعات التى تقالفا ، وايضا الشيوعية بان الحير كل الحير فى تفكيك اوصال هذه المجتمعات وتحويل روالها . هما حقيقتان لا تقبلان المسالطة ، ولا يتكبد المتجاهل لهما الا مفرسا من البداة . وهو يدارى الغرض منشيما جدا لتضع تحت مبريال العدل والمساواة .

فيها ما يصاب .

وإذا قائل الشيوعي أنه يؤمن بالتمایش المسلمي ، فمعنى ذلك أنه يكف  
 عن تنفيذ مذهبیه ، أو أنه يرتأب فی صدقه ، ولا يؤمن ضربة لأرب بانودام  
 القوميات والديانات وغيرها من دعائم المجتمعات العالمية فی وقت قريب  
 ولا أمل له فی نجاح الدعوة من قبله ما لم يكن قد عدل حقا عن الكيد لمن  
 يحابشهم ، تمايشا سلميا ، ويتربص بهم تریص الوارث یمن یتزقب موته ،  
 وما هذا بأساس مصالح « للتمایش المسلمی » بین الشيوعیه وغيرها من  
 العقائد والمذاهب ، ولا بین روسيا الحمراء والأمم الأخرى بقومياتها المخالفة  
 لها ، بل هذا هو أساس المعاملة بین من يعيش ومن یحوت ، أو بین الوارث  
 والموروث المطروح فيه .

## ستالين في رأى خلفائه

لا ألقى الرفيق « خروشيشيف » - في مؤتمر الحزب الشيوعي - خطاباً عن سياسة ستالين تمررت شذرات منه الى العالم الخارجى واذاعتها الصحف بين التصديق والتكذيب . وكان رأى الغالب أنها نقل محرف أن لم تكن حديثاً مسوعاً من مصدر غير وثيق ، فاشتد اهتمام الصحف باستقصاء الحقيقة وضمت أيام قبل التحقق من صحة الخطاب وقيل الحصول على نصه الكامل من المصادر الأجنبية ثم عن المصادر الروسية ، وكان حكم الناس على هذا الخطاب بعد التيقن من صحته وصحة مصدره أنه وثيقة لا نظير لها فيما أتبع حتى الآن من وثائق القرن العشرين .

ومهما يكن من نقص في الاطلاع على حوادث العالم فلا نصيب أن احداً يعرف هذا الاهتمام بالوثيقة الى صدورها من زعيم محدود في دولة كبيرة ، فاننا في عصر كثرت فيه خطب الزعماء المبدعين في جميع الأمم وفي شتى الموضوعات ، ولا نصيب أن احداً يعرف الى غرابة اللفظ التي رويت في الخطاب عن ستالين . فإن الناس قد ألفوا من هذه اللفظيات كل غريب غير مألوف في العالم أو في بلاد الروس . ألفوا منها أن يكون ضحايا ستالين من القصاب الحزب الشيوعي أكثر عدداً من ضحايا هذا الحزب وضحايا دعاة الثورة على اختلاف مذاهبهم في عهود القيصرية مجتمعين . وبعد هذه الغرابة لا محل لاستغراب شيء من « الرفيق » الذي يصير الرفقاء على يديه الى هذا المصير .

أما فظائع المصور الفائرة فما من فظيعة فيها تبلغ من الغرابة شيئاً من غرابة اللفظيات التي اقترفتها ستالين في العصر الحديث . فقد كانت فظائعهم فيما مضى يوماً لا يستغرب وشريعة يتبادلها من يصيب ومن يصاب ، وقد أصبح تكرار هذه اللفظيات خبراً معروفاً منه - لا يستغرب - الرفيق خروشيشيف أن يطالمهم منه بجديد -

لقد علم الناس أن « ميرون » فطيع ، ولكثهم علموا أنه معنون يحاسب يصاب الجانين -

---

مقدمة لترجمة نص خطاب « خروشيشيف » المكرثر العام للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في المؤتمر لاهتري الذي عقده للحزب . وقد استغرق الخطاب جلسيتين كاملتين يومي ٢٤ ، ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٦ - ( من منشورات مكتبة «التحرير» المصرية بالقاهرة سنة ١٩٦٠ )

وقد علموا أن « أتيليا » قطع ، ولكنهم علموا أنه يصوم أعداءه ما يسومونه لو وقع في أيديهم ، فهو قطع لا يوصف بالغاية في زمانه على الأقل ، ولم يبلغ عند صرعاك مع ذلك معشار الملايين الذين ذاقوا الموت والسجن والتعذيب على أيدي « الرفيقي » الذي تكلم عنه رفيقه خروشيشفيف وصيغ في الكلام عنه من شرحوا هذه الغرائب أو زادوا عليها فأصبحت في حكم المألوفاً »

كلا - لم يوصف خطاب خروشيشفيف بأنه وثيقة القرن العشرين لأنه طالع الناس يحرية من غرائب ستالين ...

ولا وصف بذلك لأنه صدر من رعيم محدود في دولة خبيثة ، ولكن صدوره من « خروشيشفيف » مع هذا كان سببا من أسباب هذه الصفة وهذا الاهتمام وهذا الاستعراب الذي شكك الناس ربما في صدق الخبر وفي إمكان ظهور الخطاب من قائله المنسوب إليه .

لو كان خروشيشفيف خليفة لستالين وحسب لما استغرب الناس ما قاله من سلطه وإن اقتدع فيه غاية الاقتداع ، لأن الخلفاء الذين يتبعون أسلافهم غير قليلين في التاريخ الحديث ولا في التاريخ القديم ، ولو كان وريثا لعرش القيصرية كالمولك الذين يرثون العروش عن آباءهم لجاز أن يسمع الناس منه أنه سيمعدل حيث ظلم أموه وأنه لن يصنع كيئ وذيت مما يكره الناس على استحكاكين من قبله ، ولكن « خروشيشفيف » عليه ستالين لأنه قلميذ من تلاميذه ، وعبس من أعوانه ، ويد من أيديه في أعمال جريه وأعمال حكومته وشريك له في مذهب يقوم كله على فكرة واحدة ، وهي بطلان النظم التي تتغير فيها السياسة بتغير الأشخاص .

هذا هو موضع الدهشة من حملة خروشيشفيف على استبداده ورئيسه بعد انقضاء سنوات ثلاث على وفاته .

وهم لم يدهشهم من الحملة أن « خروشيشفيف » يبين نفسه ، أو يعترض لامسائه في وصائه لاستبداده ورئيسه ، بأن الكلمة لها ليست بكلمة « خروشيشفيف » وحده في الدولة الروسية ، ولو كانت كلمته وحده لها استطاع أن يقولها ولما كانت به من حاجة إلى قولها وتسجيلها على نفسه مع بقائه في مكانه وعمله ، إنما تكلم خروشيشفيف بما يلسانه ولسان زملائه وشركائه من خلافة ستالين ، وليس موضع النظر في حوقه أنه قصه وقاء يحاط عليه هذا أو لا يحاط عليه ذلك - إذ هم جميعا سواء في اتهام ستالين وفي الاعتراف على أنفسهم بطاعته مجبرين غير مقتدرين على مقاومته ولا على مواجهته بحلالت في الرأي من أكبر الأمور إلى أصغر الأمور .

كيف استطاع ستالين أن يستبد هذا الاستبداد في مجتمع زلات منه  
رؤوس الأموال ؟

كيف استطاع أن يجمع في يديه سلطانا لم يستطعه قبهر ولا شاهنشاه  
ولا حاكم بأمره من طغاة القرون الأولى ؟

أبدعائه ، الشخصى ، استطاع هذا في بلد والت منه رؤوس الأموال ؟

بالنفوذ السياسى استطاع هذا في ظل عهده يقال فيه أن النفوذ  
السياسى كله تبع للمناعع الاقتصادية ؟ وأن السياسة وحدها لا موصل إلى  
شيء من النفوذ حيث يكون رأس المال أو حدث لا يكون ؟

وإذا كانت المناعع الاقتصادية تتيج لفرد واحد أن يستبد هذا الاستبداد  
على الرغم من انوف الأقطاب والأبداد في بلاده لماذا تطلع العيوب التى  
تثيرنا من رأس المال إلى جانب هذا الشر المستطير الذى يهوى عنده كل ما من  
رأس المال من الشرور ؟

### ★★★

لقد استطاع ستالين أن يستبد بالرأى وأن يضرب بأقوال القواد  
والسفراء والجنراء عرض الحائط في حطب من أعظم الخطوب التى تهدد سلامة  
بلاده وهو حطب العروة الألمانية ، لأنه اعتقد أن الأضرار التى تصل إلى  
الخارج من قرب الشروع في هذه العروة ملققة لاستراحه إلى الحرب .  
ولم يكلف نفسه عناء المراجعة لتصحيح هذا الاعتقاد اكتفاء بتقديره أو  
تخمينه الذى لا يحجب في ظنه . وأصر على تكذيب المدر القوالية بإبتداء  
الغزوة إلى ما بعد امتدائها واقتحام الصيوش الألمانية للحدود الروسية .  
وقد استطاع في الشؤون الداخلية أن يستبد فيها استبدادا أشد من هذا  
الاستبداد . لأنه قتل نحو سبعين في المائة من أعضاء لجنة الحرب المركزية  
التي يتولى باسمها مركزه في الحرب وهي الحكومة .

ومن كلام هروشيشف عن غناد ستالين في أمر العروة الألمانية بعد  
مرد المدر التي تولت عليه من الخارج والداخل قوله في خطابه كما جاء  
في ترجمته المصرية . « وكتب كوريبوموس الذى كان قائدا لمنطقة كييف  
العسكرية . وقد قتل فيما بعد أثناء وجوده بالجبهة - إلى ستالين يقول أن  
الصيوش الألمانية وصلت إلى نهر باج وأنها تتوينا لشن الهجوم وأنه من المحتمل  
أن تقوم بهذا الهجوم في القريب العاجل . وقد اقترح كوريبوموس في هذا  
المقام تنظيم دفاع قوى ... ولكن موسكو أجابت على هذه الاقتراحات بأن

تفقيدها يعتبر استفزازاً وأنه يتبغى عدم الإقدام على اتخاذ أية استعدادات دفاعية على الحدود ، حتى لا تتيح للأتان فرصة التفرغ بأى سبب للقيام بعمل عسكري صلباً ٠٠٠ »

الى ان قال « وعندما غزت جيوش القاشية الاراضى السوفيتية «علا وبدأت العمليات الحربية أصبحت موسكو أمراً يضم الرد على الميران الألمانية ٠٠ فى عشية غزو الجيش الهنرى للاتحاد السوفيتى عبر مواطن المانى حدودنا وأبلغنا ان الجيوش الألمانية تلفت أمراً مالبده فى الهجوم على الاتحاد السوفيتى فى الساعة الثالثة من صباح يوم ٢٢ يونيو وأبلغ ذلك الى ستالين فوراً ولكنه تجاهل أيضاً هذا التحذير » ٠

أما طعيانه فى الشؤون الداخلية ففى الخطاب كلام سمى عنه بطعن عليه القارىء فى مكانه من الترجمة ، وخلاصته كما جاء فى الخطاب « أنه من بين المائة والسبعة والثلاثين الذين انتخبوا فى المؤتمر السابع عشر ثمانية وتسعون اعتقلوا وأعدموا رمياً بالرصاص خلال عامى ١٩٢٧ و ١٩٣٨ على الخصوص ٠٠٠ ولم يكن هذا مصير أعضاء اللجنة المركزية فحسب ولكنه كان مصير غالبية المدببين الذين اشتركوا فى المؤتمر السابع عشر » ٠

فمن ١٩٦٦ منبوا كانوا يملكون حق الاشتراك فى الاقتراح أو يتمتعون بحقوق استشارية التى القبض على ١١-٨ اشخاص بتهمة ارتكاب جرائم مناهضة للثورة ٠٠٠ »

مثل هذا الاستبداد بالمشغون التى تتعلق بها سلامة الأمة وسلامة الأرواح فيها - لم ينفرد به قط أحد فى زماننا هذا ولا فى الأزمنة التى كانت تسمى بمصور الظلمات . وقد ذكرنا الطاغية « أتتلا » يجب أن نذكر أنه كان على استبداده المطلق لا يستمضى من الموافقة والتأييد من رؤساء الحشائر وحبراء الحروب . وغاية ما يقال عن الطبقة الحاكمة فى المجتمعات التى يسميها الشيوعيون بسيتمحات رأس المال أن القابضين على أجرة الشربة الانتصابية فيها سيستبدون أعمال الحروب وأعمالها بأعمال الدليل من وراء الستار وتبشير المؤتمرات ونشر الدعاية والاستيلاء على أقلام الكتاب والسنة الخطباء وأصوات الانتخاب . ولا ينفرد واحد منهم بهذه القدرة دين الشركاء الذين يمنون بالمئات . وقد يمدون بالآلاف ٠

فأما أن يكون فرد واحد قادراً على لبيت فى شؤون الحرب والسلام والعدو على الأبواب . وأن يتحكم فى ذلك يتقديره أو يتخمينه الذى تتسمى له رؤوس القواد والقادة والسفراء والخبراء . فذلك ما لم يحدث قط فى ظل نظام من نظم التحكم الفرد أو حكم المئات والآلاف للقائمين ٠

وكذلك اهدار الأرواح يمثلثة فرد واحد على هذا المثال - فإنه يعزى على الحاكم المطلق في كل زمن فلا يجترئ على اهدار الأرواح سنة بعد سنة بهذه السهولة وبهذه الكثرة وهو آمن على نفسه مخفية هذا الاجترار .

وأي اجترار ؟ وأي أرواح ؟ - اجترار من لا يقتصد في شهور باسمه وببطشه ، وأرواح النخبة التي يحق لها أن تكون ببعض الحصانة المهيبة لأنها تتوب عن الأمة وباسمها يقضى من يقضى ويتولى الأمر من يتولاه . فكيف تم لتتألم في مجتمع زالت معه رؤوس الأموال أن يستبد هذا الاستبداد بمن يشاء كما يشاء ، وكيف طال به عهد هذا الاستبداد فلم ينزع عنه حتى مات ؟

قليل أنه تحول بالزعامة من سنة استقامته « لنفس » فحرح بها من زعامة جماعية الى زعامة فردية ، فهل يكفي أن يريد فرد من مائة وخمسين مليوناً أن يستبد بهم ليتم له ما يشاء ؟ اليس في النظام صناعة تقاوم إرادة فرد واحد يناقضه كل مؤمن بذلك النظام ؟

ليس المهم أن الاستبداد حصل لأن ستالين حول الزعامة الجماعية الى زعامة فردية . ولكن المهم أن نعلم كيف استطاع أن يحوله فتحوّل ؟ وكيف فقد النظام كل إرادة له أمام إرادة فرد واحد يعتدي عليه ؟ وما هي النوصة التي يصور بها مجتمعات رأس المال إذا كان نظام المسؤولية لا يعصم نفسه من فرد واحد يدير لنفسه وسائل هذه السطوة المتكررة بينهم له كل ما أراد من تهجير ؟

على أن القوم بتجاهلون الواقع حين يقولون أن الاستبداد طارئ . عريب على مذهبهم يحالف ما شرعه لهم ليس بعد قيام للقوة الشيوعية .

فإن هذا الطارئ العريب على رسمهم عسصر أصيل في مذهب ليس قبل تلميذه ستالين . وأن لنفس لهر المقاتل بصريح العبارة : « أن ديمقراطية الاشتراكية الموضعية لا تعارض بحال من الأحوال نظام الفرد الواحد الذي يتولى الإدارة الدكتاتورية ، فإن إرادة الطبقة تنفذ أحياناً على يد الحاكم المطلق الذي يكون أكثر لزوماً حين يمسك منفرداً ... ولا تزال هذه الفلسفة مقررة في مجموعة لينين ، ولا سيما للصفحة ١٤٤ من المجلد الثلاثين »



وأسائل أن يسأل - هل زالت هذه الفلسفة بعد زوال ستالين بثلاث سنوات ؟

ان الذين استمعوا الى خطاب الرفيق خروشيف قد تغلبوا جميعا واقرروه بغير استثناء وانهم كانوا على صمتهم عن فضائح ستالين سنوات ثلاثا حتى شاء الرفيق خروشيف ان يعلن تلك الفضائح في مؤتمر الحزب العشرين - فلماذا صمتوا جميعا طوال تلك السنوات الثلاث ؟ ولماذا لم يتكشف هذا السر لأحد قبل الرفيق صاحب الخطاب ؟ لماذا لم يكن من المئات للذين سمعوه اجيرا من عرفه أولا كما عرفه الرفيق الذي واجه به المؤتمر ؟ هل هو سر واحد أو سر اثنين أو سر ألف أو سر مليون وهو بهذه الاستفاضة في الموضوع ؟ وماذا نفهم من الموافقة على اتهام ستالين بلا استثناء ؟ هل نفهم انهم كانوا جميعا يجهلون سياسة ستالين حتى كشفها لهم - حليفته فثبت عندهم ما قاله في جلسة واحدة ثبوت اليقين ؟ هل نفهم انهم كانوا يعرفونها ولم يسموا الصمت عنها فلم يجربوها على نكرها حتى سمعوها ؟ هل نفهم ان الألف من أعضاء المؤتمر لم يكن منهم مائة أو عشرون أو عشرة يقررون سياسة ستالين أو يلتبسون له فيها المبادئ ؟

هل نفهم ان مؤيدي ستالين قد صمتوا اليوم كما صمت محالوه أيام الزعامة القريبة ؟

أيا كان المصير من موقفهم بالأمس واليوم فهو موقف لا يدل على هاربي كبير بين الجهر والكنه ، أو بين انكار المنكرين ورضوان الترضيين .

ان اعترافات خروشيف قد وصفت بأنها وثيقة القرن العشرين لأنها أصابت المذهب الماركسي في أساسه لا لأنها أصابت ستالين في سمعة لم يبق

ولا شك ان الصرية التي أصابت سلاح المذهب في الدعاية لنفسه والحيلة على خصومه لا تقل عن هذه الصرية التي أصابته في أساسه بل في حجة وجوده . وهي القضاء على المفرد المختلس أو المنصب اندى يصاب على مجتمعات رؤوس الأموال .

لان سلاح المذهب في الدعاية لنفسه والحيلة على خصومه يتلخص في احتكار الاخلاص للجماعير والصراحة في حكايتها بالواقع وانها كل دعوة أخرى كانت ما كانت بالحق والكتب وحداخ الشعب وتضليل العامة واحياء الحقائق معها والتمويه عليها بالعقائد الكاذبة والأوهام المبرقة ، لأرضائها عما لا يستحق الرضى ومن لا يستحقه من الزعماء والرؤساء .

ومنذ ثلاثين سنة . بل منذ قيام المذهب في عهد كارل ماركس - ترفع العقائد من قبل هؤلاء القوم بالاعتراء على كرام الناس وأمتانهم واستباحة

أعراضهم وقفلهم بكل زينة من رذائل الخيانة والفساد وما إليها من الواو  
الصباو التي لا مسوغ لها الا انها أفسر ما وجود على السنة الناس من  
المثالب والافتاس .

فإذا رجعنا الى بطون التواريخ فأن نجد فيها تصليلا للشعوب واختفاء  
للحقائق يستوجب في أسوأ الحكومات ما استباحه هؤلاء . المحضون  
الصانقون في تمجيد الرجل - بل ثاليه الرجل الذي علموا من بواطن أمره  
أنه مجرم سفاح ومفسد كذاب ؟

من سمارة الزور في أسوأ عهود الطغيان قد ارتفع بمحتجيه الى  
حيث رفع القوم معبودهم وهم لا يؤمنون بمعبود ؟

كانوا يقولون عنه أنه « فخر العالم وبوره وضميره » .

كانوا يقولون عنه « أنه المحبوب من بين بني الاسمان كافة » .

كانوا يلقبونه « بالاب الرحيم والمعلم الحكيم » .

كان من القابه عندهم أنه مشعل النور لهداية النوع الاساسي كله .  
وأنه حالق السمادة والدمعة ، وأنه صاحب القلب الرؤوف وصاحب العقل  
القيبر والنصر 'خلق فوق سموات السمور ' .

وكانوا يسجلون الخطب في عشر من الاسطوانات ، احدها لا يسمع  
منها غير ذوي الهنات والتهليل .

وكانوا يرفعون له التماثيل الضمام منها مثال واحد على قناة النولجا  
والدون يبلغ ورنه خمسة وثلاثين طنا من البحاس .

وكانت تسمى باسمه المدن في حياته . ستالنجراو وستالبار ،  
وستالنيير . وستاليمس . وستالنگا . وستاليموجورسك . وستاليسكوريا  
ويكثرون التسمية أحيانا حريتين .

وترنموا بالثناء على عبقريته الحربية فقالوا انها أعظم العبقريات  
التي تمخضت عنها جميع السمور .

ومات نقلوا في نعبه ، ان أعظم القلوب الانسانية قد تنفض بفضته  
الاخيرة فلا حراك له بعد اليوم .

انهم لم يصمتوا صمت الجبن وصمت الحياء ، ولم يتكلموا فتكلموا  
بعض اعتدال المحرج المضطر أو اعتدال المقتصد المشفق من حساب التاريخ .

بل تكلموا فتمسابقوا في التفضيل والتمويه والخنوع أيهم يهبط فيها الى  
الحضيض الذي هو دون كل حضيض .

وهؤلاء هم الذين يذكرون محاسنهم ومساويء خصومهم فلا يقتصدون  
في ادعاء الاخلاص كل الاخلاص لأنفسهم واقتراء البطلان كل البطلان على  
الخصوم .

يقول شاعرنا العربي :

وما حسن أن يعثر الخرق نفسه  
وليس له من سائر الناس حائر

وقد عذر اتباع ستالين أنفسهم بما حسن لديهم وحسن لدى أمثالهم  
وهو - لدى سائر الناس - من الاعذار التي تشبه الذنوب ، أو هي أقيح من  
الذنوب . ولكنهم كيف كان عذرهم هو عذر يحتاجون اليه لأنهم لا يستطيعون  
أن ينكروا أنهم اذنبوا وكل ما يستطيعونه أن يقولوا أنهم اذنبوا مضطرين .

ذلك عذر المضطرين الى الاعتذار كيفما كانوا وكيفما كان . فما بال  
توم ليجوا بمثل ذلك البهتان ولم يخضعوا قط في بلادهم لذلك الطغيان ؟  
ما بال قوم في البلاد الاحبية التي لا تخضع لارهاب ستالين قد اذنبوا في  
تقديسه والاقادة بحكمه كما اشد به الممتدرون بالارهاب خوفا على الجنود  
أو خوفا على الرقاب .

ما بال هداة الشموع في ايطاليا وفرنسا وانجلترا وما وراء رومانيا  
على الاجمالي قد دهبوا بضللوها ويحذعونها على وقيرة أولئك المنحصرين  
الى التفضيل والخداع ؟

ليس الجهل بالعثر المقيول من اناس يتحسبون لقيادة الشموع  
ويضطلمون بهدايتها في ظلمات الجهالة وحمايتها من تفريغ الكنية  
والمتهمين ، ومن كان يجهل حالة تتمثل في مئات الملايين من الحلق وعشرات  
الملايين من الفرائص وتمضى عليها خمس وعشرون سنة على دوج واحد هو  
آخر من يحق له التصدي للقيادة . وآخر من يحق له أن يقم أحد بالتفضيل  
واحفاء الحقائق . وآخر من تحقق له أن يتولى تصحيح الأخطاء والكشف عن  
بواطن الدسائير والدعائيات .

ان هؤلاء المتطوعين ، الخارجين قد نجوا من يد ستالين ولكنهم لم

يلجوا من المارق الذي القاهم فيه خالفاه . فلا هم في الجانب السليم اذا  
 قبلوا اتهام ستالين ولا هم في الجانب السليم اذا رفضوه ، وكلا الأمرين  
 يجرهم امام اتباعهم ويستتهم في طلب التفسير والتبرير ، ولو كان هؤلاء  
 الدعاة ، المطوعون ، يستحقون الرثاء من انسان لاستحقوا الرثاء وهم  
 يتلون ذات اليسار وذات اليمين في المارق الذي سبقوا اليه بين الضحايا  
 والاعترافات ، ونمى بذات اليسار وذات اليمين هنا تعبيرها الحرقي الذي  
 لا حجاز فيه ، لانهم يحارون فعلا بين اهل اليسار واهل اليمين من دعاة  
 السياسة والاجتماع .

سئل الرعيم الشيوعي الايطالي ، تولياتي ، عن تلك الاعترافات وعن  
 خضوعه الدليل للرجل الذي تميته فاضطرب بين الاعتذار بالجهل وبين انقاء  
 اللوم على المعترفين وبين ارجاء الشاء لاولئك المعترفين في عبارة واحدة .

ويجب ان نعلم ان عذر الجهل من الاعذار التي لا تقبل من « تولياتي »  
 بصفة خاصة ، لانه كان متفيا من ايطاليا حوالي عشرين سنة الى نهاية  
 الحرب العالمية الثانية قضى معظمها في البلاد الروسية ، ولانه زار روسيا  
 لحضور المؤتمر الخامس قبل نيف وثلاثين سنة فهو حقيق ان يعلم من  
 احوال ستالين ما يعلمه المقيمون معه بضع سموات .

ونفقا أجويته على الاسئلة الموجهة اليه فلا تستطيع ان ترسم له اي  
 دهنك صورة غير صورة المضروب الذي يتلوى ذات اليمين وذات الشمال !

فالذي قاله خلفاء ستالين لا بد ان يكون صحيحا في جملته ، ولكن ماذا  
 ياترى لم يملئوه في حبيبه ؟ الا يلامون على الكتمان او على قلة الاعتدال في  
 الشاء ؟ بل هي « اتهم ملومون » كلا .. اتهم غير ملومين .

فهم ملومون لتفسير الحقيقة ، وهم غير ملومين لانهم باعلائهم هذه  
 الحقيقة الآن يتهمون انفسهم كما يتهمون ستالين .

ومرة اخرى ، هل يلامون ان لا يلامون ؟ .. لك ان تعترضهم وتحفيهم من  
 اللوم لانهم صنعوا ولو بعد حين ، ولك ان تلومهم ولا تحفيهم من المؤازرة  
 لانهم بالموا هي كشف المساوي وكان حليقا بهم ان يكتشفوها يثرء من التزوة  
 والاناة مقروبة بالحسنات التي تشفع لصاحبها فيما افتروا من مبيئات لاشك  
 فيها . وكبرى تلك الحسنات انه اقام الصناعة للكبرى في بلاد كانت ان تخطو  
 من الصناعات .

وهذه « الملقويات » التي تكررت في كل جواب انما تصدر لنا الرغبة

في صورة خاطفة ولا تعطينا تلك الصورة الواقية التي تتمثل في عشرين شهرا من محفلة « نوفي أرجومنتي Noovi Argomentia » التي تحدث فيها أو كتب فيها . ولم تطلع نحن على غير الخلاصة المترجمة الى اللغة الانجليزية ، وفيها من دلائل التخطي ما يكاد يخفى عن البيان الاصيل .

وعلى خلاف تولياتي كان زميله بيتي Neam زعيم الجناح اليس من الاشتراكيين - الانطاليين - صريحا بعض الصراحة في انتقاد السياسة الروسية منذ بيف وعشرين سنة ، مرتابا في صلاح المجتمع الروسي لاقتداء الاشتراكيين به في اتحاء العالم ، ما لم يتبدل بالنظام الذي يسوده نظاما « ديمقراطيا » يسمح بحرية الرأي والمجاهرة بانتقاد دولة الامور .

اما الشبهة الفرنسية من التثبوعين فالحبيب لها اعتمدت على الترجمة الانجليزية للخطاب الرفيق خروشيف ولم ترحع الى النص الرسمي معنولا من الروسية الى الفرنسية وقالت مع ذلك في صحيفة الهيوماني ان الخطاب باللغة الانجليزية اضاف الى الاخطاء Huasolte الجسم التي عرفت عن ستالين طائفة اخرى من امثال تلك الاخطاء الجسم ولكنها عانت بعد اللف والنبور ان ستالين على الرغم من هذه الاخطاء جميعا قد كان له دور « ايجابي » في التاريخ ، وان الحرب السري ياصف للاستلوب الذي احتاره خلفاء ستالين لتقرير تلك الحقائق التي جنبها الحرب زما طويلا لانها ليست مما يساعد على البحث الطبيعي بين اعضائه ١٠٠

ويتينى ان نذكر هنا ايضا ان ما يقال عن تولياتي يقال عن الزعيم الشيوعي تورير Tiorre الذي هاجر الى روسيا خلال الحرب العالمية وعاش حيث عاش زملاؤه الروس المطالبون اليوم بعلم ما لم يلمه في ذلك الجوار « الصريح الأمين »

واضطرب اتباع العزب الانجليز كما اضطرب زملاؤهم الفرنسيون والابطاليون . فالنودج الروسي عندهم لا يزال على امتيازه بالقوة الاولى بين تجارب الشيوعية ، ولكنه يفتح الى الاصلاح على سمن الحرية الديمقراطية ، وترى الديلي ويكر Daily Worker ان الصراحة في انتقاد السياسة السوفيتية واجبة على جميع المحلين للمبادئ الماركسية .

وينادي بعمل هذا الرأي هوارد فاست Howardfast الشيوعي الأمريكي حامل جائزة ستالين ١٠٠ فإنه يصف لأنه سمع بعد اذاعة الاعترافات بتنفيذ حكم الاعدام في ثلاثة من المعارضين بدلا من اتساع الاعترافات باعلان « الضمان العام » لحرية الآراء .

وقد كانت التعليقات على خطاب خروشيف في بلاد الشمال دنيئة  
عنيفة بين انكار المسايء والجرائم والشاقة لها بما بناء ستالين من صروح  
العمارة والصناعة التي عاونه عليها خلفاءه الواحدون عليه .

### ★★★

هذه اسئلة من المعاذير التي لاذ بها اولئك الدعاة الخارجيون الذين  
قضوا ربع قرن يتعدون فيه لستالين ويحترقون على نأقيبه فيتهموه  
بالخداع واخفاء الحقائق عن جمهرة الشعب الساذج البيرء ؟  
كلهم يعتد بالجهول ولم يكن يجهل ولا يقبل منه ان يجهل . وكلهم  
يعتسم بشقاعة الصناعة والعمارة لتبرئة المذهب وتبرئة ستالين .

ولا ندري ماذا يقول هؤلاء الدعاة اذا اتهموا للنازية والفاشية  
والاستعمار العسكري سمعوا عنها دفاعا كهذا الدقاع ؟ ماذا يقولون اذا  
قيل لهم ان هتلر وموسوليني ورجال الاستعمار الياباني قد اقاموا ببلادهم  
عمارة كذلك العمارة وصناعة كذلك الصناعة في زمن اقل ويمن من الصحابة  
دون الثمن الذي بذله ستالين من ارواح ضحايا وحريه رعاباء ؟

بل ماذا يقولون اذا قيل لهم ان الصناعة الكبرى سحارها انه ، س  
في نشاتها ابتداءا وابتكارا من قبل رؤوس الاموال ولم تقم يوما على سبيل  
التقليد والمحاكاة ؟

لا جواب لاحد على هذه الاسئلة الا ان الذي صنعه ستالين لم يكن مزية  
تحتاج الى مذهب خاص او فلسفة خاصة . ولكنه عمل يتساوى فيه النازيون  
والفاشيون والمستعمرون واصحاب رؤوس الاموال وكل من اراد ان يصنع  
مثل صنيعه يحير حاجة الى هذه الفلسفة التي تنقص في وطن من الارباب  
كل فلسفة قائمة في سواء . واهون ما بين النقبضين من تلك الفلسفات  
تناقض الشيوعية ورأس المال .

### ★★★

ومن البديهي ان الضربة التي اصابت الذهب في اساسه وفي سلاح دعائيه  
لا بد ان يتبعها رد فعل من المقاومة والمكابرة ولا يتبعها باية حال ان سحق  
القوم من مذهبهم المتصدع ودعائيتهم المفلولة . فانهم يقومون على هذا  
الاساس الذي تصدع يتماشكون بتمامه ويصقون بسقوطه . ولعل المقاومة  
او المكابرة في امر الدعائية ايسر عليهم في الدقاع عن المذهب امام ناقيبه او  
من يؤمنون به على غير اقتناع عمرا منهم عن استيعاب الحقيقة . فإلى حاجة  
الدعائية في كل زمن اهن على اصحابها من تثبيت المذهب وتدعيم اركانها  
باسمها بالبرهان والبيئة ، وما زال من باب القوم ان يقبها بدعائيتهم الى

اناس لا يؤخذون بالاقناع كما يؤخذون بالفداع واثارة الغرائز والاهواء .  
وعنهم من لا يزال يصيح الى اليوم ان الكتاب والمفكرين الذين هجروا بلادهم  
الروسية فرارا من المظالم على عهد ستالين هم الكتبة المدعوي وان اجراء  
البل والتفريق هم المخلصون للصالحين . وانه لغير بعيد ان يسموا هذا  
انحزبي زعنا ولا يشعروا لهم بكرامة عقلية تاتف من الاصغاء اليه .

على ان الحقائق لا تفعل فعلها باتن من يصاب بها ، ولو امكن اخذوها  
حتى الاحفاء لما ظهرت هذه الوثيقة باللسان الروسي قبل كل لسان وهو منه  
اللسان الذي تلجلج ثيفا وعشرين سنة بالاطناب في الشناء على القداسة التي  
يقال اليوم انها رجسى واحتلتي .

## المسيحية الوسطى

خير ما يوصف به البرنامج الوطني الذي أعلنه صاحب الدولة رئيس الوزارة ورئيس الهيئة للسعيدة أنه هو المسيحية الوسطى بين طرفين متناقضين تحاول بهما المشكلات العالمية في العصر الحاضر ويخصنا نحن المصريين نسبي من تلك المشكلات غير قليل .

فهذا البرنامج هو الصلة الوسطى بين الشيوعية من طرف وبين الجور . هي النظم المتينة من طرف آخر ، وكلا الطرفين ويال لا تؤمن عقبا على أمة من الأمم ، ولا على الإنسانية بأسرها على تقاعد الديار ، واختلاف العناصر والأقوام .

الشيوعية مذهب ، بهيمى ، خبيث ، يدمر بعض الجهلاء خطأ أنه يعنى بإصلاح أحوال العمال والفقراء على العموم .

ولكنه في أصله وقواعده يهتم بترويع العقائد المادية قبل اهتمامه بمسائل الإصلاح .

ولهذا يحارب الشيوعيون كل إصلاح يأتي من غير طريق الدعوى المادية ، لأن تغليب الفزعات المادية هو الباعث المهم وهو المرضي الاصيل .

وساحب هذا المذهب - كارل ماركس - هو رجل يهودى تحول إلى المسيحية ظاهرا ليهدم العالم المسيحى من داخله ، ويهدم همه كل حضارة لكن يفقده غير عقائد الماديين .

وهو يعلم أن انتشار النزعات المادية بين الأمم يسلمها جميعا إلى أيدي أبناء قومه اليهود . لأنهم يقبضون على زمام الشئون المادية في بقاع العالم ، ويمتلكون الأمر كله إذا بطل سلطان الأديان والأوطان .

ولن ترى أحدا يوصى إلى الدعوة الماركسية وهو يخلو من الخمسة وللؤم أو من الجهل وشيق النظر ، لأن هذه الدعوة تنج من النفس الإنسانية إلى شر ما فيها ، وهو شهور الحقد والحسد والولع بالتحريب والتعطيل . ومن سلم من هذه الآفات النفسية لم يسلم من أفة العياء والجهل بحقيقة ما يدعى إليه .

ولولا هذا العياء لما خفى عليهم سر هذه الدعوة التي ينتحلها أصحاب

الملايين من اليهود المراهبين وهم أبعد خلق الله عن الرحمة بالفقراء والفقيرة على حقوق الأجرام .

لكن الدعوة الماركسية - كيفا كانت براعة الفاتحين بها لمن يسمع لها صوت ولين يستجاب لها نداء اذا حصلت الاحوال في الامة وانتظمت فيها معيشة الطبقات المختلفة على سنة الير والاتصاف ، وبرقت من امراء الخج والجشع والاستئثار .

فاكبر نصير للشيوعية هو اكرم خصم لها في الظاهر ، وهو نظام رأس المال الذي لا يتطور مع تطور الاحوال ، ثم لا يزال في عسى من الخطر المهدق به فلا يفلز عن مطمح من مطامعه ، حتى تمصف به المواصف فيذهب سر ومطامعه جميعا مع الرياح .

والعمرة بما حدث في الصين ، فليس للشيوعية نصير اقوى من نظام رأس المال الذي يصاب بهذا العمى ويأبى ان يفتح عينيه .  
وهنا طرفان ، ولكنهما على هذا النمر متلازمان ، فلم تنصح الشيوعية في الصين بقوة انصارها كما نجحت بقوة خصومها ، وهكذا يقال عن نجاحها في كل مكان .

اما الخطة المشلى بين الطرفين المتلازمين فهي هذه السياسة الوسطى التي اعطتها صاحب الدولة رئيس الوزارة ورئيس الهيئة السعوية ، وتتلخص كلها في الاصلاح الضرائبي وفيام العلاقة بين طوائف الامة وطبقاتها على سنة التعاون والاتصاف .

والمسألة قبل كل شيء مسألة نفسية اجتماعية ، لا يكفى في علاجها ان نتناولها من جميع وجوها بحساب الأرقام وقوانين الاقتصاد .

والاصلاح الضرائبي مفرد جد الفاشية في علاج هذه المشكلات من ناحيتها النفسية ونهايتها الاجتماعية .  
لانه يبطل الدعاية الكبرى التي يستعملها الشيوعيون لاستئثار الدماء وايقاع النفرة والشقاق بين الطبقات . وهي ادعائهم ان الطبقة الحاكمة تشرع لنفسها وتضع القوانين لخدمة مصالحها فلا تقبل ضريبة تكلفها خسارة بعض الأرباح .

وهي كذلك تفيد في علاج المشكلة النفسية والاجتماعية لانها تخفف من ضغط المحرومين .

وتفيد في علاجها لانها توفر للدولة موارد الاتصاف على مشروعات الاصلاح وتحصين المعيشة وترقية التعليم ومكافحة البطالة وتبشير الامم .

وهي مع هذا جميعه تكفل التقارب بين الطبقات وتزيل الفوارق  
المشاسمة بين أغني الأغنياء وأفقر الفقراء ، وتصون المعاملين حريتهم  
الفرية التي تقضى عليها الشيوعية كل قضاء .

لا منفذ من المشكلة النفسية الاجتماعية من غير هذا الباب .

وإذا اقترن الإصلاح المرائي يتعمم نظام التعاون في التجارة  
والزراعة فلا خطر من دعاية المذاهب الهدامة ، ولا خطر من عواقب رأس  
المال الذي لا تستأثر سفيراته كلها طبقة من الطبقات

ولا يكفى أن تعلم الحكومة هذا وتتفرد بعلمه .

بل هي حقيقة يجب أن يعلمها في مصر كل فني وفنير ، ويجب أن  
يقترن العلم بها بالعمل عليها .

لأنه عمل أمة تتساند فيه وتتعاون عليه ، وحسب الحكومة من فضل  
أنها تتأدى به وتقوم يقسطها به ، وهو قسط غير قليل .

## جزاء حق

صدرت في هذه الأيام أحكام زاجرة في قضايا الشيوعية -

نقول أنها زاجرة ولا نقول أنها صارمة . فليس في وسع القانون أن يكون صارما في عقاب الدعوة إلى الشيوعية .

لأن الشيوعية جريمة في عرف القانون ، ولكنها أكثر من جريمة في عرف العقل والواقع .

أذ هي الأساس الذي يقوم عليه تسويق جميع الجرائم واستباحة جميع الرذائل ، والعروج على جميع الآداب والمعتقدات .

فليست الآداب والفضائل في عرف الشيوعيين مزايا إنسانية مستفادة من تجارب بني الإنسان في تاريخهم الطويل .

ولكنها هي ، المصطلحات ، التي اتفق عليها نظام رأس المال لخدمة مآربه وضمان منافعه وتوطيد قواعده ، واستيفاء مطلباته .

ومن واجب الشيوعيين أن ينتهكوها جميعا لأن الشيوعية لا تقوم لها قائمة ما بقي للمجتمعات الحاضرة ركز قائم .

يجب في عرفهم ، تزيق ، كل مجتمع واستباحة كل ممنوع وإيقال كل قداسة والاستحفاف بكل عرف تواضع عليه الناس عند أقدم عصورهم إلى اليوم .

وهم صريحون في ذلك صراحة لا تحوج أحدا إلى التفسير والاستنباط .

للاشيوعية في دعوة ماركس وإنجلز ثم في دعوة لينين وأتباعه هي هدم المجتمع وتزيق أوصاله واستباحة جميع محرماته ، وهي في النهاية لا تتحقق بالسلم والاقناع بل لا بد لتحقيقها من العنف والتخريب وسفك الدماء .

لمن سماحة الديمقراطية أن تعاقب الدعوة إلى الشيوعية كأنها جريمة كذلك الجرائم التي تخالف هذا النص أو ذاك من نصوص القانون .

لأنها في حقيقتها سلب لمعنى القانون كله ، وإيهاب للأحرام بجميع أنواعه ، وليس قصاراها أنها تسويح لذلك الأجرام

وليس في وسع القانون كما أسلفنا أن يكون صارما في عقاب الدعوة  
إلى هذه الكارثة الجهنمية ، لأن مسجن فرد أو جماعة من الأفراد يصح  
سنوات أخرى أن يسمى وقاية من وقايات الحيلة للمجتمع بإقصاء هؤلاء  
الفسدين عنه ، ولا يمكن أن يقال أن هذا المسجن هو غاية ما يستحقونه من  
عقاب على جريمة تهدم كل ما بنته الحضارة الاتصالية منذ أقدم العصور .

### \*\*\*

على أن الشيوعيين آخر من يحق لهم أن يستكثروا عقوبة المسجن  
كثرت أو قلت أيامه .

لأنهم - إذا مجتحت دعوتهم - لم يكن عالمهم الذي يشعرون به غير مسجن  
يتقيد فيه الناس بقيود المسجون جميعا ، أو بما هو شر من قيود المسجون ،  
لأنها قيود ليس لها انتهاء . ولن يحلو منها مكان .

فما هو العالم الذي يريدونه للبشرية إذا مجحوا ؟

عالمهم إذا مجحوا وأفلحوا هو العالم الذي يأكل فيه الإنسان ببساطة ،  
ويمسك ببساطة ، ويراول حرفته ببساطة ، ويعرف كفاءته للعمل ببساطة ، ويظل  
محكوما عليه أن يشتغل ويتبطل ويفكر ويشعر ويمتد كما يريد مدير المسجن  
أن يبروه .

ليس هذا هو عالم الشيوعية إذا أفلح الشيوعيون ؟ لما بالك بعالمهم  
الموعود إذا أخفقوا فيه ولم يحققوا به كل ما قصدوه ؟

### \*\*\*

فالمسجن جراء حق لهؤلاء الذين يسوتون العالم إلى مسجن لا منطق  
منه ولا حرية لأحد من الناس فيه .

والعقاب الزلجور وسيلة من الوسائل الفعالة التي تعارب بها الدعوة  
إلى الشيوعية .

وليس يمتص هذه الحقيقة أن محاربة الشيوعية لا يمحصر في وسيلة  
واحدة ، ولا يكفى فيها مجرد العقاب والتشريع .

نعلم هذا كما يعلمه الذين يبدئون ويصنعون في تكرير هذه العبارة ،  
ولكننا نحالفهم كل الحافلة إذا خطر لهم أن أعمال الإصلاح تكف هؤلاء

الدعاة وأمثالهم عن الحطة التي رسموها لأنفسهم وبنوا الثقة على الصفي  
فيها إلى غايتها القصوى . وهي تقويض المجتمعات الاتصالية وقلبيها سقلا  
على علو وراسيا على عقب .

فاعمال الإصلاح تهيج هؤلاء الدعاة الى مضاعفة الجهد وتوسيع نطاق  
الحركة ، الى ابعد الحدود .

وما عهدنا لهم في مصر نشاطا كالنشاط الذي عهدناه لهم اخيرا في  
خلال الاسابيع التي تم فيها لقرار للضريبة التصاعدية وتحسين الحبر وتيسير  
الحصول على السكر والبترويل وغيرهما من ضرورات المعيشة ، وتوالت  
فيها جهود الحكومة في تفريغ ازمة المساكن وتخفيف الاعباء عن اصحابها  
الموارد المحدودة .

ومن الخطا البعيد ان يظن بدعاة للشعبوية انهم يرحبون بأعمال  
الإصلاح ويكفون عن الدعوة كلما وضع مشروع من مشروعاته موضع  
التنفيذ .

هؤلاء الدعاة لا تجدى معهم غير وسيلة واحدة هي الرقابة الدائمة  
والعقوبة الرابعة .

ويجري الإصلاح مع ذلك في مجراه . لانه واجب في كل زمن لا لأنه  
وسيلة من وسائل البيئة لهذه المذاهب التي لا ينقم دعاؤها من شيء كما  
ينقمون من كل إصلاح .

## الدعوة الى الهدم والفوضى من وراء مستار

يجب بحض الناس ان الدعوة الى مذاهب الهدم والفوضى مقصورة على التبشير بعبائنها الصريحة وإعلان امراضها المفجرة في كتبها ومنشوراتها .

ومن الواضح ان دعاة الهدم والفوضى لا يبذلون من المجازفة أو من البلاءة هذا المبلغ . لأنهم يدلون على أنفسهم بسهولة ويعرضون أنفسهم للعقاب من اول كلمة اذا صرحوا بدعوتهم وأعلنوا الناس انهم يدعونهم الى هدم حضارتهم وتقويض مجتمعاتهم . وينتظرون منهم تلبية بدائهم وتمسكهم بغير تردد ولا مقاومة .

فمن الدعوة الى الشيوعية ما هو ممنورد كثير المواردية وهو الجير جوانب الدعوة .

ومنها ما هو صريح ظاهر ولكنه يذاع سرا بغير توقيع وبغير اشارة الى مصدر كتابته وترويجه .

واخيت انواع هذه الدعوة الائمة هو ترويج الشر والفوضى من طريق العمرة الكاسية وتلقيق المفائق التي تراء بها الاباطيل .

وقد ظهرت منها في مصر وسيلتان يتكرران على الاكلام والافواه . وهما استغلال الفقر واستغلال المسألة المتقلبين .

فهناك طائفة من ادماء الكتابة يجملون من كل حادث سببا الى كثر الفقر والبكاء على الفقراء .

تلميذ يطالب بأجور التعليم فتقلب المسألة حالا الى كارثة اجتماعية . مريض لا يجد مكانه في أحد المستشفيات- فتقلب المسألة حالا الى مظهر من مظاهر الظلم الاجتماعي والقسوة المقصودة .

متمول في الطريق . أو حامل مثلث تكاليف المعيشة . أو عريضة تحتاج الى نظر . أو شيء من هذا القبيل يصل الى علم الكاتب الدعي فلا يلبث ان يتخذة ذريعة لاتارة النفوس وتحريك الحزازات ومرض المجتمع كله في صورة تحفز الى الهدم والتخريب .

أما الام المحروجين جديدة بالمناية والمطف فهذه حقيقة لم يسبقنا في مصر صاحب قلم الى تقريرها وتوكيدها فيما كتبها نثرا أو شعرا مد نية وثلاثين سنة .

ولكن البديعة حقا هي امر هؤلاء الكتاب اللذين يعتمدون الشيوعية بغير

الاساس ١٩٤٩/١٠/١٩

جدال ويشقون ذلك على انفسهم من جهتين .

« اولاهما » انهم لم يهتموا ماثارة « مسألة الفقر » الا بعد ان اصبح هذا الموضوع من الموضوعات المأجورة التي تتولى المكافاة عليها هبات عالية ترصد الاموال الكثيرة لتحريرى الشعوب على الفتنه والاعتلاب .

والجهة الثانية التي تسهل التضييق على اولئك الكتاب هي مجابعتهم اندانة لروسيا الشيوعية بالمسكوت عن عيوب نظامها على الأقل ، ان لم يكن بالثناء عليها فى المناسبات السياسية التي تسمح بتمويه الشعب .

هؤلاء الذين لم يكتبوا عن الفقر الا بعد ان أصبحت هذه الكناية موضوعا مأجورا عليه هم موضع الضيق على موضع التهمة ، ويؤكد النتيجة عليهم انهم يحملون على كل دولة في العصر الحاضر ما عدا السولة الروسية الشيوعية . فانهم يستكون عنها ويتحيون العرض للثناء عنها .

مجرمون يحملون على عدم المجتمع مأجورين على هذه الجريمة عن علم بها وسوء نية في تنفيذها .

ومن الحق ان يقالهم العقاب . ولكنهم لا يقنعون بالسجاة من العذب وهي كثيرة ، بل يطعون فى سمعة الخير والاصلاح وشهرة الوطنية والانسانية .

وتلك عاية النمايات فى المجرة على الداح والاستغفال .

وسيلة اخرى من وسائل الدعوة الشيوعية هي استعمال مسئلة المعتقلين .

هذه المسألة يستعملها أحيانا بعض الأحزاب السياسية ولا يفاجون في استعمالها .

لان هذه الأحزاب قد اعتقلت قبل الان اضعاف المعتقلين في الوقت الحاضر لأسباب لا علاقة لها بالمصطحة الوطنية . أو لوقوع الاعتداء على شخص من الأشخاص لا يبلغ من خطر الاعتداء عليه ان يقاس بهمر الانقلاب الدموى الذى يشمل جميع احاء البلاد .

كذلك لا تفلح المناورات الحزبية في استغلال مسألة المعتقلين لان البحث في شؤون المعتقلين والاقراج عن الابرياء منهم عمل من الأعمال التي اهتم بها المسئولون في ابان حوالت الارهاب والاحرام ، وقد أقررت اللجنة

المختصة عن طائفة منهم وقررت الإفراج عن طائفة أخرى ولا تزال اللجة المختصة بهذه المسألة في العهد الحاضر توالي الإفراج عن غيرهم في كل جلسة من جلساتها ورئيسها ويرر عن السبعين -

فالدعوة الحزبية لا تقلح في استغلال مسألة المعتقلين ، ولا حرج على أحد في طلب التعتيل بالإفراج عن كل معتقل بغير جريمة واقتناذ المدانة لحماية الحرية وحماية الأمن في وقت واحد -

ولكن الحرج كسل الصرح في تلك الحملة المبكورة - تلك الحملة الحمراء - التي تريد أن توهم الناس أن الاعتقال من أسامه لم يكن له مسوغ على الإطلاق ، وأن الواجب المعتل - هو الإفراج عن كل معتقل بغير استثناء -

هذه حملة إجرام لا شك فيها لأن الذين يحملونها يعيشون في مصر ولا يجهلون الحالة التي كان عليها هذا البلد قبل اضطوار الحكومة إلى الحديث والتأهب للطوارئ المندرة وسها المظاهرات اليومية والتجريب المتعاقب في معاهد التعليم ، والأطمحة التي استحييت فعلا ووسط انكثير منها على أهمية الاستخدام في معارز جهنمية تودى بالآلاف من الأبرياء وطيح بكل ساء كسباء من الجهاد في سبيل الحرية والحضارة -

فأذن يعيشون في مصر ويعلمون هذا يتعمدون الهدم ، التحريب حين يتجاهلون الحقيقة ويطلقون على المجتمع المصري كل من كانوا يعبثون فيه بتلك الجرائم من الشيوعيين والصهيويين والإرهابيين ويساءلون متساوئين فيم الاعتقال ولم لا تعجل الحكومة بالإفراج ، عنهم جميعا ، بغير استثناء -

حسن أن يصدر المرء في كتابه عن حب الحرية والانصاف رفته استغفال ليس بعده استغفال أن يكون المرء مجرما عاملا على تحريب ياد ثم يطالب الناس بسمعة الخير والشرف ويحصد عليهم أجرامه في باب المعتل والمروءة -

ومما نوقته ولا شك فيه أن اتاما من ادعساء الكتابة في هذا البند يستغلون المسائل العامة في خدمة الشيوعية على هذا النمط ويبتون ذلك على أنفسهم بماضهم الذي لم يحفظ لهم قط دليلا من أدلة الخير أن الفقرة على الضعفاء والمظلومين -



الناري الشبائي

## المفردات

٧	كلمة بقلم محمود العقاد
١١	مقدمة بقلم أحمد إبراهيم الشريف
٢١	اللفظ الأحمر
٢٥	الشيوعية * عقيدة وثبوتها
٢١	الى القاطنين
٢٥	الى العمال
٢٩	الى الحقوقيين
٤٣	الاسلام والشيوعية
٤٧	المسيحية والشيوعية
٥٣	مذهب نوى العامة
٥٧	اعضاء الإصلاح
٦١	احذروهم كلما اصلحت
٦٥	هذه عناصرها
٦٩	لبنين فوق الشبهات
٧٢	الفكرة بالفكرة والجريمة بالعقاب

٧٧	جرائم الشيوعية
٨١	استعمار القرن العشرين
١٠٥	مستقبل روسيا
١٢١	اقلانس مذهب
١٢٥	الشيوعية والقومية
١٢٩	ستالين في رأى خلفائه
١٥١	السياسة الوسطى
١٥٥	جزاء حق
١٥٩	الدعوة الى الهدم والفوضى

#### استنركه

وقعت في الكتاب اخطاء مطبعية  
من جراء عامل السرعة في الطبع  
لا تخفى على فطنة القارئ  
الحصيف • غلزم الاعتذار •

رقم الاهداع بدار الكتب ٢٨٨٢ لسنة ١٩٧٧



الناري الشابي

مضى البلقه ....

.. أيتها الشبان المتعلمون

أيها الذي يحاط بكم رجل لم يكن له أصحاب لم يصر ولم يكرم  
ولم يكن له أصحاب التركات ولم يكرم  
ولم يكن له أصحاب الأموال ولم يكرم

وانه الشيوعية لم تضير له حبة المال، بل لعلها تغدقه  
عليه كما تغدقه على دعاة الأجور

، انما تضيره الشيوعية في شيء واحد، وهو كراته الإنسانية  
وليس في العالم شيء بعدها يحرق عليه انسان

ولقد هي الوقائع، وهذه هي حقيقة الحال عند هؤلاء  
التقدميين، فصدقوها أو لا تصدقوها فما نجد منه  
**يستجدي** التقدمية أو ينسبط اليه مائله منه يحتاج إليه .

انما يعيكم انتم انه تخاروا بينه وبين مسخ الأدمية،  
وانه تعرفوا أي طريق النكسة وأي طريق الارتقاء

ع. ج. الفقاد



0361313